صالح بن حميد: غياب الحوار.. ضعف • **سيد طنطاوي:** أحداث ١١ سبتمبر حرمتنا من أمريكا

استطلاع طلابي: ٥٦٪ نحن مكبوتون • **المدارس الأوروبية:** الأغنياء والفقراء.. كلهم فقراء

١٠١

المعرفة

العدد (١٠١) شعبان ١٤٢٤هـ أكتوبر ٢٠٠٣م

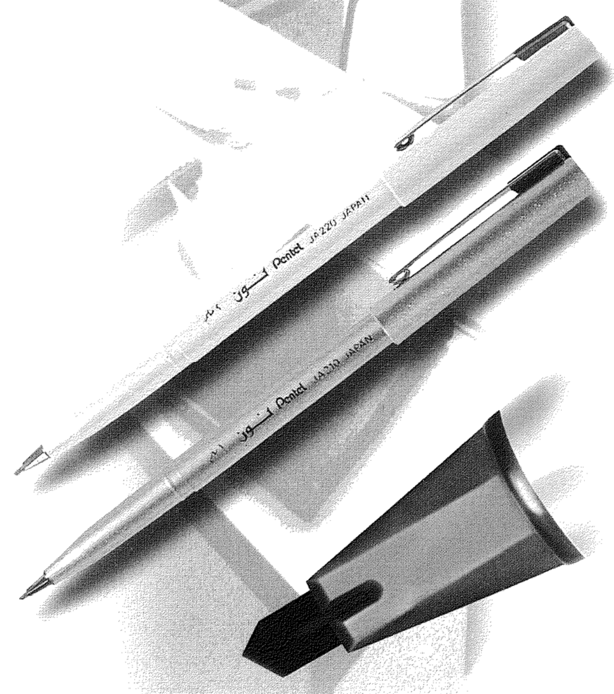


ثقافة الحوار و ثقافة العنف

التعرف على دوافع وأسباب اللجوء إلى العنف والانفتاح على هذه الأسباب ومحاولة معالجتها هو أقل كلفة من كبتها وتجاهلها حتى تصل إلى درجة الانفجار.

نون

ريشة بلاستيكية مرنة لفن الخط العربي



Pentel®



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد فهذه كلمة موجزة موجهة لقراء "المعرفة" عامة وللشباب من طلاب المعرفة خاصة أقدمها برغبة عزيزة عندي من الأخوة الكرام القائمين على تحرير المجلة رغبوا أن تكون موجهة للشباب، وأحسب أن جل قراء "المعرفة" هم من الشباب - معلمين وطلاباً - ولم أجد موضوعاً في الوقت الراهن أكثر مناسبة من "الحوار".

الحوار - أيها الشباب - أداة وعي مشتركة تتلاقح فيها الآراء والرؤى ويستخلص منها ما ينصره الدليل العلمي والنظري.

الحوار - في حقيقته - فن السماع للآخر، وعدم تطلع أحد الأطراف إلى المسابقة في الكلام أو الاستئثار بالحديث عن الطرف الآخر، أو الانشغال بالرد عليه وتتبع عثراته والفرح بزلاته.

الحوار - أيها الشباب - هو وسيلة فعالة في التناصح والتشاور والتعاون على البر والتقوى.

وحين أن نعلم أنه لا يتم تصحيح الأخطاء ولا تدارك النقص ولا تقدم للمسيرة إلا إذا اتسعت الصدور للحوار وروّضت النفوس على تقبل النقد والمراجعة وحينئذ تكون الحوارات - يا طلاب المعرفة ويا قراءها - تربوية منهجية تثري الساحة بالطروحات العلمية والعملية الجادة والنافعة والهادفة.

وختاماً فإن من المؤكد أنه بغياب الحوار تظهر الشقوق في العمل وتضعف الصلابة وتماسك الجبهة الداخلية، بل إن غياب الحوار انعكاس لضعف البنية العلمية والفكرية.

فإلى فتح أبواب الحوار والتشاور وتربية الأجيال على قبول الحق ممن جاء به ولو خالف من خالف فذلكم هو باب الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلكم هو روح الأمة وعرقها النابض. والله من وراء القصد وكفى به هادياً ونصيراً.

أخوكم / صالح بن عبدالله بن حميد

مكة المكرمة

١٦/٧/١٤٢٤هـ

رئيس مجلس الشورى



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٠١) - شعبان ١٤٢٤ هـ - أكتوبر ٢٠٠٣م

إدارة النشر
Rawnaa
Specialized Communication
روناء للإعلام المتخصص

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

البند الأول : المواد المنشورة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة التربية والتعليم.
البند الثاني : تبويب الموضوعات والمقالات في هذه المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الحصة الأولى

ها نحن نأتيكم في الموعد المحدد بوجه آخر اكتسب مزيدًا من قسمات التعبير ونكهة التجديد، وبعقل آخر صقله مئة عدد مضى بما تعادله من جهد وفرح وتأزم.. بآفاق جديدة ومساحة أوسع، ها نحن نقدم العدد (١٠١) الواعد والموعود ولكن بقلب واحد ثابت ينبض بمحبتكم وأقلامكم وآرائكم ومرصوداتكم، نعترف بفرح أن التطوير لم يمس كثيرًا من مضمون المجلة وأسماء أوراقها وأبوابها ونوافذها ومشيتها الصحفية. أما سبب فرحنا بذلك فلأن الرسائل والاتصالات الهاطلة علينا من هنا وهناك لم تكن تحمل سوى ملاحظات صغيرة ومرصودات آنية لا تصل لدرجة النقد لفحوى المطبوعة واتجاهها العام، فأوحى لنا ذلك أن مسارنا في الاتجاه الصحيح والأنجع أو على الأقل المرضي لعقولكم.. ولكن لأن الوعد دين فقد لمسنا بعض الشكل الفني بالريشة واللون وأضفنا إليه جديدًا، أخلصنا في إظهاره ليستحق أعينكم، وأضفنا بعض المناطق الصحفية إلى مضامين أبواب المجلة.

قصدنا من تلك الإضافة الإفلات من الثبات والجمود واكتشاف بعض المغطيات عن النظر، معكم وبكم. ورغم هذا البسيط من الجديد إلا أننا قفزنا من على طاولاتنا التي أرهقها تفكيرنا وركضنا فرحين جذلين بـ(١٠١) الذي سيكون أبًا لما بعده وفيًا لما قبله حنونًا على ما يليه.. هذا المد الطويل من المعرفة تشاركنا معكم في تقديمه لبعضنا بعضًا فلتذكروا ذلك كما نذكره، وهذا أجمل ما لدينا يمكن الاحتفاظ به في تاريخ المجلة.

شهر شعبان يسميه العامة «القصيّر» أما نحن وفي هذه السنة فنسميه «الأطول». في انتظار آرائكم وتصويتاتكم على انطلاقتنا باتجاه المئوية الثانية، وأنتم تحفوننا من جميع الجهات بالمحبة والمشاركة. المعرفة

المراسلات

باسم: رئيس التحرير
ص.ب ٢٣٠٠٧ - الرياض ١١٣٢١
هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩
فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠
Letters should be sent to:
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،
الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،
البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠ بيسة،
اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،
الأردن ١,٢٥ دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،
مصر٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،
المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال
وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.
سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.
سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض: هاتف: ٤٧٢٧٨٥٨-٤٧٢٧٨٤٦
فاكس مجاني: ٨٠٠١٢٤٢٢٧٧

Subscibtions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض:٤٧٢٧٧٩٢ ـ ٤٧٨٥٣٢٢ ـ فاكس: ٤٧٢٧٨٤٦
جدة: ٦٤٢٦٧٧٨ ـ ٦٤٢٧٨٨٩ فاكس: ٦٤٢٨٧٠٠
Advertising@rawnaa.com

روناء للإعلان والتسويق

ص . ب ٢٣٤٥٠ الرياض ١١٤
ص . ب ٤٠٧٠٣ جدة ٢١٥١١

الوطنية للتوزيع
AL Wataniа Distribution

أدفع بالتي هي أحسن . .

ثقافة الحوار و ثقافة العنف

الأشـد وطأة أن يبقى إنسـان وأفكاره في عـزلة، والإنسـان هنا ليس عـددًا بل حالة لأنه وباختصار شديد سيراها الأقوى والأجمل والأنفع له ولمكانه ولزمانه، وبالتـالي لا يرى من الآخـر إلا هـندامـه وشكلـه منحسـرًا دون آراء هذا الآخـر الذي هو أيضًا يفكر ويعمل نظره في الأشياء، وتلك حقيقة طبيعية ومعروفة إلا أنه سيصم عقله عنها ويغلقه فقط على ما أنتجه وأثمره، وهذه العزلة ستضخم الفجوة وتوسعها وتودع الطرفين في وجس من الآخر وخوف يغذيهما إعجاب كل طرف بنظرته للقضية الواحدة، والذي سيودي بهما إلى التعصب والعمى الفكري، وبدل أن يردما إيماءات هذه المسألة المفرّقة والمبعدة يسعى أحدهما لتدمير الآخر وهدم إيجابياته وطمر معطياته ليعود إلى عزلته كما خلقها عقله أول مرة، وبدل أن يفتح نوافذ للتلاقي والتلاقح ومسارب للتعارف يفتح النار على أخضر نقيضه ويابسه وكأن العالم خلق له وحده ولفكرته هو، وكأن هذه الدنيا الواسعة الرحبة لا تحتمل إلا فكرًا واحدًا. وبهذا التصلب والانغلاق ولد العنف وترعرع وشاع بارودە في الآفاق. ولنصرة هذا المتعنت على نفسه الأمارة بالدم والذم وعقله المقفول على نفسه بنفسه. لا بد من بناء مسارات للحوار وقنوات لرؤية الفكرة الأخرى والنظرة الأخرى التي تقف هناك، فهناك يقف إنسان آخر لكنه على نفس كرتنا الأرضية ويتحرك في دروب نفس زماننا الأرضي لا بد من اعتباره واعتبار منجزه المدني الذي لا بد أن يكون خلفه عقل ما.

العنف دائمًا لونه أسود اكتسبه من لون الظل الذي قبع فيه بعيدًا عن النور، وأصله رغبة الاختفاء والتواري، والحل الوحيد بتلوينه لون الحياة الناصع أن نضعه في النور ونحاوره بالوضوح ونريه غير نفسه وغير فكره بالحسنى والصبر، حتى يعرف ويتعرف على أن هناك آخر وليس هو الوحيد في هذا العالم.



العلاقة مع الآخر في الإسلام مبنية على :

التعارف لا التعارك..
التعايش لا التصارع

أحمد الدغشي . صنعاء*

* أستاذ أصول التربية المساعد . جامعة صنعاء .

من يُعمل نظره في نصوص القرآن الكريم على نحو قراءة كلية لآياته فسيجد تصريحاته - ولا أقول إيماءاته - تدل على أن الأساس الذي تنبني عليه علاقة الأمم والحضارات المتباينة في أديانها وأعراقها وأجناسها إنما هو التعارف لا التعارك والتعايش لا الصراع، وهاك ابتداء هاتين الآيتين المحكمتين في هذا السبيل..

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

إن الآية الأولى من سورة الحجرات تصرح بأن الناس في أصلهم البعيد أبناء أب واحد وأم واحدة لا فرق بينهم لاعتبارات اللون أو الجنس أو العرق أو نحو ذلك إلا بمقدار الاستقامة والتقوى.

وهذا ما أكده النبي ﷺ في خطبته الشهيرة بحجة الوداع وهي الخطبة التي غدت فيما بعد جزءًا جوهريًا لا يتجزأ من الميثاق الإنساني لحقوق الإنسان في الإسلام بل وفي العالم.

«يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[١].

ورب قائل يتساءل ألا يمكن أن يكون هذا الخطاب النبوي موجهًا لأبناء دين واحد هو الإسلام، وأيًا ما كانت الإجابة فإن فلسفة التربية الإسلامية من جانب آخر تساوي بين الخلق في الكرامة الإنسانية وتجعل الجنس الآدمي بحد ذاته مكرمًا محترمًا جديرًا بالحقوق الطبيعية المشروعة وإن لم يعتنق دين الإسلام أو يعترف به ابتداء ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

فالآية لم تشر من قريب أو بعيد إلى دين المكرم من بني آدم بل جعلته عامًا مطلقًا مستغرقًا لكل بني آدم بصرف النظر عن أديانهم وأعراقهم وأجناسهم.. إلخ.

ولقد جسد النبي محمد ﷺ هذا المعنى عمليًا فيما يرويه جابر بن عبدالله رضي الله عنه حين مرت جنازة فقام لها رسول الله ﷺ وقمنا معه، فقلنا يا رسول الله: «إنها يهودية» فقال: إن الموت فزع، فإذا رأيتم جنازة فقوموا»[٢]. وفسر العلة التكريمية من وراء ذلك القيام في رواية أخرى يرويها ابن أبي ليلى عن قيس بن سعد وسهل بن حنيف وهما صحابيان أنهما كانا بالقادسية فمرت جنازة فقاما لها، فقيل لهما: «إنهما من أهل الأرض» أي جنازة كفار من أهل هذه الأرض المجوسية يومذاك»[٣] فقالا: «إن الرسول ﷺ مرت به جنازة فقام لها، فقيل له: إنه يهودي فقال: «أليست نفسًا»[٤].

وبالنسبة لآية سورة الممتحنة آنفة الذكر فقد قعدت لأصول العلاقات الاجتماعية والسياسية والدولية بين أبناء الأديان والحضارات المختلفة كتابية كانت أم وثنية، وحيث إن سبب نزول الآية كان في حق المشركين فمن باب أولى الكتابيين، فقد روت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - سبب نزول الآية حين قالت: «أتتني أمي راغبة (راغبة في زيارتي) في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ «أصِلُها؟» قال: «نعم». قال ابن عيينة فأنزل الله تعالى فيها: **﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾** الآية[٥].

وقد قال شيخ المفسرين الطبري (ت: ٣١٠هـ) في تفسير الآية:

«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عم بقوله: «الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم» جميع من كان

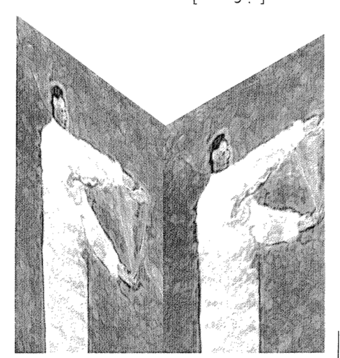
ذلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ لأن بر المؤمن لأهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب، غير محرم ولا منهي عنه، إذا لم يكن في دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح، وقد بين صحة ما قلناه في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها»[٦].

أما النهي فموجه نحو أولئك الذين يؤمنون بحتمية الصراع الحضاري، حيث يعتقدون ألا وجود لهم يتضمن السيادة والهيمنة إلا بالقضاء على المسلمين وحضارتهم، ولذلك قال تعالى عقب الآية السابقة من سورة الممتحنة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٩].

التدافع لا الصراع:

ولكن يجب تحرير النزاع حول مسألتين جوهريتين في هذا السياق الأولى: مسألة التدافع الحضاري كسنة كونية تحكم الوجود فهذا أمر يقرره القرآن الكريم:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].



﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

وهذا المعنى هو الذي عبر عنه علماء الاجتماع بالانتخاب الطبيعي أو بقاء الأمثل وذلك بإشارة الآيتين الكريمتين إلى أن ما فطر عليه الناس من مدافعة بعضهم عن الحق والمصلحة هو المانع من فساد الأرض أي أنه سبب لبقاء الحق وبقاء الصلاح، مما يدل على أن مظهر التدافع والتنازع من أجل البقاء والدفاع عن الحق يقتضي في مآله بقاء الأمثل وحفظ الأمثل[٧].

الثانية: أن مسألة الصراع كحتمية اجتماعية تنفي وجود ثابت في الكون وفق المنطق الهيجلي، ومن بعده الماركسي في الفكر والتاريخ والاجتماع، أو الدارويني في العلوم الطبيعية، والنظريات الحديثة لصموائيل هنتنجون في صراع الحضارات، وفرانسيس فوكوياما في نهاية التاريخ. وبعيدًا عن أسباب ذلك المنطق وملابساته الأوروبية المسيحية الخالصة فإن التدافع وفق المنطق الإسلامي لا يعني سوى النقد الذي يحفظ التوازن للفقراء المتباينين كحركة اجتماعية لا تقتضي نفي الآخر أو استئصاله بل تعمل على تحويل مواقع الفرقاء في إطار التعددية ليس أكثر[٨].

وما يدلل على هذا المعنى ويعضده بقوة ما يلي:

أولاً: إن المجتمع الإسلامي في عصوره الزاهية في صدر الإسلام وبعده تعايش مع غير المسلمين من أهل الكتاب، وعدهم أهل ذمة لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وأباح مصاهرتهم ومؤاكلتهم، وما وثيقة دولة المدينة وما احتوته من حرية للعقيدة والرأي والنفس والمال وحرمة الجوار ونصرة المظلوم ومقاومة المعتدي وأن يكون سكان المدينة يدًا واحدة على من يهاجمها، أو يحارب أهلها[٩]، إلا دليل على حقيقة هذا التعايش وواقعيته، وما العهدة العمرية التي عقدها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع أهل بيت المقدس من النصارى سنة خمس عشرة للهجرة، وقد أعطاهم فيها الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وعدم جواز إكراههم على دينهم[١٠]، إلا دليل آخر على الحقيقة الحضارية ذاتها في التعايش السلمي بين الحضارات في ظل الإسلام وسيادته.

ثانيًا: إن الإسلام لم يشرع الجهاد وفق قول جمهور الفقهاء إلا لحماية بيضة الإسلام ودرء الحرابة وليس للقضاء على الكفر، وقد تتبع أحد الباحثين جميع آيات

القرآن التي جاءت في «الإذن» بالقتال، و«الأمر» به و«إيجابه» و«الحض والتحريض» عليه، فوجدها جميعها في هذا الإطار لا تتعداه(١١). كما تتبع آخر النصوص القرآنية الواردة في الدلالات السياسية والأيديولوجية للولاء والبراء، وخلص إلى أن الولاء والبراء منوطان بحالتي السلم والحرب، إذ الأصل هو التعايش في حال السلم، والاستثناء هو التناحر في حال الحرب(١٢).

ثالثًا: إن التدقيق في الآيات الكريمة التي حرصت على الدقة والتخصيص وعدم الوقوع في التعميم حين جاءت بألفاظ (كثير، ومن، وفريق، وطائفة) وهي كثيرة عديدة في القرآن حسبنا هنا الإشارة إلى مواطنها أو بعضها(١٣)، لتؤكد أن الآخر ليس جنسًا واحدًا، وإن كثر فيه السوء أحيانًا في زمن ما أو بيئة ما، لذلك جاء منطق القرآن يقضي بأنهم «ليسوا سواء» وأن المسلم مأمور بالبر والإقساط إلى المسالمين من غير المسلمين مصداقًا لقول الحق سبحانه: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨].

وتؤكد أحداث السيرة النبوية المعنى العملي لفلسفة التربية الإسلامية الحضارية السلمية، إذ إن نسبة الذين اعتنقوا الإسلام في ظل السلام بعد صلح الحديبية بلغت ستين ضعفًا مقارنة بمن اعتنق الإسلام قبلها، حيث لم يكن قد بلغ عدد المسلمين إلى صلح الحديبية أكثر من ألف وخمسمائة مسلم خلال تسع عشرة سنة قبل ذلك الحدث، في حين بلغوا بعد صلح الحديبية ومضي ما لا يزيد عن سنة ونصف من يوم الحديبية عشرة آلاف من المسلمين، وما ذلك إلا لأنه قد أتيح للمسلمين عرض دعوتهم، وتوفرت للعرب فرصة التعرف على الإسلام حتى وصل إلى المدينة من لم يكن قادرًا على الوصول إليها قبل ذلك(١٤).

ومما يلاحظ في تاريخ الصراع بين المسلمين والكافرين ظاهرتان هامتان(١٥):

الأولى: كلما كان المشركون في مركز القوة فإنهم يعلنون الحرب المادية ضد المسلمين بهدف منع الناس من الدخول في الإسلام، وإجبار من أسلم منهم على مفارقته.

الثانية: كلما كان المسلمون في مركز القوة فإنهم يعلنون الحرب المادية ضد الطاغوتية الحاكمة لتحرير شعوبها المغلوبة على أمرها من هيمنة تلك الأنظمة لتقرر بنفسها حقها في قبول الإسلام أو رفضه ولكن بدون ضغط أو إكراه.

إن الإسلام لم يشرع الجهاد وفق قول جمهور الفقهاء إلا لحماية بيضة الإسلام ودرء الحرابة وليس للقضاء على الكفر، وقد تتبع أحد الباحثين جميع آيات القرآن التي جاءت في «الإذن» بالقتال، و«الأمر» به و«إيجابه» و«الحض والتحريض» عليه، فوجدها جميعها في هذا الإطار لا تتعداه. كما تتبع آخر النصوص القرآنية الواردة في الدلالات السياسية والأيديولوجية للولاء والبراء، وخلص إلى أن الولاء والبراء منوطان بحالتي السلم والحرب، إذ الأصل هو التعايش في حال السلم، والاستثناء هو التناحر في حال الحرب

ولعل الفارق الأساسي بين الحالتين هو أنه في الحالة الأولى يتم تطبيق مبدأ الصراع الحضاري بوصفه حتميًا وقطعيًا، أما في الحالة الثانية فإنه سعي مشروع لتحرير المقهورين من ربقة الظلم والطغيان اللذين يحولان بين حق الأفراد في تقرير حرياتهم ومصيرهم دون أن يعني ذلك قتالاً لغير المسلم بدليل أنه سيقرر ما يعتقده الأصلح لنفسه ولا يكره على سواه أيًا كان قراره واختياره، وتاريخ المسلمين حافل بالتعايش مع الآخر الذي يعيش في كامل حريته في ظل دولة الإسلام وسلطانها.

وماذا عن هذه النصوص؟

غير أن ما قد يشغب على هذا الاستخلاص هو الفهم الظاهري لمدلولات بعض النصوص القرآنية الواردة في هذا الباب مثل فهم بعضهم للآيات التالية وأنها تفيد حتمية الصراع ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن

يشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٥].

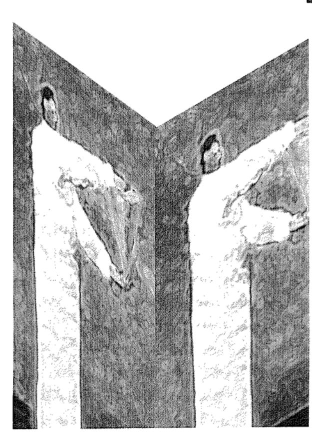
﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠].

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩].

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ويرى كاتب هذه السطور أن يشرع في مناقشة الاستشهاد بالآيات الثلاث السابقة من سورة البقرة التي تتحدث عن أهل الكتاب ثم يرجع إلى الآيتين الأخريين من سورتي البقرة والنساء، مع ما في الآية الأولى من إشارة إلى المشركين لا تفيد سوى أن سنة تعالى قضت بأن يظل ناموس الخلاف والتدافع - وليس الصراع بمفهومه الهيجلي أو الماركسي أو الدارويني - مستمرًا بحيث تتعدد ديانات الخلق ومللهم كما تتعدد لغاتهم وأجناسهم وألوانهم، وأنه لا يمكن أن تتحد هذه الديانات، على معنى أن تعلن تخليها عن أديانها كلية لتذوب جميعها في دين الإسلام الخاتم بمفهومه الإصلاحي، ولكن هل هذا يقتضي الصراع وحتمية الحرب بين أهل الأديان؟ إذًا لماذا شرع الإسلام أحكام أهل الذمة ومن في حكمهم؟ ولماذا نهى عن قتل النساء والصبيان والعباد والزراع وكل من لم يحمل السلاح ضد المسلمين رغم أنهم جميعًا كفار؟ ولماذا جاءت كثيرمن الآيات القرآنية مستثنية بعضهم من السوء كما مرت بنا الآيات قبلاً؟ بل إن القرآن وهو يصف المعادين ميّز بالجملة بين المخالفين من أصل الديانتين اليهودية والنصرانية وكذا المشركين حيث قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة:٨٢].

وليس دقيقًا ما ذهب إليه أحد المفسرين



المعاصرين حيث بالغ في التشنيع على مخالفيه في تفسير هذه الآية على ظاهرها فراح يؤكد أن النصاري الأقرب مودة للذين أمنوا هم فئة محدودة من الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ فغدوا مسلمين خالصين، ولذلك كان في أثناء الآية مستدلاً بالآية التي تليها وهي قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة:٨٣][١٦].

والواقع أن الآية إنما تتحدث عن حجم عداوتين ميزت بينهما بصيغتي مفاضلة هما «أشد» و«أقرب» ولا يعقل بأي مقياس بأن تتحول طائفة من أهل دين ما إلى دين آخر هو الإسلام ليصبحوا مسلمين خالصين حسب ما ذهب إليه المفسر المشار إليه آنفًا، ثم ما برح الوصف بـ(أقرب) قائمًا وملازمًا فهذا اللفظ إنما يشعر صراحة ببقائهم على دينهم، بيد أن عدالتهم وإنصافهم حين استمعوا إلى المنصفين من علمائهم دفعت بهم للاعتراف برسالة محمد ﷺ وأنها امتداد لدعوة عيسى عليه الصلاة والسلام، وهذا لا يقتضي منهم بالضرورة إعلان تخليهم عن النصرانية واعتناقهم الإسلام، فما يزال دأب المنصفين أن يتأثروا بما عند غيرهم من الحق وإن لم يتابعوه كلية أو نهائيًا أحيانًا، ولذلك جرت مقولة و«الحق ما شهدت به الأعداء». ومن هذا كان عام الحزن هو العام الذي توفي فيه أبو طالب بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ

رغم عدم ثبوت إسلامه بالسند الصحيح، وكان وصف النبي ﷺ للنجاشي ملك الحبشة بأنه ملك عادل لا يظلم عنده أحد، وذلك قبل أن يسلم ولذلك لا غرابة أن يوصف بعض النصارى بـ«الأقرب مودة للذين آمنوا» مع بقائهم على دينهم ومعتقدهم. ولنتذكر أن الآية لم تعمم الحكم ولكن قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ومن جانب آخر كيف يقال إن هذا الوصف خاص بفريق محدد آمن بالإسلام من النصارى، ثم لا يوصف الفريق الآخر الذي آمن بالإسلام من اليهود من أمثال عبدالله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما أيًا ما اختلفت النسبة بين الفريقين؟ فالحديث هنا في معرض فئة محدودة أسلمت ولم تعد معتنقة لدينها أو هكذا قيل.

والسؤال إذًا: هل المسألة انطباعية لا معيار فيها ولا ضابط؟ أم أنه التأثر البليغ بفترات الصراع التاريخي المعاصر بين المسلمين والصليبيين، الذي ترك بصماته واضحة في نفوس وأفئدة فقهاء ومفسرين ومؤرخين ـ مع الأسف؟

وفي سياق التعليق على تلك الآيات الثلاث آنفة الذكر من سورة البقرة يود الكاتب الإيماء إلى أن عدم إيمان أهل الكتاب أو سواهم بدين الإسلام، أو عدم حمل ود لحصول خير ينال المسلمين من ربهم، أو أن عدم رضاهم التام عن المسلمين حتى يتبع المسلمون ملتهم، ذلك كله لا يعني ضرورة الصراع الحضاري وحتميته، فإذا كان ثمة أديان متعددة فمن السنن الجارية أن يقع ضمن ما يقع قدر من الاختلاف والتنازع والتدافع ولكنه ليس الصراع المادي الهيجلي أو الماركسي أو الدارويني بالضرورة، وعدم الرضا مثلاً لا يعني أن نتيجته الحتمية هي الحرب فما يزال الأب الحنون أو المعلم المخلص أو الأخ الأكبر أو الصديق الوفي غير راضين عمن استرعى شأنه حتى يتابعه في توجيهاته ونصحه ومسلكه، لكن عدم تحقق ذلك لا يعني ضرورة الانتقال من الحنان أو الأخلاق أو الوفاء إلى عكس هذه المعاني.

وملحظ آخر في هذه الآيات التي قد يشعر ظاهرها بالاستغراق والعموم حيث جاء ذكر «أهل الكتاب» و«المشركون» و«اليهود» و«النصارى» دون تقييد بصيغة من صيغ التبعيض كما في الآيات التي مرت بنا فيما سبق فهل يعني ذلك خروجًا عن تلك القاعدة هنا؟

الحق أن من ينعم النظر في أسلوب القرآن الكريم مليًا فسيخلص إلى أنه تارة يخاطب البعض ثم يعود بعد ذلك ليخاطبه بصيغة الكل من غير أن يعني ذلك استغراق الكل حقيقة، وعلى سبيل المثال فإن قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

من هذا القبيل فمتابعة الآية من بداية السياق في الآية ١٠٠ من السورة نفسها وهي قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم...﴾ يؤكد هذا المعنى، ثم نجد القرآن تارة أخرى يخاطب الكل وهو لا يقصد سوى البعض ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران:٩٩]. ولو تابع الباحث القراءة دون فاصل أو توقف لألفى الآية التي تليها تخصص فريقًا من أهل الكتاب هم المعنيون بالإطلاق السابق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران:١٠٠].

ومن المقطوع به أن قوله تعالى في مثل هذه الآيات، أو قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣].

أو قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

هذه الآيات وما في معناها لا تدل على أن جميع أفراد اليهود أو النصارى قد قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ...﴾ الآية أو ﴿لَيْسَتِ نَصَارَىٰ...﴾

■ كلما كان المشركون في مركز القوة فإنهم يعلنون الحرب المادية ضد المسلمين بهدف منع الناس من الدخول في الإسلام، وإجبار من أسلم منهم على مفارقته ■

الآية أو ﴿يَدُ اللَّهِ...﴾ الآية، كيف وقد ذكر بعضهم في معرض الثناء كما تقدم فهذا إذًا من المجاز العقلي بداهة، ويحمل المعنى على ما قاله كبراؤهم أو غلاتهم أو نحو ذلك، فهذا أسلوب بلاغي عربي مألوف لا إشكال فيه، وهو كذكر عموم اليهود أو النصارى في الآيات الثلاث التي نحن بصدد الحديث عنها على حين أن المقصود ليس سوى بعضهم حملاً لهذه الآيات على الآيات الكثيرة الأخرى المخصصة أو المقيدة أو المبنية.

وأخيرًا: فمن ذا الذي فهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ...﴾ [آل عمران: ١٧٣] أن جميع الناس قد قالوا لهم ذلك؟ فالناس الذين قالوا إنما هو أعرابي من خزاعة[١٧]، أو نعيم بن مسعود، أو أنهم ركب عبدالقيس أو المنافقون، وقد أطلق عليهم لفظ الناس لكونهم من جنسهم[١٨]. أما الناس الذين جمعوا لهم فهم أبو سفيان بن حرب[١٩]. وهذا شبيه بقول النبي ﷺ فيما يرويه ابن عمر، رضي الله عنهما، «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...»[٢٠] الحديث، فقد حمل لفظ الناس في الحديث على المشركين من غير أهل الكتاب؛ لعموم الأدلة التي تميز بين عدم مقاتلة أهل الذمة أو مؤدي الجزية والمعاهدين وبين المشركين وغيرهم[٢١]. وهكذا ينبغي حمل الألفاظ العامة في حق أهل الكتاب أو اليهود أو النصارى أو سواهم.

هذا عن الآيات الثلاث في سورة البقرة، أما الآيتان الأخريان من سورتي البقرة والنساء وهما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقوله ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...﴾ [النساء:٨٩] فالأمر لا يستأهل أكثر من إعمال نظر كلي مباشر في الآيتين وفق قراءة السياق من بداية الآيتين، وسيتبين خصوصيتهما بفئتين من الناس هما المشركون والمنافقون في ذلك الحين بحيث تنطبقان على كل من حمل صفات الفئتين في أي عصر ومصر، ولكن دون أن تستغرق غير المسلمين جميعهم لأنهما وردتا في سياق خاص فلا يحملان على غير من وردتا في حقهما، فآية سورة البقرة خاصة بكفار قريش وحدهم، وذلك حين حرصوا على إرجاع من أسلم منهم وفارق دين آبائه إلى دين قريش وملتهم باذلين في سبيل ذلك ما وسعهم. اقرأ الآية من البداية حيث تقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

أما الآية من سورة النساء فقراءتها من بداياتها وفق قراءة السياق ستبين أن الحديث خاص بالمنافقين الذين تخلفوا في غزوة أحد حتى صار المسلمون فئتين: فئة ترى قتلهم، وفئة لا ترى ذلك فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...﴾ [النساء: ٨٨ - ٨٩][٢٢].

وصفوة القول في أمر الصراع الحضاري بالنسبة لفلسفة التربية الإسلامية وفق خطاب القرآن الكريم يتجلى في مستويين:[٢٣]

المستوى الأول: خطاب القرآن عن نظرته إلى الآخر من منطلق الاعتراف الكامل بذاتيته، وكينونته المستقلة، وحقه في إقامة الحضارة التي يتمحض اختياره المطلق في إقامتها، شريطة عدم تعديها لحدودها، أو تجاوزها إلى حقوق الآخر وحدوده.

المستوى الآخر: خطاب القرآن الإخباري عن الآخر في حرصه على إغواء المسلمين بشتى الوسائل ومختلف الأساليب وإصراره على ذلك، ولكن هذا مقيد بفريق من الكافرين أو حتى بأغلبيتهم في زمن النبي [دون أن يعني ذلك استغراقًا لكل المخالفين بالضرورة، في كل زمان ومكان.

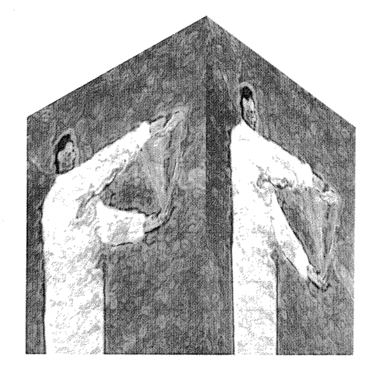
ودون أن يعني ذلك موقفًا ترتضيه فلسفة التربية الإسلامية.

كلما كان المسلمون في مركز القوة فإنهم يعلنون الحرب المادية ضد الطاغوتية الحاكمة لتحرير شعوبها المغلوبة على أمرها من هيمنة تلك الأنظمة لتقرر بنفسها حقها في قبول الإسلام أو رفضه ولكن بدون ضغط أو إكراه

الانعكاسات التربوية:

وفق ما تقدم من إطار نظري لمسألة العلاقة بين الحضارات، وما تم الخلوص إليه من كونها علاقة قائمة ـ وفق المنظور التربوي الإسلامي بحسب فهم كاتب هذه السطور واجتهاده ـ على التعايش والتجاور لا التصارع والتقاتل، فإن بوسع المؤسسات التربوية والقائمين على تصميم المناهج وفلسفات التربية فيها، التركيز على تلك المضامين بتنشئة المتعلمين على اكتسابها وتمثلها ابتداءً من النص عليها في أهداف المنهاج المنشود، وتضمين تلك المفردات محتواه، والعمل على تنشيط المتعلمين بطرائق عديدة في مقدمتها إيراد الأحداث والروايات والقصص التاريخية الصحيحة التي تحكي حقيقة التعايش الذي تم في صدر الإسلام وفي العصور الزاهية له بين أبناء الأديان والحضارات المختلفة في ظل الحكم الإسلامي، وكيف منحت وثيقة المدينة العهدة العمرية مثلاً حقوق الآخر بما لا مزيد عليه، وكيف تعامل الفاتحون المسلمون مع أهل البلاد المفتوحة مع بقائهم على دينهم بمنتهى السماحة والإخاء، ثم العمل على تجسيد هذه المضامين بأسلوب القدوة الذي يشمل القائد السياسي والعسكري والمعلم ورب الأسرة في نظرتهم نحو المخالف القريب والبعيد.

وإذا كان الحديث في هذه السطور موجهًا نحو الآخر البعيد المغاير للمسلمين في الدين والمعتقد والسلوك غالبًا فكيف بالآخر القريب المخالف في جزئية أو حتى كلية. فعن طريق إعمال أسلوب الحوار والتثاقف يمكن الوصول إلى صيغة تعايش تعزز قواسم الاشتراك بين أبناء المجتمع الواحد، وتجنبه الاقتتال الداخلي، ومسلك العنف. وهذا لن يتأتى تمامًا إلا بإعادة النظر في فلسفة بعض المفهومات التي استقرت في أذهان بعض أهل العلم الشرعي ذوي الصوت العالي قبل غيرهم لقضايا جوهرية من مثل مفهوم الولاء والبراء، وأسس العلاقات بين المسلمين وغيرهم وطبيعة النظرة نحو الآخر، وفلسفة الجهاد القتالي، وفلسفة الجزية وأسبابها وطريقة أخذها وفق التصور الإسلامي. فمن العبث أن نقع في طرفي الإفراط أو التفريط فيقع الإفراط حين يصر بعضنا على مقاطعة العالم بدعوى تجسيد معاني الولاء والبراء، أو القول أن أساس العلاقة بين المسلم والآخر قائمة على الاقتتال لا التعايش، وأن هدف الجهاد إنما هو القضاء على الكفر وليس رد العدوان ودرء الفتنة والحرابة، وأن الجزية



حتمية في كل حين دون أن تكون مرتبطة بسبب الحماية، وأننا مطالبون بإذلال أهل الذمة غدوًا ورواحًا بما في ذلك طريقة أخذ الجزية سواء أكان هناك تطبيق لذلك أو لم يكن وحين لا يكون ـ وهو السائد اليوم ـ فإننا نشارك في التخويف والترويع لهم فيما لو عادت إلى الإسلام سيادته بما يعرف عندهم بـ(الإسلام فوبيا) الذي سيضطرهم لدفعها عن يد وهم صاغرون، وأننا سنضطرهم إلى أضيق الطرق، وأننا لن نسلم عليهم أو نرد سلامهم، نتيجة قراءة خاطئة مبتسرة للنصوص الصحيحة الواردة في هذا السياق فلا بد من إعادة النظر في جملة فهم بعض أهل العلم لذلك، وهنا لن نتجاوز في الغالب فهم جمهور الفقهاء ولاسيما في صدر الإسلام حين نطرح مفهومات التسامح والتعايش. أما الفهومات المتشددة فغالبًا ما انبعثت من خلفيات الحروب الصليبية والمكائد اليهودية عبر التاريخ، ولكن ذلك لا يدفعنا لأن نتخلى عن أحكام ديننا وأخلاقه بسبب إساءة الآخر واستفزازاته، دون إغفال ذلك بمقداره.

ولكن أخشى ما يخشاه الباحث الحصيف هو أن تأتي أحداث وضغوط عارضة داخلية أو خارجية فتدفع للتنقل من أحكام الإسلام المتعلقة بالمضامين السابقة بالجملة بتأويلات فاسدة، تقع على الطرف الآخر من الإفراط وهو التفريط، وهذا يدل على أن فهم بعض

النصوص ليس بأكثر من صدى لأحداث وملابسات وقتية قديمة أو حديثة وليس بالضرورة الفهم الشرعي السليم.

إن تضمين قيم التسامح والتعايش في المناهج الدراسية من وحي الكتاب الكريم وصحيح السنة المطهرة، يعني تقديم الإسلام الحضاري من مصدريه الرئيسين: الكتاب والسنة، وتنشئة الجيل على ذلك وفق فهم جمهور العلماء في الغالب، ومنطق العصر أو فقه الواقع كما يحلو للبعض تسميته بحق.

وهذا المنطق العصري ليس عصرنة للإسلام ولكنه أسلمة للعصر إن التزمنا الضوابط المنهجية ببعدنا عن الاتهامات الجزافية التي لا يدرك بعضنا خطورتها إلا حين تشتعل الفتن، فيسارع إلى التوفيق بما هو أقرب إلى التلفيق على نحو مخجل مضحك مبك معًا، والله المستعان.

الهوامش

١ـ أخرجه أحمد في المسند، انظر: أحمد عبدالرحمن البنا الساعاتي، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، د. ت، د. ط، القاهرة: دار الحديث، وقال الساعاتي في تخريج هذا الحديث عن الهيثمي «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» ج١٢ ص٢٢٦-٢٢٧ رقم الحديث ٤٢٧.

٢ـ مسلم، صحيح مسلم (بشرح النووي) د. ت، د. ط، القاهرة، المطبعة الأميرية، ومكتبتها، كتاب الجنائز باب القيام للجنازة) ج٧، ص٢٨.

٣ـ انظر: النووي شرح صحيح مسلم، المرجع السابق، ج٧، ص٢٩-٣٠، د. محمد عمارة الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ ١٤١٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ط الثالثة، القاهرة وغيرها: مكتبة الشروق الدولية، ص٧٣.

٤ـ صحيح مسلم، المرجع السابق، ج٧، ص٢٩.

٥ـ البخاري، صحيح البخاري، بشرح ابن حجر العسقلاني، د. ت، د. ط، بيروت دار الفكر، كتاب الأدب ٧٨، باب صلة الوالد المشرك ٧، ج١ ص ٤١٣، حديث ٥٩٧٨، وانظر كذلك حديث رقم ٥٩٧٩.

٦ـ ابن جرير الطبري، جامع البيان من تأويل أي القرآن، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، ط الثانية، مصر: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ج٢٨ ص٦٦.

٧ـ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، د. ط، بيروت: دار المعرفة ج٢ ص٤٩٧، وانظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ١٩٤٨م، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ج٢ ص٥٠٠، وسيد قطب، في ظلال القرآن، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، الطبعة الشرعية السادسة عشرة، القاهرة وبيروت: دار الشروق، المجلد الأول، ج٢ ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

٨ـ محمد عمارة، إسلامية المعرفة، د. ت، د. ط، القاهرة: دار الشرق، ص١٢١-١٢٥.

٩ـ راجع نص الوثيقة في: ابن هشام، السيرة النبوية (تحقيق مصطفى السقا ورفاقه) د. ت، د. ط بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٢، ص١٤٧-١٥٠، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ط الرابعة، بيروت، دار النفائس، ص٥٩-٢٦.

١٠ـ محمد حميد الله، مرجع سابق ص ٤٨٨، ٤٨٩.

١١ـ محمد عمارة، الإسلام والآخر، من يعترف بمن، من ينكر من؟ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ط الثالثة، القاهرة، وغيرها: مكتبة الشروق الدولية، ص٥٦.

١٢ـ عبدالرحمن حللي، الدلالات السياسية، الأيدلوجية للولاء والبراء في القرآن الكريم، صحيفة المستقبل، العدد ١٤٦، ١٧ شوال ١٤١٧هـ ٢٤/٢/١٩٩٧م لندن: دار المستقلة.

١٣ـ راجع ـ على سبيل المثال ـ في لفظ «كثير»: البقرة ١٠٩، وآل عمران: ١١٠، والمائدة ٦٥، ٥٩ ـ ٦٦ وفي لفظ «من» البقرة ٧٨، وآل عمران ١٩٩، ١٥٩، ١١٥، ١١٣، ٧٥، وفي لفظ «فريق» البقرة ١٠٠، ٧٥ ـ ١٠٠١، وآل عمران ٧٨، ٢٣، وفي لفظ «طائفة» آل عمران ٦٩-٢٦.

١٤ـ فيصل مولوي، مرجع سابق، ص٢٠-٢١.

١٥ـ المرجع السابق ص ٢٠-٢١.

١٦ـ سيد قطب. مرجع سابق، المجلد الأول، ج٧ ص٩٦٢-٩٦٧.

١٧ـ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م د. ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج١ ص ٤٣١.

١٨ـ الشوكاني، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، د. ط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج١، ص٤٠٠.

١٩ـ المرجع السابق، ج١، ص ٤٠٠، ٤٠١.

٢٠ـ البخاري، مرجع سابق، كتاب الإيمان٢، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١٧، ج١ ص٧٥، حديث ٢٥.

٢١ـ راجع التفصيل في ابن حجر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١ ص٧٧.

٢٢ـ ابن كثير، مرجع سابق، ج١، ص ٥٣٣.

٢٣ـ أحمد محمد الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، ط الأولى، عمان، ودمشق: المعهد العالي للفكر الإسلامي ودار الفكر، ص ١٨٧، ١٨٨.

الشباب يعيش قلقًا داخليًا عميقًا والبشرية تهبط نحو الإسفاف
والإنقاذ لن يكون بالتقوقع الداخلي ولا بالرفض العنفي ولكن . .

قيم الإسلام ..
الحوار..
الانفتاح على العالم

محمد السماك . لبنان*

* مدير تحرير مجلة الاجتهاد .

على الرغم من ان ظاهرة العنف ترافق حياة الانسان منذ نشأته الأولى (قابيل وهابيل) إلا أنها لم تتبلور كعامل من العوامل المؤثرة في صناعة القرار السياسي إلا في عام ١٧٩٣ عندما وظفها بعض فلاسفة الثورة الفرنسية أمثال «روبسبير» و«سان جيست» و«كوثون» وغيرهم على نطاق واسع. فقد عرفت الفترة من مارس ١٧٩٣ حتى يوليو ١٧٩٤ بعهد الإرهاب أو عهد الرهبة، وتم خلالها قطع رؤوس ٤٠ الف شخص بالمقصلة واعتقل ٣٠٠ ألف شخص آخرين. يومها كان عدد سكان فرنسا لا يزيد على ٢٧ مليونًا نسمة. ومن الصفة التي أطلقت على ذلك العهد اشتقت كلمة الإرهاب Teror باللغتين الفرنسية والانكليزية، كأداة من أدوات العمل السياسي.

الجريمة، الإرهاب، الكفاح المسلح، الثورة، تلك عناوين تبدو مترابطة ومتداخلة رغم تمايز كل منها في معناه وفي أهدافه الاستراتيجية، كما في عقيدته، إلا أن محورها جميعًا أو القاسم المشترك بينها هو العنف.

فالعنف يكون جريمة عندما يتعمد إلحاق الأذى بالضحية بصورة مباشرة، أي عندما تكون الضحية هي الهدف أولاً وأخيرًا.

أما الإرهاب فيستخدم العنف أداة ليس لإلحاق الأذى بالضحية، إنما لتوظيف هذا الأذى في ممارسة ضغط معنوي على جهة أخرى أو على شخص آخر.

فالمجرم في ثقافة العنف يرتكب جريمته إما لحسابه الخاص، وإما مأجورًا لحساب شخص أو جهة أخرى. أما الإرهابي فيعتبر نفسه جنديًا مكلفًا بمهمة شريفة، لا يشعر بأن إدانته بها تلحق به أي عار أو تجريح، بل على العكس فهو يعتبر أداءها عملاً بطوليًا يؤهله لاحتلال موقع مرموق، أو ذكرى خالدة، في مجتمعه.

منذ مطلع الستينات فقط بدأت دراسة ظاهرة الإرهاب مادة مستقلة في موضوع العنف السياسي. وقد تطلب ذلك التمييز ليس فقط بين الجريمة والعنف، أو بين العنف والإرهاب، إنما بين الإرهاب والكفاح المسلح والثورة.

من أجل ذلك يطرح الإرهاب والعنف السياسي قضايا سياسية معقدة وقضايا أخلاقية أشد تعقيدًا، لا يمكن معالجتها إلا من خلال تركيب معادلة سياسية - اجتماعية - سيكولوجية - أمنية متكاملة. إن توقع الإرهاب، والوقاية منه، ورد الفعل عليه، عملية مترابطة بإحكام.

فالتعرف على دوافع وأسباب اللجوء إلى العنف، والانفتاح على هذه الأسباب ومحاولة معالجتها، هو أقل كلفة من كبتها وتجاهلها حتى تصل إلى درجة الانفجار. وفي استطلاع لمجلة المعرفة بين طلاب مدارس الثانويات في المملكة أكثر من دليل سوف نتحدث عنه لاحقًا. إلا أنه من المهم هنا أن نشير إلى أن ثمة نسبة عالية من إجابات الطلاب التي عبرت عن وجود فرص لإبداء الرأي خارج المدرسة. ولا شك في أن التعرف على سيكولوجية العنف عن قرب عاطفي يوفر فرصًا أفضل للتنبؤ باحتمال ممارسته، ويوفر من ثم الإمكانات لتعطيله وكبح جماحه، أو على الأقل لاتخاذ الاستعدادات المناسبة وفي الوقت المناسب لمواجهته، ولابتداع الوسائل الناجعة لاحتواء ردات فعله.

قبل البحث في ثقافة العنف في المجتمع الإسلامي، لا بد من إلقاء الضوء على مظاهر هذه الثقافة بصورة عامة. ففي الأساس تشكل العصبية شكلاً من أشكال الدفاع عن الذات.

وهي رد فعل على الشعور بخطر التعرض لعملية اقتحام من الخارج تستهدف تغيير الهوية واقتلاع الشخصية الوطنية أو الدينية من جذورها. والتطرف الذي يؤدي إلى العنف هو تعبير عن عصبية تشعر بأنها معرضة لخطر ما. وهي ظاهرة تتفشى في المجتمعات المختلفة، وتعبر عن نفسها بأشكال مختلفة أيضًا.

هناك تطرف ديني مسيحي يمثله بعض الحركات الأصولية الإنجيلية في الولايات المتحدة خاصة. وهناك تطرف ديني يهودي تمثله الأحزاب الدينية المهيمنة على إسرائيل حكومة ومجتمعًا، وعلى منظمات اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة وأوروبة. وهناك تطرف هندوسي يمثله حزب جاناتا الذي يهيمن على السلطة في الهند. وهناك تطرف رأسمالي، حتى أن البابا يوحنا بولس الثاني يصفه بـ«التوحش». وهناك تطرف قبلي أدى إلى سقوط مئات الآلاف في حروب الإبادة التي جرت وتجري في رواندا وزائير وبوروندي والكونغو وليبيريا... إلخ.

إذًا التطرف ليس ظاهرة استثنائية خاصة بدين أو بشعب أو بمجتمع، ولكنها ظاهرة عامة كانت وستبقى لصيقة بالإنسان طالما أن الإنسان يمارس فعل الإيمان بدين أو بعقيدة أو بمبدأ أو حتى بحجر.

والتطرف على درجات: أولها رفض فكر الآخر. يليها تسفيه فكر الآخر. ثم إسقاط فكر الآخر. وبعد ذلك إنكار فكر الآخر. أما أسوأها وأخطرها فهو إلغاء الآخر جملة وتفصيلاً، إما بكاتم الصوت كما حدث في الولايات المتحدة للمفكر الإسلامي الدكتور إسماعيل الفاروقي، رحمه الله، على أيدي عصابة صهيونية، أو بحد سكين صدئة كما يحدث يوميًا للعشرات من الأبرياء في الجزائر. أو كما حدث مؤخرًا في المملكة العربية السعودية وفي المملكة المغربية وفي أندونيسيا، من أعمال إرهابية خارجة عن كل منطق.

التعرف على دوافع وأسباب اللجوء إلى العنف، والانفتاح على هذه الأسباب ومحاولة معالجتها، هو أقل كلفة من كبتها وتجاهلها حتى تصل إلى درجة الانفجار

فالتطرف هو ثمرة تربية دينية أو عقيدية تجعل من مبدأ الشعب المختار إلغاء للآخر. إن فيلسوف الحركة الصهيونية جابوتنسكي يقول لتلاميذه (وكان منهم مناحيم بيغن رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق وكان منهم أيضًا والد نتنياهو رئيس الحكومة السابق): «كل إنسان على خطأ إلا أنت. إنك وحدك على صواب. فلا تحاول أبدًا أن تبحث عن الأعذار لغيرك، فهي غير ضرورية وغير صحيحة. وليس بوسعك أن تشك في شيء في العالم إذا اعترفت ولو لمرة واحدة أن خصومك قد يكونون على صواب. إن في العالم حقيقة واحدة هي ملكك أنت وكل الآخرين على ضلال».

هذه التربية تفرخ التطرف مع تعبيراته العنفية من حيث إنها تدعو إلى احتكار الحقيقة ومن حيث إنها تلغي الآخر ولا تعترف به.

أما في الإسلام فإن الوضع مختلف تمامًا. ففي الأساس الحق واحد كما يقول أبو الوليد الباجي في كتاب أحكام الفصول في أحكام الأصول. «وأن من حكم بغيره فقد حكم بغير الحق. ولكننا لم نكلف إصابته، وإنما كلفنا الاجتهاد في طلبه. فمن لم يجتهد في طلبه فقد أثم، ومن اجتهد فأصاب فقد أجر أجرين: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة للحق. ومن اجتهد فأخطأ فقد أجر أجرًا واحدًا لاجتهاده ولم يأثم لخطئه».

هذا يعني أن الاجتهاد كعمل فكري إنساني مفتوح على الصواب والخطأ. وبالتالي فإنه ليس مقدسًا، وأنه ليس لأحد حق احتكار الصواب بالمطلق. أو حق توجيه اتهام الفكر المختلف بالخطأ المطلق. فمن أبرز صفات السماحة الإسلامية أن المفكر أو المجتهد المخطئ لا يؤثم على خطئه، بل يؤجر على اجتهاده، حتى إذا أصاب يؤجر ثانية لإصابته الحق. ونعم قول أبي حنيفة «رأيي صحيح يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

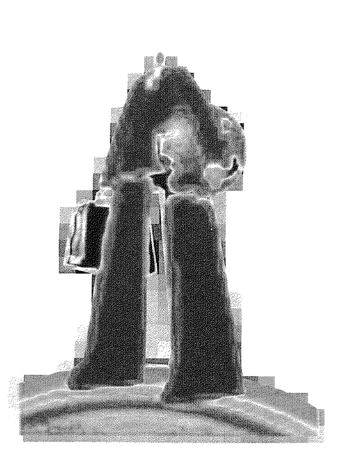
إن الاعتقاد أن جماعة ما هي وحدها التي تفهم النص الديني فهمًا صحيحًا، وبالتالي، فإن هذه الجماعة هي وحدها المؤتمنة على الدين، وأن كل من هو

خارج الالتزام بمفهومها، وبها، هو خارج على الدين، هذا الاعتقاد، يتناقض في الجوهر وفي الأساس مع الدين كمعطى إلهي، ويتناقض مع الموروث الفكري الديني كمعطى ثقافي واجتهادي والذي يشكل ثروة فكرية لسلسلة غنية من التجارب الإنسانية في الفهم الإنساني للنص الإلهي المقدس. يرسي الإسلام قواعد لعلاقة الإنسان بنفسه. ولعلاقته بأخيه الإنسان (سواء كان مؤمنًا أو غير مؤمن) ولعلاقته بمجتمعه. ولعلاقته بربه. هذه القواعد الكلية تشمل قضايا وأمورًا حياتية تتغير بتغير الأزمان والمجتمعات.

ولذلك فإن الحكمة الإلهية قضت بصياغة النصوص الدينية بحيث تترك المجال مفتوحًا أمام الفكر الإنساني لفهمها وهضمها ولاستنباط الأحكام منها وفقًا للمستجدات والمتغيرات التي تواكب حركة التطور الإنساني.

كذلك يقرر الإسلام الاختلاف كحقيقة إنسانية طبيعية ويتعامل معها على هذا الأساس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] .. بل إن من آيات عظمة الله هذا الاختلاف

هناك تطرف ديني مسيحي يمثله بعض الحركات الأصولية الإنجيلية في الولايات المتحدة خاصة. وهناك تطرف ديني يهودي تمثله الأحزاب الدينية المهيمنة على إسرائيل حكومة ومجتمعًا، وعلى منظمات اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة وأوروبة. وهناك تطرف هندوسي يمثله حزب جاناتا الذي يهيمن على السلطة في الهند. وهناك تطرف رأسمالي، حتى أن البابا يوحنا بولس الثاني يصفه بـ«التوحش». وهناك تطرف قبلي أدى إلى سقوط مئات الآلاف في حروب الإبادة التي جرت وتجري في رواندا وزائير وبوروندي والكونغو وليبيريا...



الذي ورد في الآية ٢٢ من سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾.

ومع اختلاف الألسنة والألوان كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج، وهو ما أكدته الآية ٤٨ من سورة المائدة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. و﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٩]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[هود:١١٨-١١٩].

غير أن ثمة عاملاً خارجياً يدفع بالتطرف الفكري أو الديني نحو اللجوء إلى العنف.

في كتاب «صناعة القبول» يقول المفكر الأميركي ناعوم تشومسكي إن الحاجة إلى

صناعة العدو تزايدت عند الولايات المتحدة في العقود الثلاثة الأخيرة، إذ إنه في أعقاب كل ٦٠ سنة تقريبًا لا بد وأن يعمل الغرب على تشييد صورة وهمية لعدو من نوع جديد كي يبرر دفاعه عن نفسه.. ويقول تشومسكي إن روسيا أو الشيوعية كانت ذلك «الوحش» في أثناء «الحرب الباردة» والعدو اليوم هو العرب أو الإسلام، وإن القيام بعملية تخويفية أمر مهم من أجل إشغال الناس وتجميعهم لا حول أنفسهم - وقد همشهم الإعلام - لكن حول الدولة للحصول على الثقة و«القبول» وحتى تتمكن الدولة من إخماد أصوات الشكوى عن طريق توحيد الصفوف الشعبية ضد «عدو وهمي» وتحميله مسؤولية المشاكل الداخلية.

إن الإلغائية وهي غاية الثقافة الغربية والصفة الأساسية الملازمة لها، تستهدفنا كما تستهدف غيرنا من الأمم. فإذا كانت العولمة هي عولمة التغريب حضاريًا وثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا فإن الإسلام كرسالة من عند الله إلى العالمين يجد نفسه مستهدفًا بالإلغاء، مما يحمله على الدفاع عن نفسه.

إن الدفاع عن النفس في مثل هذه الحالة لا يكون بالتطرف ولا بالعنف ولا بالإرهاب. ففي الصراع الفكري والثقافي يتطلب الدفاع عن العقيدة تقديم الإسلام كمعطى حضاري من



عطاءات الله، وكفكر اجتهادي متطور مؤهل لإنقاذ البشرية من الإسفاف الذي تهبط إليه. وإذا كان رد الفعل بالعنف تطرفًا مؤذيًا، فإن رد الفعل بالانغلاق والتقوقع يكون مؤذيًا أكثر. والأمران: العنف باتجاه الآخر والانغلاق باتجاه الذات يحققان هدف الإلغائية من حيث تشويه صورة الإسلام أو دفعه إلى الاختناق.

إن الاعتقاد أن جماعة ما هي وحدها التي تفهم النص الديني فهمًا صحيحًا، وبالتالي، فإن هذه الجماعة هي وحدها المؤتمنة على الدين، وأن كل من هو خارج الالتزام بمفهومها، وبها، هو خارج على الدين، هذا الاعتقاد، يتناقض في الجوهر وفي الأساس مع الدين كمعطى إلهي، ويتناقض مع الموروث الفكري الديني كمعطى ثقافي واجتهادي

في ثقافة الحوار:

في الأساس لا يكون الحوار إلا مع الآخر. وتحديدًا مع الآخر المختلف. إن هدف الحوار هو شرح وجهة النظر وتبيان المعطيات التي تقوم عليها، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الآخر لفهم وجهة نظره ومن ثم للتفاهم معه. ذلك بأن التفاهم لا يكون من دون فهم متبادل. والحوار هو الطريق إلى استيعاب المعطيات والوقائع المكونة لمواقف الطرفين المتحاورين ومن ثم إلى تفاهمهما.

في ثقافتنا الإسلامية إن «رأيي صحيح يحتمل الخطأ. وإن رأي غيري خطأ يحتمل الصواب». نفهم من ذلك أنه ليس لأحد أن يدعي الحقيقة المطلقة. وليس له أن يخطئ الآخرين لمجرد اقتناعهم برأي مخالف. فالحقيقة نسبية. والبحث عن الحقيقة حتى في وجهة نظر الآخر المختلف هو طريق مباشر من طرق المعرفة.

وهو في الوقت نفسه أسمى أنواع الحوار.

وفي ثقافتنا الإسلامية كذلك إن الحوار يتطلب أولاً وقبل كل شيء الاعتراف بوجود الآخر المختلف، وباحترام حقه ليس فقط في تبني رأي أو موقف أو اجتهاد مختلف، إنما احترام حقه في الدفاع عن هذا الرأي أو الموقف أو الاجتهاد، ومن ثم واجبه في تحمل مسؤولية ما هو مقتنع به.

ولأن الحوار يحتم وجود الآخر، فلا بد من تعريف الآخر. وهو تعريف لا يمكن أن يتم بمعزل عن الأنا. إن فهم الآخر ومن ثم التفاهم معه لا يتحققان من دون أن تتسع الأنا له. وبالتالي، كلما سما الإنسان وترفع عن أنانيته، كلما أوجد في ذاته مكانًا أرحب للآخر. إن الحقيقة ليست في الأنا. إنها تتكامل مع الآخر حتى في نسبيتها. وهي لا تكتمل في إطلاقيتها إلا بالله. والحوار مع الآخر هو اكتشاف للأنا و إضاءة ساطعة على الثغرات وعلى النواقص التي لا تخلو منها شخصية إنسانية. ولذلك يقول الفيلسوف الفرنسي سارتر:«الآخر هو وسيط بيني وبين نفسي، وهو مفتاح لفهم ذاتي والإحساس بوجودي».

الآخر قد يكون فردًا وقد يكون جماعة. وفي الحالتين قد يكون مؤمنًا، وقد يكون كتابيًا وقد يكون كافرًا. الآخر المؤمن هو للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا. والآخر الكتابي في المجتمع الإسلامي هو في ذمة المسلم والرسول ﷺ يقول «من آذى ذميًا فقد آذاني». أما الآخر الكافر، فالعلاقة معه مبنية على قاعدة « لكم دينكم ولي ديني ». وفي كل الحالات فإن العلاقة بين المسلم والآخر يختصرها الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول محمد عليه السلام « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ».

يقرر الإسلام الاختلاف كحقيقة إنسانية طبيعية ويتعامل معها على هذا الأساس. ولقد خلق الله الناس مختلفين إثنيًا واجتماعيًا وثقافيًا ولغويًا ولكنهم في الأساس «أمة واحدة» كما جاء في القرآن الكريم، اي أن اختلافاتهم على تعددها لا تلغي الوحدة الإنسانية.

تقوم هذه الوحدة على الاختلاف وليس على التماثل أو التطابق. ذلك لأن الاختلاف آية من آيات عظمة الله ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق. والقاعدة الإسلامية كما حددها الرسول محمد عليه السلام هي أن «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى». وبالتالي فإن الاختلاف العرقي لا يشكل قاعدة لأفضلية ولا لدونية. فهو اختلاف في إطار الأمة الإنسانية الواحدة، يحتم احترام الآخر كما هو وعلى الصوة التي خلقه الله عليها.

إذا كان احترام الآخر كما هو لونًا ولسانًا (اي إثنيًا وثقافيًا) يشكل قاعدة من قواعد السلوك الديني في الإسلام، فإن احترامه كما هو عقيدة وإيمانًا هو احترام لمبدأ حرية الاختيار والتزام بقاعدة عدم الإكراه في الدين.

فالقرآن الكريم يقول: ﴿ ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة:١٤٨] وفي إشارة واضحة إلى تعدد التوجهات يقول أيضًا: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾[البقرة:١٤٥].

أرسى القرآن الكريم قواعد واضحة للاعتراف بالآخر وبوجهة نظره إجلاء للحقيقة. والقرآن الكريم زاخر بدروس الحوار التي تشكل للمسلمين مدرسة حوارية متكاملة.

في حوار الله مع الشيطان، كما ورد في سورة الأعراف﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١١ - ١٨]، وفي سورة الحجرات (الآيات من ١٥ إلى ٤٠).

من خلال هذا الحوار الإلهي مع الشيطان تبرز حقيقة الثواب والعقاب. الخير والشر. الإيمان والكفر. وما كان لصورة هذه الحقيقة أن تكتمل دون هذا الحوار. وما كان لهذا الحوار أن يقوم دون وجود الآخر، حتى ولو كان شيطانًا.

وفي حوار الله مع الأنبياء تبرز حقيقة الإعجاز الإلهي:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ

تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

وفي حوار الله مع عباده، تبرز حقيقة العدل الإلهي، حيث ورد في الآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٥ ـ ١٢٦] .

وفي حوار الأنبياء مع الناس، تبرز حقيقة التربية الإلهية، في الآية الأولى من سورة المجادلة ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١] .

كما تبرز حقيقة الهداية الإلهية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

وفي حوار الناس مع الناس، تبرز حقيقة الجشع الإنساني: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤]، تبين هذه الآيات الكريمة أن الحوار يتطلب وجود تباينات واختلافات في الموقع وفي الفكر وفي الاجتهاد وفي الرؤى. وفي ذلك انعكاس طبيعي للتنوع الذي يعتبر في حد ذاته آية من آيات القدرة الإلهية على الخلق ومظهرًا من مظاهر عظمته وتجلياته.

إن وحدة الجنس أو اللون أو اللغة ليست ضرورة حتمية لا يتحقق التفاهم دونها . لذلك لا بد، من أجل إقامة علاقات مبنية على المحبة والاحترام، من الحوار على قاعدة هذه الاختلافات التي خلقها الله، وأرادها أن تكون، والتي يتكشف للعلم أنها موجودة حتى في الجينات الوراثية التي تشكل بعناصرها شخصية كل منا وتمايزاتها.

إن للحوار قواعده وآدابه. ولعل من أبرز هذه القواعد والآداب ما ورد في سورة سبأ . كان الرسول محمد عليه السلام يحاور غير المؤمنين شارحًا ومبينًا ومبلغًا. ولكنهم كانوا يصرون على أن الحق إلى جانبهم. فحسم الحوار معهم على قاعدة النص: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ:٢٤]. لقد وضع الرسول نفسه في مستوى من يحاور تاركًا الحكم لله، وهو أسمى تعبير عن احترام حرية الآخر في الاختيار، وعن احترام اختياره حتى ولو كان على خطأ . وذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال القرآن الكريم في الآية التالية مباشرة: ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٥ ـ ٢٦]، فكان من آداب الحوار بل من المبالغة في هذه الآداب الإسلامية، أن وصف اختياره للحق وهو على حق بأنه إجرام (في نظرهم). ووصف اختيارهم للباطل وهم على باطل بأنه مجرد عمل. ثم ترك الحكم لله ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]. إن احترام حرية الاختيار هنا ليس احترامًا للخطأ. فتسفيه وجهة نظر الآخر ومحاولة إسقاطها ليس الهدف الذي لا يكون الحوار مجديًا إلا إذا تحقق. إن من أهداف الحوار تعريف الآخر على وجهة نظر لا يعرفها ومحاولة إقناعه بالتي هي أحسن بموقف ينكره أو يتنكر له. وهو أمر يشكل في حد ذاته أحد أهم عناصر الاحتكاك الفكري والتكامل الثقافي والتدافع الحضاري بين الناس. ومن دون ذلك يركد الذهن ويفقد التعطش إلى المعرفة عودَ الثقاب الذي يلهبه، وتتحول مساحات الفكر إلى بحيرات آسنة. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١].

إن الاختلاف بين الناس وما يشكل الاختلاف من تدافع هو أحد أهم موجبات عدم فساد الأرض.

في ضوء هذه الدروس القرآنية الكريمة، فإن الإسلام لا يضيق بتنوع الانتماء العقدي، ولا يؤمن بالنقاء العرقي . فاذا كان التنوع من طبيعة تكوين المجتمع، فإن الحوار هو الطريق الوحيد الذي يؤدي بالاختيار الحر وبالمحبة إلى الوفاق والتفاهم والوحدة. ذلك أن البديل عن الحوار هو القطيعة والانكفاء على الذات وتطوير ثقافة الحذر والشك والعداء للآخر.

إن في ثقافة الحوار في الإسلام آدابًا وقيمًا ومنهجًا أخلاقيًا يحترم الإنسان وحريته في الاختيار، كما يحترم حقه في الاختلاف وفي المجادلة. والنتيجة أن «من اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها وما ربك

بظلام للعبيد».

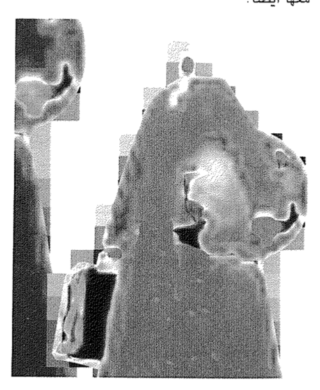
موقع الطلاب بين ثقافتي العنف والحوار:

تلقي نتائج الاستطلاع الذي أجرته مجلة «المعرفة» بين طلاب مدارس المملكة العربية السعودية، الضوء على الخلفية الفكرية التي تشكل القاسم المشترك بينهم وبين طلاب معظم الدول الأخرى، ليس في العالم العربي والإسلامي فقط، إنما في معظم دول العالم أيضًا.

وتقوم هذه الخلفية على الأمور الهامة التالية:

الأمر الأول: هو تحويل القضايا الوطنية مثل: حقوق الأقليات وحتى الأفراد وحرية العبادة وسواه إلى قضايا عالمية في ضوء الشرعية الدولية لحقوق الأقليات التي أقرتها الأمم المتحدة في عام ١٩٩٣ . وكذلك تحويل القضايا العالمية مثل: السلام والتنمية و حركة رؤوس الأموال والاستثمارات والخدمات وتبادل السلع إلى قضايا وطنية، من خلال اجتياح العولمة الجديدة.

الأمر الثاني: هو أن القرار الوطني في دولة ما لم يعد ملكًا لأصحابه فقط. ولكن عملية اتخاذه باتت جزءًا من عملية أوسع تلعب فيها عناصر ما وراء الحدود دورًا أساسيًا. وبالتالي فإن المنتخبين المكلفين بتسيير وإدارة لأمور شعب ما أو دولة ما، أصبحوا مضطرين لمراعاة قيام نظام عالمي له قوانينه الخاصة التي لا تلتقي دائمًا بالضرورة القوانين المحلية، بل وتتناقض معها أيضًا.

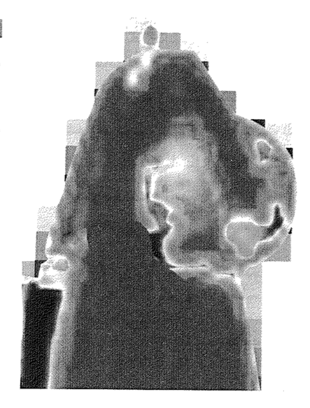


فإذا كان التنوع من طبيعة تكوين المجتمع، فإن الحوار هو الطريق الوحيد الذي يؤدي بالاختيار الحر وبالمحبة إلى الوفاق والتفاهم والوحدة. ذلك أن البديل عن الحوار هو القطيعة والانكفاء على الذات وتطوير ثقافة الحذر والشك والعداء للآخر

الأمر الثالث: هو انحسار فرص التنوع الثقافي الوطني علمًا بأن الدين مكون أساسي، بل المكون الأساسي لكل ثقافة. إن الشعور بالاختناق الذي بدأت تعانيه ثقافات متعددة يعود إلى انفلاش ثقافة واحدة على العالم ومحاولة فرض قيمها وتعميد هذه القيم مقياسًا للتخلف أو التحضر.

وإذا ما عدنا إلى استطلاع مجلة المعرفة، نجد أن هذه الاستطلاعات تعبر عن قلق داخلي عميق وإن تباينت نسبته بين منطقة وأخرى. وذلك لأن هؤلاء الطلاب يدركون من خلال تربيتهم الإسلامية أن عناصر الثقافة والتقاليد الثقافية الإسلامية تكونت ونمت وتطورت بتناغم أساسي مع الدين. وهذا يعني أن أي محاولة لفك الارتباط بين الدين والثقافة الإسلامية من شأنه أن يجرد هذه الثقافة من هويتها وأن يقتلعها من جذورها الروحية. وعلى العكس من ذلك فإن الثقافة الغربية الحديثة -والمعولمة- تكونت خارج الدين وفي أحيان كثيرة قامت على تحديه والتناقض معه. وهذا يعني أن نموها أو تطورها يتطلبان دائمًا الإبقاء على الحالة التمردية و الانقلابية للثقافة على الدين، والعمل على عزله عن التدخل أو التأثير في مسيرتها. أدى ذلك إلى قيام الهوة الواسعة بين الدين والدنيا في العالم الغربي، أي بين ما هو إلهي وما هو بشري، بين ما هو مقدس وما هو دنيوي، حيث الهيمنة دائمًا وبالضرورة في الفكر الغربي للدنيوي.

من هنا التناقض بين الثقافة الغربية



يستطيع طلاب اليوم، رجال الغد، أن يعدوا أنفسهم لمهمة شريفة، لا يمكن تحقيقها بالعنف والسلبية، ولكن من شروطها الأنفتاح على العالم بكل ثقافاته وعقائده وإنجازاته

والثقافة الإسلامية. ومن هنا مصدر القلق وربما الخوف الذي يعبر عن نفسه بالتقوقع أحيانًا، وبالرفض أحيانًا أخرى، وباللجوء إلى «الرفض العنفي» في حالات استثنائية.

لذلك فإنه من المهم جدًا أن يدرك المسلمون قاطبة والشباب على وجه الخصوص وليس طلاب المملكة العربية السعودية وحدهم أن العالم الإسلامي لا يستطيع أن يقف في وجه هذا المد الفكري بسلبية التقوقع أو الرفض العنفي. فالتقوقع لم يعد ممكنًا واقعيًا بعد أن أنتجت هذه الثقافة كل الوسائل التي تمكنها من تعميم قيمها وحتى أذواقها على الآخرين. ولكن العالم الإسلامي يستطيع بما لديه من قيم ومبادئ، وبالانفتاح على الحضارة الإنسانية والمشاركة في صناعتها، وبالمساهمة في إبداعاتها، أن يقف في وجه المد الإلغائي الذي تتعرض له ثقافته وقيمه. بل إنه يستطيع أن يضفي عمقًا روحيًا على هذه الحضارة وأن يهذب سلوكها بحيث تكون أكثر إنسانية مما هي عليه الآن.

خلاصة:

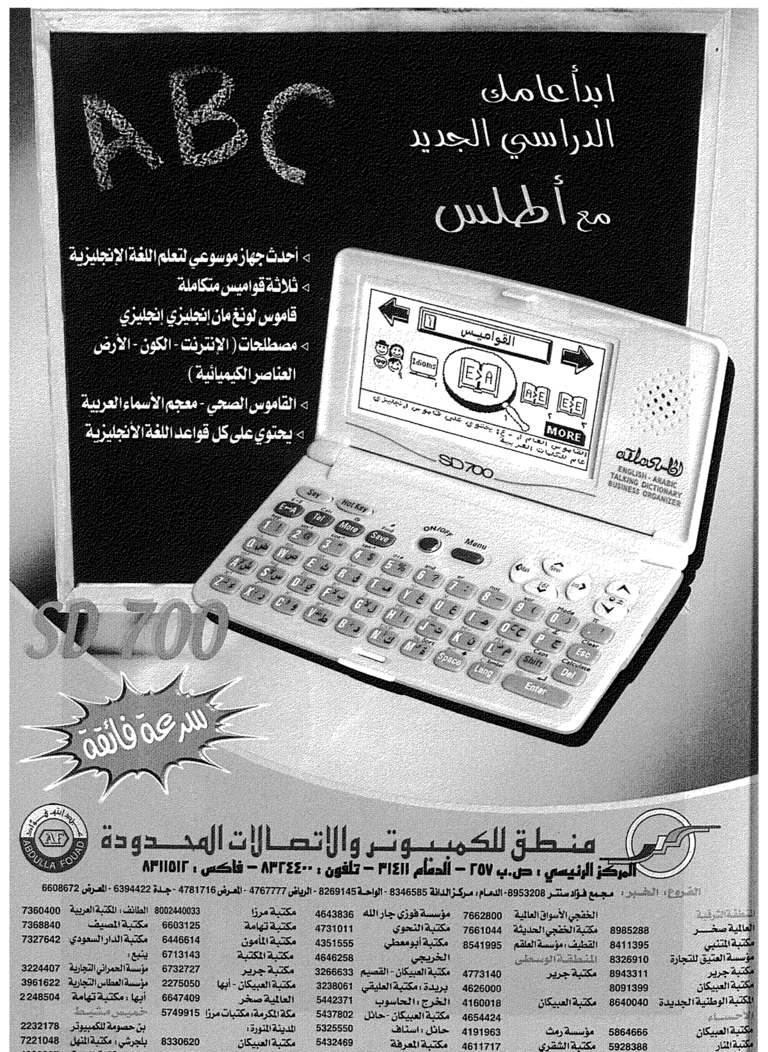
لا بد من التأكيد على أنه ليس للإسلام أي مصلحة في أن يكون معاديًا لدولة أو لمجتمع أو لأي عقيدة مختلفة. وليس له مصلحة في أن يتحالف مع أي منهما ضد الآخر. ثم إنه ليس له مصلحة في أن يكون مجرد قوة سائبة يتنافس الآخرون على استقطابها لاستخدامها في صراعاتهم وبمعزل عن مصالحه، أو حتى ضد مصالحه على النحو الذي جرى خلال فترة الحربين العالميتين: الأولى والثانية.

ولا بد ثانيًا من التأكيد على أن الإسلام لا يستطيع أن يدير ظهره للمتغيرات الجذرية التي بدأت ترسم معالم القرن الواحد والعشرين. فالعالم الإسلامي جزء من هذا العالم، وهو جزء من الصراع ومن معادلاته المستقبلية.

ولا بد ثالثًا من التأكيد على أهمية وضرورة أن يتحول العالم الإسلامي من مشروع تكتل واهٍ إلى جبهة متراصة، ومن مجرد كم في عدد السكان وفي عدد الدول والمساحة الجغرافية إلى قوة استراتيجية فعالة ومنتجة، ومن حجر على رقعة الشطرنج إلى لاعب.

يستطيع طلاب اليوم، رجال الغد، أن يعدوا أنفسهم لمهمة شريفة، لا يمكن تحقيقها بالعنف والسلبية، ولكن من شروطها الأنفتاح على العالم بكل ثقافاته وعقائده وإنجازاته.

عندما يرتفع العالم الإسلامي إلى مستوى الاستقواء بذاته عقيديًا (بالإسلام) وديموغرافيًا (مليار و٢٥٠ مليون مسلم) وجغرافيًا (بطول ١٠ آلاف ميل من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي) وماديًا (ثلاثة أرباع إنتاج العالم من النفط)، فإنه يستطيع أن يغير قواعد اللعبة الدولية وأن يبدل في أسس وأصول التعامل معه. يكفي الحد الأدنى من التضامن الإسلامي حتى ينتقل العالم الإسلامي الذي تتوفر فيه على كل عناصر القوة، من مرحلة التلاعب به إلى مرحلة اللعب مع الآخرين... وما ذلك على الله بعزيز.



www.atlassite.com - E-mail: sales@mantech-sa.com

لا يمكن تفسير الظاهرة وفق عامل واحد :

لماذا يلجأ الشباب إلى الرفض والتمرد والعنف؟

الحارث حسن - العراق*

* استشاري الطب النفسي.

إن الحديث عن مفهوم العنف أو العدوان، هو الحديث عن الإنسان. ونعني بالإنسان هنا «الجندر» أي النوع الإنساني، إذ إن كلمة إنسان هي مثنى إنس، والإنس هو الذكر والأنثى. لقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان من قبضة طين ونفخة روح.. الطين من الأرض، والروح من عند الله، كما خلقه في أحسن تقويم وأراد للإنسان أن يكون خليفته في الأرض. ويبقى الإنسان إنسانًا وليس ملاكًا، تتنازعه الغرائز والدوافع والرغبات، وتتقاذفه الصراعات والتحديات، وتعصف به الجينات (الموروثات) والكروموسومات من داخل جسده، كما تعصف به الجيولوجيا وتأثيرات الطبيعة والمناخ من خارج جسده، وأن سلوكه وتصرفاته وتفكيره وإدراكاته، ليس إلا نتيجة حتمية للصراع بين الوراثة والبيئة، بين جُوّانيته بكل ما تتضمنه من نفس وعقل وموروثات عقلية خرافية وأسطورية راسخة لا يمكن زعزعتها أو تحريكها إلا بجهود متخصصة وفاعلة، ومحيطه الذي يعيش فيه بكل ما يتضمنه من رموز وأشخاص وطبيعة ومجتمع.

وإذا ما استعنا بالنظريات النفسية والاجتماعية لوجدنا أن غريزة العدوان التي تفضي إلى العنف والتدمير والهلاك موجودة فينا جنبًا إلى جنب مع غريزة الجنس، حيث تدفع الأولى بالإنسان وتشده إلى الموت وتدفع به الأخرى إلى الحياة. لكن الغريب في الأمر وكما تشير الكثير من الدراسات البيولوجية والأنثروبولوجية إلى أن شكل العدوان وطبيعة العنف الذي ينطوي عليه الكائن البشري من بين كل الكائنات الأخرى، هو الأكثر بشاعة وشراسة وقسوة وإيذاء. وفي هذا الصدد يقول العالم والطبيب النفسي «أنتوني ستور» في كتابه «العدوان البشري»، يقول: «الحقيقة المؤسفة هي أننا كبشر نمثل الأكثر وحشية والأقل رحمة بين سائر الكائنات الحية التي تعيش فوق هذه الأرض». والمثير أيضًا، أن الانسان هو الحيوان الفقاري الوحيد باستثناء بعض الحيوانات القارضة، الذي تعود أن يفتك بأخيه الإنسان وهو من بني جنسه، مع الشعور بالمتعة الإيجابية واللذة الكاملة عندما يمارس القسوة والعنف والإيذاء. ومهما يكن من أمر، فإن السلوك العدواني بقدر ما يتضمنه من قسوة وظلم وجحود، فإن الكثير من المدارس العلمية النفسية والفلسفية تنظر إلى العدوان البشري على أنه سلوك طبيعي كأن بالضرورة لا محال، وإن غاب كلية أو قل إلى درجة ملحوظة، إذًا لا بد أن نسأل عنه. وتتحدث بعض المدارس العلمية وحتى بعض المذاهب الصوفية عن أن الجانب العدواني في الطبيعة البشرية يمثل درعًا واقيًا ضد التهديد والخطر، بل والأكثر من هذا، يعد حجر الزاوية في الإنجاز والتفوق الفكري والأساس في تحقيق الشخصية الاستقلالية. وفي هذا الصدد يشير الفيلسوف «جيبون»، بالقول إلى أنه: «قد نميز بين نزعتين طبيعيتين تمامًا في الأفراد ذوي الطبائع الأكثر فضيلة والأكثر تحررًا، وهما «الميل إلى اللذة» و «الميل إلى النشاط»، فإذا ما هذبنا الميل إلى اللذة عن طريق الفن والمعرفة وحسنّاه عن طريق مباهج الاتصال الاجتماعي، وعدلنا فيه وفق المبادئ السليمة للاقتصاد والصحة والسمعة الطيبة، أمكن تحقيق أكبر قدر من السعادة في حياتنا الخاصة. أما الميل إلى النشاط الذي غالبًا ما يؤدي إلى العنف والغضب، والطموح، فهو نزعة ذات طبيعة قوية ومؤثرة ويمكن أن تكون مصدرًا لكل فضيلة إذا ما كان الدافع الموجه لها يمثل قدرًا من الصفاء والنقاء والعطاء وقيم السلوك الفاضلة. لذا فقد نرجع معظم الأمور المحببة إلى «الميل إلى اللذة» ومعظم الأمور النافعة إلى «الميل إلى النشاط»، ويبدو أن الصورة الكاملة والناضجة للطبيعة البشرية تتمثل في تلك الشخصية التي يتحد فيها هذان الميلان بشكل منسجم ومتناسق، إذ إن البشرية عمومًا تنبذ الكسالى ممن يفتقرون إلى «الميل

إلى اللذة» و «الميل إلى النشاط» معًا، لأن الصفات التي يتسمون بها لا تحقق السعادة لهم كأفراد ولا للمجتمع والصالح العام».

وإذا كنا نفكر بشكل جدي في عالمنا العربي الاسلامي، في ضرورة وأهمية معالجة ظاهرة العنف لدى الأفراد عمومًا والشباب ومنهم الطلبة خصوصًا، إذًا يجب أن تنصب خطواتنا العلاجية على عقول الناس وذهنياتهم، إذ إن العنف مسألة نسبية متعددة الأوجه على مستوى الأسباب والدوافع التي يجب تحديدها تحديدًا واضحًا بغية الوصول إلى جوهر المشكلة وجذورها، كما لا بد لنا أن نعرف أن وراء كل سلوك جملة من الدوافع والعوامل والمؤثرات التي تعلل هذا السلوك والتي تكون كامنة في الأغلب، فضلاً عن الأسباب المباشرة والظاهرة التي تفجر ظاهرة العنف وتكون الشرارة الأولى لاندلاع سلوك العنف والتطرف. وهذا ما سنتناوله بإيجاز في هذه المقالة، كما سنركز على أهم الخطوات التربوية التي نعتقد بأهميتها في مواجهة ظاهرة العنف والتطرف بين الشباب والطلبة، وفي مقدمتها الحوار السليم والناضج بين الأطراف التي يقع بينها الاختلاف في الرأي، وهذا ينبع من اعتقادنا الراسخ أن طريقة التعبير عن الرأي بمسؤولية وانضباط، تعد من أولويات بناء الأسس المنهجية على المستويات المختلفة للحوار المؤثر والفاعل في مجتمع الأسرة والمدرسة في مواجهة العنف والعدوان.

ثقافة العنف

إن ثقافة الأفراد في أي مجتمع مدني، تستمد مفرداتها من الفرد نفسه ثم أسرته ومدرسته وبيئته الاجتماعية التي يعيش فيها. لذا فقد يبدو لأول وهلة من العنوان: «ثقافة العنف» أن هناك قصدًا مسبقًا في التثقيف على العنف من قبل المعنيين في الأسرة أو المدرسة أو المؤسسات التربوية والمجتمعية. ولكن من وجهة نظري المتواضعة لا أعتقد أن هناك قصدًا أو خطة لتثقيف الأطفال أو الشباب أوالطلبة على هذا النوع من السلوك، بل إن غياب ثقافة الحوار في مجتمعاتنا العربية هو الذي يؤدي بشكل غير مباشر إلى ترسيخ ثقافة العنف وعشوائية الاتجاهات في شخصية الفرد، وذلك لغياب المنهج السليم في التثقيف العلمي للطالب منذ الدراسة الابتدائية ومحاولة الإبقاء على حجب العقل التي يمارسها الآباء أو المعلمون أو غيرهم أحيانًا.

وفي محاولة لتشريح معنى العنف والعدوان من الناحية السيكولوجية، أود أن أشير إلى ميكانزمات صناعة الفكرة الاعتدائية في عقل الفرد، وهو تنظير قد يكون جديدًا لكنه في جوهره مستمد من الدراسات العلمية النفسية والطبية النفسية. يتعرض الفرد منذ الطفولة للعديد من التحديات والمقاومات الذاتية والموضوعية وهذه تفضي بدورها إلى عدد من الصراعات في داخل عقل الفرد، والصراعات بأشكالها المتعددة: إقدام - إحجام، أو إقدام - إقدام، أو إحجام - إحجام، تؤدي إلى الإحباط في حياة الفرد والشعور بالإحباط، انفعال مرير ومؤلم وقاس، وغالبًا ما يصنع التشوش والذهول أحيانًا في ذهن الفرد. وفي حالة عدم القدرة على حل الصراع أو تفكيك الشعور بالإحباط، فإن هذا الأخير يؤدي في حالة بقائه واستمراريته إلى الاكتئاب، بكل أعراضه وسماته المؤلمة وبكل أشكاله المختلفة. وإذا لم يتم التداخل الإرشادي والعلاجي للاكتئاب، فإن هذا الأخير يفضي حتمًا إلى العدوان والعنف. ومن المعروف من الناحية السيكوفسيولوجية أن العدوان والعنف، إما يفرغ إلى الخارج متمثلاً في العدوان على الآخر والعراك والمقاتلة واستخدام القوة كوسيلة للتعبير عن العنف الداخلي الذي يمتد إلى التخريب والإضرار بالممتلكات العامة والشخصية، وإما يكون التفريغ إلى الداخل متمثلاً في إيذاء الذات ويشمل أيضًا إيذاء الجسد كالتشطير أو التجريح بآلة حادة في أماكن مختلفة من الجسم أو كي بعض المناطق من الجسد بأعقاب السجائر وغيرها من أنواع الإيذاء الجسدي. ويمكن أن يكون الإيذاء ذاتيًا في إطار الجانب النفسي والمعنوي، إذ

وإذا كنا نفكر بشكل جدي في عالمنا العربي الاسلامي ، في ضرورة وأهمية معالجة ظاهرة العنف لدى الأفراد عمومًا والشباب ومنهم الطلبة خصوصًا ، إذًا يجب أن تنصب خطواتنا العلاجية على عقول الناس وذهنياتهم



إن غياب ثقافة الحوار في مجتمعاتنا العربية هو الذي يؤدي بشكل غير مباشر إلى ترسيخ ثقافة العنف وعشوائية الاتجاهات في شخصية الفرد، وذلك لغياب المنهج السليم في التثقيف العلمي للطالب منذ الدراسة الابتدائية ومحاولة الإبقاء على حجب العقل التي يمارسها الآباء أو المعلمون أو غيرهم

يتفاقم الاكتئاب في أعلى صوره الذهنية وتصبح الحياة لا معنى لها ولا أمل فيها، وتصبح الأشياء كلها في محيط الفرد باردة، ضحلة لا حراك فيها، وهنا يبدأ الفرد بالتفكير في الانتحار وإنهاء حياته، وقد يقدم فعلاً على محاولة الانتحار دون أن يسمع صوت الضمير أو الدين أو العادات أو التقاليد، ودون أن يفكر في مستقبل من يعيشون معه ومقدار ما يتحملونه من أعباء نفسية ووجدانية من جراء هذا العمل المؤلم. وقد يختزل العدوان الداخلي في جوانية الفرد إلى منهج سلوكي وفكري معاند ومتحجر لا مرونة فيه، وهنا يدخل الفرد فيما نطلق عليه بـ «التطرف» الذي هو عنف وعدوان على الذات قبل الآخر. وقد يسري هذا التطرف إلى جميع العمليات العقلية المعرفية والسلوكية وبخاصة التفكير والإدراك والاستيعاب والتخيل. وهنا يدق ناقوس الخطر، انطلاقًا من خطورة مفهوم التطرف في عقول وسلوك شبابنا وطلبتنا، خصوصًا إذا ما تم احتضان هذا الشاب أو الطالب بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق القراءات والمتابعات والأشخاص، إذ تساهم هذه الأطراف في مجموعها في ترسيخ الأفكار المتطرفة والسلوكيات التمردية مع تبريرها وتسويغها إما دينيًا وإما اجتماعيًا وإما تربويًا، وهنا تتحول الأفكار المتطرفة إلى موروثات عقلية ومناهج فكرية راسخة لا يمكن الجدل فيها ولا النقاش ولا الحوار، وهذا ما يسمى بالتفكير المتجمد الذي ينبئ بنوع من أنواع فصام العقل الذي قد يمتد ليشمل شرائح اجتماعية كبيرة فيما لو ترك دون علاج أو إرشاد. ومن نتائج العدوان أو العنف وسلبياته أنه قد يفضي مرة أخرى إلى سلوك التحدي والتمرد والمجابهة، كما هو الحال في بداية هذه المعادلة النفسية التي تناولناها بالتشريح، ولكن بصورة أشد وأقسى، إذ قد يتخذ التمرد أو التحدي في هذه المرحلة شكلاً من أشكال العنف السافر نحو الآخر دون رادع من ضمير أو حكمة أو دراية. وتتكاتف آليات الدفاع النفسية اللاشعورية منها والشعورية إلى تكثيف هذا السلوك، إذ يتعلم الشاب أو الطالب آلية الكبت لأفكاره المتمردة عندما لا تسمح له الظروف بالتعبير عنها، أو آلية الإسقاط، عندما يسقط أفكاره العدوانية على الآخرين ممن هم في معيته، أو آلية التبرير عندما يحاول أن يجد المبررات التي يعتقد ذاتيًا أنها مقنعة للآخرين، وذلك لتخفيف حدة القلق والتوتر والشد النفسي الذي ينجم عن سلوكيات كهذه وأفكار وتصرفات كهذه.

إن الأسباب الحقيقية وراء الدوافع الظاهرة والكامنة لظاهرة العنف عمومًا ولدى الشباب خصوصًا كثيرة ومتعددة في مجتمعاتنا العربية، وسنحاول في هذه العجالة أن نوجز بعضها:

- لا يمكن تفسير الظاهرة وفق عامل واحد، ولكونها مركبة ومتعددة المتغيرات فهناك مجموعة من العوامل تتفاعل فيما بينها وتؤثر سلبًا أو إيجابًا لتفجير العنف سلوكًا.
- يجب التفريق بين الأسباب المباشرة

والظاهرة والأسباب الكامنة التي تقف وراءها.

- ارتباط الظاهرة بالاختلافات والتمايزات ذات الصلة بالثقافة الاجتماعية والتركيب الثقافي والسياسي والاقتصادي لهذه الدولة أو تلك. وهذا ما يجب دراسته بدقة وأمانة وصراحة ومصداقية في إطار كل دولة بحسب ظروفها المذكورة آنفًا.

- ثنائية الفكر المتمثلة في رؤية الواقع المحصور بين مفهومين على طرفي متصل العنف ولا ثالث لهما، مثل الحق والباطل، الحرام والحلال، الصواب والخطأ. إن هذا النوع من التفكير الخالي من المرونة، يعد من أبرز أسباب نشوء العنف، ذلك الذي يتصل بالتعصب والتزمت والتطرف الفكري والسلوكي وهو من أهم الأسباب الفكرية الكامنة وراء ظاهرة العنف.

- التعصب في المعتقد، ويعد من أخطر أنواع التطرف الذي يؤدي إلى سلسلة حافلة بالأخطاء على مستوى السلوك والتفكير، مع التزمت بإعطاء المبررات الشرعية أو الأغطية الرسمية لتكريس ظاهرة العنف تحت ذريعة المعتقد أو المذهب أو الحزب أو التجمع.

- انهيار المثل والقيم الحضارية في عقل الطالب أو الشاب بما يؤدي إلى زعزعة فكرية وأيديولوجية يضطرب فيها العقل وتتصدع النفس فتهرب إلى سلوك جديد هو العنف.

- تأثيرات البيئة، حيث إن البيئة تسهم إسهامًا كبيرًا في بناء النفس الإنسانية، إضافة



أزمة الهوية لدى الشباب والطلبة في عالمنا العربي ، جنبًا إلى جنب مع اهتزاز القيم والمعايير وتزايد الإحساس بالفراغ الفكري والثقافي ، يمثل القوة الدافعة وراء هروب هؤلاء الشباب إلى مجتمع الرفض والتمرد والعنف بأشكاله المختلفة

إلى الوراثة. لذا فقد تشكل البيئة التي يعيش فيها الشاب أو الطالب عنصرًا خصبًا لنشأة التزمت والتطرف، وذلك من خلال الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والفقر وغياب العدالة في توزيع الثروة، مما يؤدي إلى انبثاق جماعات رافضة ومتمردة على هذه البيئة، تعبيرًا عن نوع من الإحباط الذي سبق ذكره، وكرد فعل لحالة القهر الاقتصادي والاجتماعي.

- أزمة الهوية لدى الشباب والطلبة في عالمنا العربي، جنبًا إلى جنب مع اهتزاز القيم والمعايير وتزايد الإحساس بالفراغ الفكري والثقافي، يمثل القوة الدافعة وراء هروب هؤلاء الشباب إلى مجتمع الرفض والتمرد والعنف بأشكاله المختلفة، للحصول على الأمان كحاجة نفسية وعلى الهوية كحاجة معنوية والاحتجاج ضد الواقع الساكن الذي يخلو من التنوير والتجديد والتغيير.

- إخفاقات التنمية وغياب التقدم السريع للحاق بالدول المتقدمة، حيث توسع الفجوة المدنية والحضارية بين الشمال والجنوب. ويتحسس الشباب والطلبة في وطننا العربي بشكل كبير في ضوء الإحباط الذي يعانونه، للكثير من الأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة في بلدانهم، مثل الخروج عن القوانين وعدم تطبيق الدساتير والتركيز على المقاومة المسلحة والتفاوت في توزيع الدخول والثروات وفرص الحياة والتداخل الطبقي بين الأفراد على حساب الكفاءة والأداء الصحيح.

- إخفاقات العملية التربوية، حيث الضعف الواضح وعدم المواكبة للمؤسسات التربوية والهيئات التعليمية والنشاطات الأكاديمية وقصور المناهج التعليمية ووسائلها البيداجوجية التي تعتمد في معظمها على

مستوى الوطن العربي، التلقين والحفظ والتكرار، بعيدًا عن تطوير القدرات الإبداعية والابتكارية لدى الشاب أو الطالب، وصولاً إلى عقل نقدي مبدع متألف. إن هذه النظم التعليمية التي ما زالت تعيش في الماضي السحيق، تعمل على تغييب ممارسة الطالب لحريته وعقله حتى لا يرى ولا يتبصر الواقع بشكله الصحيح، بما يعبد الطريق له صالحًا في تربية اتجاهات اللجوء للعنف، بتأثير الكبت والقمع في عالم يشهد ظاهريًا انفتاحًا على مستوى الفضائيات والإنترنت والمعلوماتية.

– غياب النقد الذاتي الذي يصل أحيانًا إلى درجة التحريم من قبل الآباء والأمهات والمعلمين وغيرهم، وذلك عندما يحجب عن الشاب أو الطالب فرصة التحاور والتشاور والمناقشة النقدية، ومواجهة هذه الآليات بحساسية وانفعال واستخدام للنفوذ والسيطرة بحكم الموقع الاجتماعي بما يؤدي إلى القمع الذي يتراكم في الشعور وفي اللاشعور الذي سرعان ما يؤدي أيضًا إلى العنف والتمرد والمواجهة.

– من أسباب العنف تضييق قنوات الحوار، وتكميمها وجعلها في أضيق الحدود بما يكرس العنف والتزمت والدكتاتورية أحيانًا، وحتى إن وجدت بعض القنوات الحوارية، فهي لا تتعدى الجانب الظاهري دون الإيمان بفلسفة الحوار طريقًا للخلاص من ظاهرة العنف والتمرد، وهذا بدوره يؤدي إلى تعزيز فكرة الشعور بالظلم وتكريس مشاعر القنوط والإحباط والسخط التي تؤدي إلى العنف شئنا أم أبينا.

تلك هي الأسباب وغيرها كثير.. وهذا ما نطمح في أن نواجهه بالعلاج المتأني والإرشاد المدروس لشبابنا وطلبتنا الذين يعانون القمع والكبت ويلجؤون إلى العنف كبديل لا مناص منه لهذا الواقع المؤلم والمرير.

من أسباب العنف تضييق قنوات الحوار، وتكميمها وجعلها في أضيق الحدود بما يكرس العنف والتزمت والدكتاتورية أحيانًا، وحتى إن وجدت بعض القنوات الحوارية، فهي لا تتعدى الجانب الظاهري دون الإيمان بفلسفة الحوار طريقًا للخلاص من ظاهرة العنف والتمرد

ثقافة الحوار

وهي ثقافة قصدية لا غبار عليها، مطلوبة من الجميع ومرغوبة من الجميع وعلى مختلف الفئات العمرية أو الثقافية أو الاجتماعية. يقول الأستاذ حافظ الشيخ (داعية ومفكر): «إن مجرد العزل القسري للناس ومجرد إقصائهم عن مجاري الشأن العام والعريض، هو في حد ذاته يخلق أفضل الظروف لنشأة التطرف، وهكذا فإن التطرف يزداد مع الزمن ويسند بفعل حالة العزل والإقصاء ومع الإمعان فيها».

لقد أثبت الحوار أنه الحل على المستوى السياسي كما في أيرلندا الشمالية وكما في إسبانيا مع منظمة (إيتا)، وغير هذين المثلين الكثير الكثير، لأن عدم الاعتراف بالحوار وغلق جميع قنوات التعبير الشرعي عن الرأي يكون حافزًا لتحريك العنف لدى فئات عريضة من المجتمع.

ومن جهة أخرى فإن الكثير من دعاة العنف والتطرف والتزمت يفتقدون في الحقيقة منهجية الحوار، بما يؤدي إلى التشكيك بمنطلقاتهم الفكرية وضعف ولائهم وانتمائهم لأوطانهم، مما يدفعهم إلى الانضواء تحت مظلة العمل السري والسلوك القمعي، وذلك لعدم قدرتهم على طرح البدائل الصحيحة والمقبولة للإصلاح السياسي أو مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتراكمة.

إن نقد هذا الفكر من خلال الحوار المؤثر والناجح يزيل الغموض واللبس، وبالتالي فإن من يقدم على اعتناقه يكون على وضوح وبينة، ومن يحاربه يكون أيضًا على وضوح وبينة، وهنا نجعل من الشباب المتحمس وراء فكر طائش ومتطرف، سباقين إلى مناقشة هذا الفكر وتحدياته، وذلك بعد أن يتم تسليط الضوء عليه وكشف حقيقته، بشفافية ومصداقية وقدرة فائقة على المحاورة والمناقشة.

ولا بد من تأكيد حقيقة أساسية، وهي أن فتح قنوات الحوار والتخطيط لحوار جاد ومؤثر على مختلف المستويات التربوية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، أمر إيجابي في كل

الأحوال، فهو يسحب دعاة التعصب والتطرف من سراديبهم المخفية إلى خيارات التفكير بصوت عال، وهو في كل الأحوال أكثر راحة وهدوءًا وشفافية من الناحية السيكولوجية، فضلاً عن أنه يضع فكر التطرف ومعتقداته تحت مطرقة المصارحة والنقد البناء والمكاشفة البينة التي لا خجل فيها ولا لبس.

يرتبط تاريخ الحوار في حياة الإنسان بتاريخ وجود الكائن البشري فوق سطح هذا الكوكب ومنذ بدء الخليقة وبأشكال مختلفة. فهو حوار مع الذات ومع الطبيعة والعالم والكون والآخر، وكذلك حوار بين العبد وخالقه، وهذا بطبيعة الحال حوار تأملي بين الأرض والسماء، له أسسه الوجدانية والإيمانية التي تختلف في جوهرها عن حوار الأرض.

إن أي حوار في هذا العالم، وأيًا كان شكله أو أطرافه، يقتضي الاختلاف بين رأيين يمثلان طرفا الحوار، إذ إن غياب الاختلاف بين الرأي والرأي الآخر، معناه الاتفاق الكامل بين الرأيين، وبالتالي إذًا لا حاجة للحوار أصلاً، حيث يحل مكانه «التحاور» وهو تبادل الآراء المتفق عليها من باب المؤانسة والتحاب.

ويحتاج الحوار الناجح والمؤثر إلى عدد من المقومات الأساسية التي تجعل منه فاعلاً وجديًا، ومنها:

- الحكمة.
- الصراحة.
- المحبة.

وتتفاعل هذه المقومات فيما بينها بشكل تكاملي وتضامني، لتشكل في النهاية الحوار الايجابي. إن الحكمة والعقلانية والتروي وبعد النظر، أمور يتطلبها طبيعة الحوار واختلاف الآراء بين اثنين أو أكثر، كذلك الصراحة والأمانة والمصداقية في الطرح بعيدًا عن الذاتية والنرجسية الزائدة. ولا يمكن لأي حوار بين اثنين أو أكثر أن تقوم له قائمة دون محبة واحترام. وليس المقصود هنا بالمحبة، الحب بمعناه الضيق، وإنما الشفافية في التعامل مع الآخر حتى وإن كان الاختلاف قائمًا في الرأي والطروحات بين الاثنين، وهي المودة والمروءة والموضوعية المتوازنة أيضًا. إن توافر هذه المقومات ولو بقدر نسبي معقول في أي حوار، تعني أهليته ومشروعيته واستمراريته دون منغصات في آن واحد.

هناك حقيقة معرفية تقول: الاختلاف يؤدي إلى الائتلاف، لكن الخلاف يؤدي إلى الخصام والعراك والعنف والمقاتلة. إذًا، كيف لنا أن نوظف هذه الحقيقة من أجل حوار جاد ومؤثر؟ والجواب هنا هو أن الحوار في الأصل هو اختلاف بين رأيين، وإذا كان الاختلاف في الرأي رحمة وهوادة وتقوى، وإذا ما توفرت المقومات الأساسية للحوار التي سبق ذكرها، فإننا نأمل في أن يتحول الاختلاف عبر الزمن المعطى لمادة الحوار إلى ائتلاف ولو بقدر نسبي. ولا نعني بالائتلاف هنا، التطابق والتماهي، بل نقصد به الاتفاق والتعاون والتنسيق وهذا ما نحن بحاجة كبيرة إليه. أما الخلاف بين رأيين فهو تزمت وتطرف وتحيز، وهو قصد مسبق لا ينتهي الحوار بضوئه إلا إلى العنف والعراك والمخاصمة. ولا ينطوي الحوار الذي يعتمد في جوهره على الخلاف الواضح بين المتحاورين على المقومات الأساسية لفلسفة الحوار أصلاً حيث تغيب الحكمة والصراحة والمصداقية، وتختفي المحبة والمودة والمروءة، وهذا ما يؤدي بدوره إلى التنافر والتنابز، وبالتالي إطلاق العنان لممارسة كل أشكال العنف الجسدي أو اللفظي، بما يحكم على الحوار بالموت والتوقف. ولا يخفى أن عالم اليوم يشهد موجات متتالية من الخلاف بين الآراء المطروحة لطرفي الحوار بما يؤدي إلى العنف فالعدوان. ومن الناحية السيكولوجية نحن نعرف جميعًا أن العدوان لا يؤدي إلا إلى العدوان. ويبقى الإنسان أسيرًا لظاهرة العنف والعدوان، يدور في حلقة مفرغة لا هروب ولا مناص منها، حيث تتزايد أفكار ممارسة القوة حلاً للخلاف، القوة العسكرية أو الهيمنة

إن نقد هذا الفكر من خلال الحوار المؤثر والناجح يزيل الغموض واللبس، وبالتالي فإن من يقدم على اعتناقه يكون على وضوح وبينة، ومن يحاربه يكون أيضًا على وضوح وبينة، وهنا نجعل من الشباب المتحمس وراء فكر طائش ومتطرف، سباقين إلى مناقشة هذا الفكر وتحدياته

الاقتصادية أو السياسية أو الغزو الثقافي والتربوي، وتلك شريعة الغاب التي ابتلي بها الإنسان بحكم بيولوجيته وثقافته الاجتماعية، متناسيًا أن منبع أعلى قوة وأغناها في العالم، هو قوة العقل والحكمة والدراية والرحمة والعدالة. وهذا يحتاج دون شك إلى توعية جادة ومكثفة من قبل التربويين والمفكرين، وعلى كل المستويات وبخاصة جيل الشباب والطلبة لأنهم بناة الغد ومادة المستقبل لشعوبنا العربية والإسلامية، بل لشعوب العالم أجمع.

ظاهرة العنف في المدارس

إن الكتابة حول هذا الموضوع المثير، قادتني إلى البحث عن أحدث الدراسات والبحوث الميدانية في الوطن العربي حول ظاهرة العنف والشغب لدى الطلبة في المدارس الإعدادية والثانوية خصوصًا. فضلاً عن خبرتي الميدانية كطبيب نفسي يعيش الواقع بكل سلبياته وإيجابياته ويلتقي كل يوم الشرائح الاجتماعية المختلفة والفئات العمرية المتنوعة مع التركيز على شريحة الشباب والطلبة في عمر المراهقة والطفولة المتأخرة. وبعد الاطلاع على أكثر من ست دراسات علمية ميدانية تمت خلال السنوات الثلاث الأخيرة في ستة أقطار عربية، إضافة إلى استبيان مكون من عشرة أسئلة تم تصميمه وتقنينه وتوزيعه واستخراج نتائجه من قبل كاتب هذه السطور على عينة مقصورة محدودة من طلبة المدارس الإعدادية ومن كلا الجنسين (ذكور وإناث) وبعدد (١٢١) طالبًا



وطالبة وللفئة العمرية بين ١٢-١٨ سنة، وبهدف استطلاع الرأي، أكثر من كونه بحثًا ميدانيًا مقننًا بشكل يمثل المجتمع العراقي، إن كان الأخير يمثل هدفًا تربويًا ومعنويًا وعلميًا نسعى لتحقيقه في القادم من الأيام على عينة أكبر ولشرائح اجتماعية متعددة ـ فإن النتائج التي أفاضت بها هذه الدراسات ودراستنا الحالية تمثل خطوات جريئة ونقدية لنظم التعليم والتربية في أقطار الوطن العربي الكبير. ولأغراض هذه المقالة يمكننا إيجاز الوقائع بالنقاط الآتية:

من جملة الأسباب التي تدفع الطلبة نحو العنف داخل الصفوف أو الباحات والساحات في المدرسة، أن أكثر من ٥٠٪ من الطلاب لا يرغبون في الاستمرار في الدراسة ويرغبون بشكل جدي في تركها والذهاب إلى ساحات العمل في المجتمع. ويؤكد الطلبة أن العنف والشغب اللذين يمارسونهما في المدرسة تجاه معلميهم ومدرسيهم ما هما إلا ردة فعل تلقائية على العنف الذي يمارسه الآباء معهم لإجبارهم على متابعة الدراسة والذهاب إلى المدرسة رغمًا عنهم.

إن ضغوط الحياة والظروف الاقتصادية (المعيشية والمادية) التي تعيشها أسرهم، تدفعهم إلى العمل لكسب الرزق بجانب آبائهم أو في أعمال أخرى، لذا فإن ٣٠٪ من الطلبة يظهرون سلوكيات تتضمن العنف والتمرد والشغب، وذلك لعدم تفرغهم للدراسة وعدم التصاقهم بالمدرسة كهدف تربوي وحياتي.

إن نسبة تقدر بـ(١٠-١٥٪) من الطلبة تعتقد أن المدرس أو المعلم نفسه هو مصدر أو منبع العنف لديهم، فالقصور العلمي والسطحية في طرح المادة العلمية والقسوة في التعامل مع الطلبة والعلاقة الجافة وغير الأبوية بين المدرس والطالب، والتركيز على الدروس الخصوصية لقاء مبالغ كبيرة من قبل المدرس ووصفها بأنها فرض قائم لا مفر منه، يدفع الطلبة إلى ممارسة العنف والشغب في الصف (الفصل) وخصوصًا تجاه المدرس.

إن نسبة تقدر بين (٢٠-٢٥٪) من الطلبة تعاني الإحباط والكبت من ضغوط الحياة

والأسرة والمدرسة والتي تتمثل في غياب حرية التعبير أو ممارسة الحوار أو المشاركة الفاعلة في حل المشكلات أو حتى إبداء الرأي الآخر أمام الأكبر، أبًا كان أم مدرسًا. لذا يلجأ الطلبة إلى ممارسة العنف بوصفه تعبيرًا عن القوة والرجولة عند الذكور بشكل خاص تجاه المؤسسة التعليمية، وبخاصة المدرس وإدارة المدرسة. وقد يكون التعبير عن هذه القوة على مستوى الأسرة متمثلاً في العناد والتمرد والمجابهة والاندفاع قسرًا إلى ممارسة العنف الجماعي من خلال الاقتراب والتضامن مع أصدقاء السوء في المحلة أو المنطقة السكنية بهدف إزعاج الأهل وتعكير صفوهم ردًا على معاملتهم بطريقة فوقية ومتسلطة وخالية من الحب والحوار المتبادل.

ومن الأسباب الأخرى في هذا المجال والتي تتضمن أيضًا التحليل النفسي الوصفي لهذه الأسباب:

أ- عدم تقدير ورعاية الأهل لمرحلة المراهقة في حياة الطالب أو الطالبة والتي تظهر خصائصها وسماتها بالنسبة إلى الذكور تحديدًا على شكل تمرد وعناد وسرقة أحيانًا من ممتلكات البيت والأسرة. وفي هذا تعبير للشاب المراهق عن رجولته المبكرة وذكورته المتنامية التي لم تلق احتضانًا أو حتى اعترافًا، بل إهمالاً وتجاهلاً. وهنا يكون المدرسون في المدرسة هم الضحية في مواجهة العنف من قبل هؤلاء الطلبة الذين أهملهم آباؤهم.

ب- التماهي مع سلوك العنف والفوضى والعادات المدانة في الأسرة حيث الخلافات بين الأبوين والأبناء ومحاولة حلها عن طريق العنف والتجريح والقوة.

ج- التأثر بسلوك العنف والإكراه داخل المجتمع أو حتى بين المجتمعات عندما يطلع عليه المراهق الطالب عبر الفضائيات أو وسائل الإعلام. إن محاكاة هذا السلوك لفترة طويلة ودون توجيه أو تداخل من قبل الأهل أو المؤسسة التربوية، يجعل من هذا السلوك عادة أو موروثًا عقليًا وسلوكيًا راسخًا يصعب التخلص منه إلا بجهود علاجية مثابرة.

إن نسبة تقدر بين (٢٠-٢٥٪) من الطلبة تعاني الإحباط والكبت من ضغوط الحياة والأسرة والمدرسة والتي تتمثل في غياب حرية التعبير أو ممارسة الحوار أو المشاركة الفاعلة في حل المشكلات أو حتى إبداء الرأي الآخر أمام الأكبر، أبًا كان أم مدرسًا. لذا يلجأ الطلبة إلى ممارسة العنف بوصفه تعبيرًا عن القوة والرجولة

د- تعد الأفلام والمسلسلات أو المشاهدات التلفازية التي تتضمن أعمال العنف والقتل والعدوان، من الأسباب المهمة لتفاقم وانتشار ظاهرة العنف بين الشباب والطلبة عمومًا.

هـ - إن عدم توافر وسائل التنفيس والتفريغ النفسي لفائض النشاط المتزايد والناتج عن نمو وتطور القوة الفيزيولوجية لدى المراهق والطالب يؤدي دون شك إلى ممارسة العنف والشغب كوسيلة تعبيرية عن هذا النشاط المتنامي. ومن الجدير بالذكر فإن قلة وعدم أهلية النوادي والملاعب وأماكن الترفية البريء الأخرى، يساهم في ازدياد الظاهرة وتفاقمها.

منهج الخلاص والحوار المؤثر

نحن أمام ظاهرة خطيرة وكبيرة في آن. والمهمة في علاجها وابتكار المناهج العملية والواقعية في مواجهتها، تحتاج إلى التخطيط والتنفيذ برؤية ذاتية وموضوعية في آن أيضًا، وبقدرة وجدانية عالية من التوازن في صياغة المنهج المناسب لتناول الظاهرة بكل حيثياتها، أسبابًا، وعلاجًا، ووقاية وعلى مختلف المستويات والشرائح الاجتماعية. إن ظاهرة العنف وثقافته تنبئ بكارثة خطيرة ومتنامية، سوف تعرض شعوبنا العربية والإسلامية إلى الهلاك والتدمير، وهذا ما يجب أن يقلق ساستنا وأولي الأمر منا وتربويينا ومفكرينا، لأن حجم الظاهرة متمثلة بدءًا في التطرف والعناد والتزمت، يمكن أن تلحق بأمتنا العربية شعوبًا وحضارة ومدنية وعقيدة ودينًا، الهزيمة الفكرية والأخلاقية الكبيرة، وعند ذاك سوف لن يبقى مجال لنا للمواجهة، بل الإذعان والاستسلام للشر القادم من الآخر استثمارًا لتداعيات الواقع الثقافي الذي يعيشه

في هذا الزمن الرديء الذي أصبح فيه الباطل حقًا والحرام حلالاً والعقلانية والحكمة وصمة.

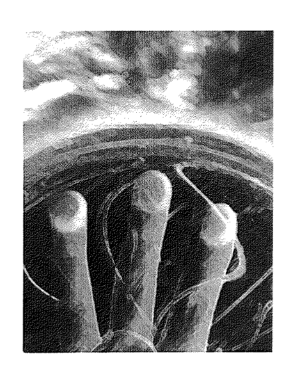
وحتى نبدأ جاهدين، لنرضي ضمائرنا أمام أنفسنا وأمام ربنا، رب العزة والهداية والتقوى والجمال، علينا أن نبدأ بجدية ومثابرة في مواجهة الواقع بعقلانية وحكمة وهدوء وترو ودون انفعال أو غضب أو عدوانية مقابلة، أو عنجهية متسلطة. علينا أن نتعاون جميعًا من أجل غد أفضل وبهدوء وروية ليرضى عنا ربنا ونرضى نحن عن أنفسنا.

وهذا هو جوهر «منهج الخلاص» الذي أردت له ابتكارًا أن يكون عنوانًا لخطواتنا التربوية السليمة في إعادة الحق إلى نصابه بجرأة وشجاعة وثبات دون الخوض في مشكلات ومشاحنات وتداعيات قد تفرضها طبيعة الموقف أو حقيقة الواقع. لذا فإن المنهج المشار إليه، يجب أن يتضمن خططًا ثلاثًا: قريبة، ومتوسطة، وبعيدة الأمد لمواجهة الظاهرة باستقلالية وأمانة ودماثة وعقلانية، ودون إثارة حفيظة أي من أطراف النزاع، لأن الهدف الذي نسعى إليه هو أكبر من أي خلاف وأجل من أي تداع في ساحة أقل ما توصف به، أنها ساحة معركة تتداعى فيها القيم والأخلاقيات.

وإذ لا يمكن أن نتناول في هذه المقالة كل هذه المحاور والخطط والتوجهات في «منهج الخلاص» الذي ارتأيناه حلاً لهذه المعضلة الاجتماعية الكبيرة، فليس لي في هذا المقام إلا أن أشير إلى أمور عامة أولاً، ومن ثم نتناول موضوع الحوار المؤثر تحديدًا كواحد من الحلول التي يجب أن نأخذها بالحسبان، ونجتهد في صياغة الوسائل والطرائق التي من شأنها تدريب المعنيين من إدارات مدرسية ومدرسين وآباء وأمهات، على كيفية تطبيقها عمليًا على أرض الواقع وصولاً إلى مستويات ولو نسبية من الهدف المنشود.

أمور عامة:

وتعتمد في جوهرها على ثلاثة محاور أو منطلقات أساسية هي: التنوير، والتجديد، والتغيير.. إذ تتفاعل هذه المنطلقات فيما بينها وتتكامل لتؤسس الأرضية السليمة للتحرك باتجاه صياغة الخطوات المتأنية في تحويل المنطلقات الثلاثة إلى إجراءات عملية وتطبيقية في ميدان الحياة وعلى مستوى الأسرة والمدرسة، والمجتمع. وباختصار شديد وبهدف توضيح المقاصد الحقيقية التي يفرضها الواقع وراء إعادة صياغة هذه المنطلقات، فإننا نعني بالتنوير التوعية الصحيحة في محطات كثيرة



ومتناثرة من حياة الإنسان، ظلت حتى يومنا هذا غامضة ومضببة في عقول الشباب والطلبة وحتى الكبار، لا بل اتخذت معاني أخرى وتفسيرات تختلف عن معانيها النصية والجوهرية بحكم الموروثات العقلية والعادات والتقاليد التي لا بد لها أن تتغير وتتجدد بضوء متغيرات الزمان والمكان في عالم اليوم. إن قيادة مشروع كهذا ليس بالسهل أبدًا لكنه في الوقت نفسه ليس بالمستحيل. إذًا لا بد من اختيار التربويين والمفكرين والناشطين المحايدين والموضوعيين لإعداد الوسائل الكفيلة بإنجاح المشروع وإن طال به الزمن، فهو مسألة بناء فكري ومعنوي وعقلي، وهذا يحتاج بالضرورة إلى مساحة من الوقت تفوق البناء المادي الذي يمكن إنجازه بسرعة وتفوق. وتتكافل المنطلقات الثلاثة للتوعية والتنوير وبعقلية مجددة أساسها الرغبة في التغيير ونبذ الثبات والوقوف على نقطة واحدة ، ضمن متصل الزمن الذي يسير بسرعة فائقة لا ترحم من يبقى في موقعه متفرجًا أو لاهيًا، وذلك في توضيح الكثير من المفاهيم والمصطلحات التي أصبحت زاد المواطن اليومي وأدواته في التعامل مع الحياة، مثل: الحرية، الديمقراطية، العدالة، الرحمة، القانون، العقل النقدي، التسامح، الصدق، الأمانة، التعددية والشورى، المحبة... وغيرها الكثير.

ومن الجدير بالذكر فإن الكائن البشري وضمن الفئات العمرية المختلفة والشرائح الاجتماعية المتعددة يبحث عن إشباع العديد من الحاجات الأساسية والنفسية وصولاً إلى تحقيق ذاته. وترتبط هذه الحاجات بمجموعة من القيم التي لا بد أن نسعى إلى النظر إليها بعين فاحصة ومدققة قبل فوات الأوان. ومن هذه القيم:

- الحاجة للأمن والأمان ونبذ كل أشكال العنف والتطرف.

العدل الاجتماعي والمساواة بين الأفراد ونبذ كل أشكال التفرقة على أساس المذهب أو الدين أو العرق.

- التوازن البيئي .
- الرخاء الاقتصادي.
- المشاركة الوجدانية بين جميع الشرائح المجتمعية.
- التسامح والمحبة.

أمور خاصة :

ونقصد بها هنا وفي المقدمة «الحوار المؤثر» وهو ذلك النوع من الحوار الجاد والهادف بين طرفين، يعتمد كل منهما رأيًا يختلف عن الآخر، مع الاستعداد الكامل لطرفي الحوار للجلوس معًا وبعقول مفتوحة ومتنورة ودون تزمت أو تطرف، بهدف الوصول إلى أعلى ما يمكن نسبيًا من الائتلاف في حل المشكلات ورسم صورة فاعلة وقوية ومؤثرة ومحببة لغد مشرق أفضل، على أن تتحمل الصورة الجديدة آفاق التجديد والتغيير بضوء الواقع والزمان والمكان.

ويتميز الحوار المؤثر عن غيره من أنواع الحوار، كونه جريئًا وشجاعًا، أي أنه قد يكون بين طرفين متنازعين، أحدهما متنفذ والآخر غير متنفذ، أو متوازن والآخر متطرف لفكرة أو عقيدة معينة. وبالتالي فهو حوار مفتوح لا شروط مسبقة فيه إلا تكريس مفهوم الدفاع عن المواطنة الحقة والمدنية المطلوبة والحضارة المنشودة. فقد يكون بين الأب وابنه، أو المدرس والطالب، أو الطالب والطالب، أو بين المسؤول في المدرسة والأب أو المدرس أو الطالب. إنه الفتح العقلي والوجداني الذي فيما لو أحسنا صياغته، فلا خوف فيه ولا وجل، لأنه يبقى محاطًا بالاحترام والحب والتقدير بين جميع الأطراف.

وقد تكون الرغبة الحقيقية والجادة في التعاون بين أطراف الحوار، هي حجر الزاوية لتحقيق الأهداف النبيلة والأخلاقية التي قد يسفر عنها الحوار ليكون مؤثرًا وفاعلاً. فضلاً عن الإيمان الفعلي والجوهري بمبدأ التسامح والمحبة كلغة أساسية للحوار تكفل استمراريته وديمومته وبقاءه مفتوحًا. وبهذا تتحول الأسر والمدارس والمؤسسات المدنية الرسمية منها وغير الرسمية إلى مجاميع نافعة، تعمل جميعها كخلية نحل من أجل إنتاج أفضل وحياة أجمل ومجتمع قوي وفعال، يصبح قادرًا على مواجهة التحديات والاختلافات بقوة العقل وحكمة المعرفة ووجدانية الدوافع الخيرة.

ولا أريد أن أكون متشائمًا، بل متفائلاً، بعزيمة الخيرين من المفكرين والتربويين العرب، ورعاية أكيدة من الباري عز وجل، للقول إن الزمن يسير بخطى متسارعة، ولا بد لنا أن نتحرك قبل فوات الأوان حيث لا ينفع الندم ولا تجدي الحسرة على ما فات. ويبدو أن الطريق الوحيد في مقدمة الطرائق الذي يفتح بابه أمامنا هو الحوار العلمي الصحيح الذي تحكمه الرغبة في التعاون والمحبة والتسامح، لأنه الباب الذي سيفتح أمامنا الكثير من الأبواب الأخرى في مواجهة العنف والعدوان والتطرف والاضطرابات النفسية والاجتماعية. يقول الأديب المعروف أليكسندربوب في القرن الثامن عشر:

«أن تكون آثمًا فأنت إنسان، وأن تكون مسامحًا فأنت سماوي».

ويتميز الحوار المؤثر عن غيره من أنواع الحوار ، كونه جريئًا وشجاعًا ، أي أنه قد يكون بين طرفين متنازعين ، أحدهما متنفذ والأخر غير متنفذ ، أو متوازن والأخر متطرف لفكرة أو عقيدة معينة . وبالتالي فهو حوار مفتوح لا شروط مسبقة فيه إلا تكريس مفهوم الدفاع عن المواطنة الحقة والمدنية المطلوبة والحضارة المنشودة



ستدلر لوموكلر

أقلام سبورة بيضاء

منتج آخر عالي الجودة من ستدلر

DRY SAFE

مقاوم للجفاف، يمكن تركه بلا غطاء
لمدة يومين دون ان يجف

يكتب على جميع الأسطح
المصقولة

الوان براقة

حبر غير ضار

يمسح جافاً، لا يترك اثراً على السبورة

علبة ستدلر الفريدة

علبة متينة يمكن تحويلها الى مقلمة

المعلم هو الذي يقوم بالدور الأهم :

الحوار.. الوسيلة الأرقى لترسيخ ثقافة التسامح

عبدالملك مرتاض - الجزائر*

* أستاذ جامعي .

قد يدل إيثار سبيل التحاور من أجل البت في الخلافات السياسية، وحل القضايا الاجتماعية، والتقريب بين التناقضات الثقافية على بلوغ أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، أو مجتمع من المجتمعات، درجة رفيعة من الرقي الحضاري، ومقدارًا عاليًا من الوعي الفكري، والتسامح الديني. ذلك بأن الحوار لا ينبغي له أن يفضي إلا إلى الأمن الذي هو من أعظم نعم الله علينا، كما لا ينبغي له أن يؤدي إلا إلى تحقيق المحبة والوئام في المجتمع بين الناس فيمسون بنعمة الله متحابين إخوانًا، يبنون الوطن، ويتضافرون على الخير، ويكثرون عند الشدائد والأزمات.

وقد وجدنا أهل الفكر المستنير، وأولي الرأي السديد، يدعون إلى الحوار والتسامح ونبذ العنف وسفك الدماء منذ عهد الجاهلية، كما نلاحظ ذلك في معلقة زهير بن أبي سلمى الذي كان يدعو في شعره إلى ثقافة الحوار والسلام، على نقيض عمرو بن كلثوم الذي كان لا يزال يدعو إلى التمسك بثقافة العنف، والاستنامة إلى ممارسة الصلف والجهل...

فلما جاء الله بالإسلام كان من مبادئه السمحة أن يرد على العنف باللطف، وعلى التعصب بالتسامح، وأن يدعو بالتي هي أحسن إلى سبيل الخير، قبل أن يأمر الله رسوله، صلى الله عليه وسلم، بالتصدي للكفار والمشركين فيغلظ عليهم بعد التعنت والاعتداء. ومع ذلك فكثير من الغزوات التي قام بها النبي، صلى الله عليه وسلم، على عكس ما يدعيه أعداء الإسلام، كانت دفاعًا عن النفس، ومنها غزوة الأحزاب الذين تجمعوا من كل أطراف الجزيرة ومعهم يهود المدينة الذين خانوا العهد الذي عقدوه مع النبي، عليه الصلاة والسلام، فتحالفوا مع قريش على المسلمين للهجوم على المدينة المنورة، لولا أن هزم الله الأحزاب، وكفى المؤمنين القتال...

وقد وصف عمر بن الخطاب، رضي الله عنه مثالية السلوك السياسي للسلطة الإسلامية فكان يرى أنها يجب أن تكون قوة في غير عنف، ولينًا في غير ضعف. فالقوة، أو السلطة، في الإسلام لا تعني ضرورة استعمالها في ممارسة العنف في كل الأطوار، وهي السيرة التي تتخذها الدول الكبرى في عهدنا الراهن، حيث نراها تتذرع بألف ذريعة واهية من أجل استعراض قوتها، وإظهار استعلائها في الأرض ضد الشعوب، وهي السيرة التي كثيرًا ما تحمل الشباب، المسلمين وغير المسلمين أيضًا، على استعمال التطرف الأعمى في مقاومتها.

وإذًا، فكما رأينا أن الدول الكبيرة والقوية لم يحقق لها عنفها غاية تذكر، أو انتصارًا يؤثر، غير المزيد من سفك دماء الشعوب، وزرع الفتن بين الناس، وتأجيج نار الأحقاد في القلوب، فإن عنف الجماعات والأفراد لا نعتقد أنه، هو أيضًا، يفضي إلى نتيجة خيرة بحيث تبدل الأرض غير الأرض، والناس غير الناس، والزمان غير الزمان. ولذلك فإن ثقافة التعايش والتعاون بين أفراد مجتمع ما، هي أولى لبناء حياة مطمئنة آمنة ينال فيها كلٌ نصيبه من الرزق والأمن والسلام.

وأيًا كان الشأن فإن ثقافة العنف ليست

من القيم العربية الإسلامية؛ فقد عايشت المجتمعات الإسلامية منذ القدم من بغداد إلى قرطبة وغرناطة، اليهود والنصارى والصابئة، فكانت كل طائفة تأخذ نصيبها من حرية الدين، وحرية الرأي، وحرية السلوك في مجتمع متعدد الطوائف، مختلف الأعراق.

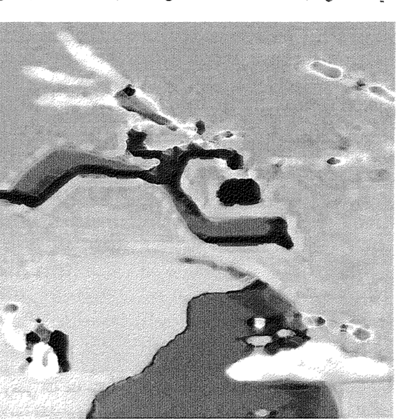
وأما يهود المدينة المنورة فإن النبي، عليه الصلاة والسلام، كتب لهم مع غيرهم من القبائل في يثرب وما والاها ـ بعد هجرته إلى المدينة ـ دستورًا بحيث لا يعتدي أحدٌ على أحد، ولا يغدر أحد بأحد، بل كلهم مدعوون للدفاع عن المدينة إذا هددها غازٍ معتدٍ بصرف النظر عن طبيعة الديانة وأصل العرق، كما أورد تلك الوثيقة العظيمة التي تعد مثالاً راقيًا للتعايش والتحاور بين الناس لبناء الحضارة، وللاستمتاع بالأمن والسلام ابن هشام في السيرة النبوية. وهي وثيقة تنقطع دونها أعناق المفكرين والمنظرين السياسيين أن يجدوا لها مثيلاً قبلها في التاريخ...

إنا نعتقد أن الحوار هو الوسيلة الأرقى لترسيخ ثقافة التفاهم والتسامح بين الناس في أي مجتمع. وإن الذين يبتلون بالخروج عن الجماعة هم الذين يؤثرون ثقافة العنف والقتل على ثقافة الحوار والسلم.

دور التعليم في ترسيخ ثقافة الحوار

إذا أعدنا كل خير وكل شر إلى طبيعة التعليم الذي يتلقاه الشباب في المدارس لم نخطئ: فإن كان خيرًا فلرقي وسائل التعليم وتكامل أطرافها، وتضافر عناصرها من أجل الأخذ بيد الناشئة فلا يوجهون إلى التطرف الأعمى، وإن كان شرًا فلانحطاط التعليم مجسدًا في كل أطرافه. من أجل ذلك نعتقد أنه يجب التفكير بجد في دعم بعض مواد التعليم العام بالتركيز على كيف نتفاهم بعضنا مع بعض أولاً دون التخلي عن مبادئنا وقيمنا الدينية والحضارية معًا، وكيف نتسامح إذا لم تمس كرامتنا فلا نبغي، وكيف نتحاور بالحكمة والعقل فلا نشتط، ونتجادل بقرع الحجة بالحجة ولكن لا نضعف، ونتصاول بدفع الرأي بالرأي الآخر ولكن لا نتعصب...

فسلاح الحوار أرقى وأقوى من سلاح العنف نفسه. ذلك بأن ثقافة العنف لا تبرهن إلا على عجز صاحبها في المواجهة الفكرية، أو قصوره في القدرة على إقامة الحجة على الخصم أو المناوئ، في حين أن الحوار لا يتولد إلا عن تمكن في قوة العقل، ولا ينشأ إلا عن قدرة فكرية على المواجهة، وشجاعة في الصدع بالرأي لبلورة الاختلاف، ثم محاولة تجاوزه، أو التضييق من شقته على الأقل، لإمكان التجانف عن سبيل الانزلاق إلى ثقافة العنف التي، بحكم طبيعتها القاسية على نفسها وعلى غيرها، تهدم ولا تبني، وتضر ولا تنفع.



إن كثيرًا من المربين والحكماء يربطون بين استقرار الأمة أو اضطراب حبلها، أو تقدمها أو تأخرها، بنظام التعليم وبرامجه. ولذلك يجب منح العناية الكبرى لبرامج التعليم والمعلم والمتعلم جميعًا؛ لأن مواد التعليم

تشبه جرع الدواء الذي يوشك أن يستحيل إلى سم زعاف إذا لم يقدم إلى المتعلم بالكيفية التي تنفع البلاد والعباد. فكما أن سوء استعمال الدواء قد لا يشفي المريض، بل ربما أرداه، فإن سوء استعمال برامج التعليم، وسوء اختيار المعلم، قد لا يعلم المتعلم فحسب، ولكنه يوشك أن يهوي إلى مزالق التهلكة والفساد في الأرض.

إننا نستطيع أن ننشئ جيلاً متحمسًا إلى استعمال العنف، وإلى التسلح بالحقد، كما يفعل الصهاينة ضد العرب؛ فهم لا يعرفون غير استعمال العنف، ولذلك لم يكن منتظرًا في هذه الحال إلا ممارسة العنف المضاد من المظلومين والمضطهدين. إن قريحة الفتى هي أنقى من ماء المطر، ويمكن للمعلم السيئ، أو الوالد الذي ينقصه الوعي، أن يزرعا فيها قنابل موقوتة توشك أن تنفجر في أي وقت فتهز الاستقرار، وتقلق الاطمئنان، ولا يخرج أي طرفٍ من وراء ذلك غانمًا إلا الخسران والبوار.

لعل ثقافة الحوار تكون أفضل وسيلة لبناء الحضارة، وترسيخ الاستقرار، والتمكين لطمأنينة النفوس، في حين أن ثقافة العنف يجب أن تكون أسوأ وسيلة وأقبحها لتحقيق المبادئ. وكثير ما يظل العنف مجرد عنف فلا يحقق مبدأ واحدًا لأصحابه.

العنف عنفان: مشروع ومرفوض

وعلى أننا نود أن نميز هنا بين أمرين اثنين: استعمال العنف ضد الأجنبي المحتل إذا رفض الخروج من أرض الوطن هو سلوك مشروع، ومبدأ مقدس لدى جميع الأمم، وعبر كل التواريخ. فالتسامح إذا كان على حساب المبادئ والثوابت اغتدى تواطؤًا مع المحتلين، وتعاونًا معهم، وغدرًا وخيانة لبني الوطن. فهذا، إذًا، ليس عنفًا، ولا إرهابًا -وليكن ذلك في أية صورة من صوره الاستشهادية- ولكنه دفاع مشروع عن النفس، ونضال نبيل من أجل تحرير الوطن. وكل من يصف سلوك الذين يقاومون من أجل تحرير وطنهم بأنهم إرهابيون، فلا يعني ذلك إلا رفضه التاريخ السياسي الحديث المليء بأنواع المقاومة في كل أنحاء الأرض من أجل تحرير الوطن، ومن ذلك: أولئك الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي في الجزائر حتى أخرجوه. ومنهم أيضًا أولئك الذين قاوموا الاحتلال الفرنسي، ثم الأمريكي، في الفيتنام حتى أخرجوهما إلى الأبد.

نقرر ذلك حتى تكون الأمور واضحة في الأذهان، وحتى لا يؤول كلامنا تأويلاً سيئًا بتحريف معانيه عن مواضعها.

■ وأيًا كان الشأن فإن ثقافة العنف ليست من القيم العربية الإسلامية؛ فقد عايشت المجتمعات الإسلامية منذ القدم من بغداد إلى قرطبة وغرناطة، اليهود والنصارى والصابئة، فكانت كل طائفة تأخذ نصيبها من حرية الدين، وحرية الرأي، وحرية السلوك في مجتمع متعدد الطوائف، مختلف الأعراق ■

في حين أن العنف إذا شن على الدولة الوطنية، وعلى النظام العام للحاكم المسلم، من قبل جماعات مسلحة وطنية، وذلك بالإقدام على القتل الأعمى الذي يحصد أرواح الأبرياء؛ وذلك من أجل إزالة هذا الحكم الثابت بنظام عام، فهذا أمرٌ يرفضه العقل، وكل القيم والقوانين الدنيوية؛ لأن سفك دماء الأبرياء محرم في جميع الديانات والقوانين الوضعية.

أسباب تنامي الثقافتين

ولنبدأ بمحاولة تعليل تنامي ثقافة العنف في بعض الأقطار العربية والإسلامية الذي ظاهر سببه بسط العدل في المجتمعات، وباطنه التطلع إلى الاستيلاء على كرسي السلطة. والحق أن لتنامي ثقافة العنف أسبابًا كثيرة تحتاج إلى دراسة مستفيضة ومتأنية، ويمكن في هذه العجالة أن نذكر طائفة منها لاستيفاء عناصر مضمون المقالة حقه، أو حقها من باب مضمون المقولة التراثية: ما لا يدرك كله، لا يترك جله وهي:

- التسرع والتبسط في فهم المبادئ الدينية، والتساهل في استعمالها طريقًا لممارسة العنف من أجل تحقيق أهداف دنيوية غالبًا، هي انتزاع كرسي الحكم من الغير للنفس.

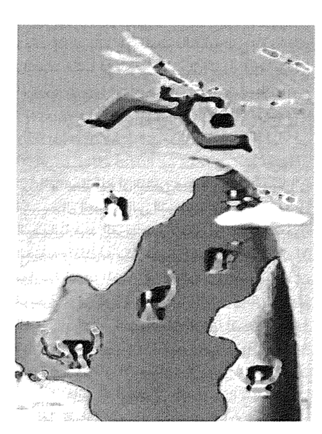


- استغلال الفوارق الاجتماعية وسوء الأحوال لدى عامة الناس، وقصور ذات اليد عند بعض الطبقات الشعبية المسحوقة بالفقر وشدة الحاجة، من قبل الجماعات التي تريد أن تستولي على كرسي الحكم بالقوة، بدفع مجموعة من أولئك الشباب المطحونين إلى ممارسة العنف، واستسهال قتل نفوس الأبرياء التي حرم الله. وهؤلاء المساكين، حتى لا نقول المغامرين، كثيرًا ما يضحون بأنفسهم وشبابهم دون أن يحققوا غاية تذكر، أو هدفًا يشكر.

- تؤدي وسائل الاتصال والإعلام في تأجيج نار العنف دورًا هامًا: فكثير ما يسمع الشباب عن عملية استشهادية في فلسطين فيعتقدون أنهم بقيامهم بعملية مثلها في وطنهم، وضد دولتهم الإسلامية ومواطنيهم المسلمين، مما يماثل ما يرون في فلسطين أو العراق.

- انعدام التعاون بين الدول العربية والإسلامية بالمقدار الذي يسمح بتقليص نشاط العنف والتقليل من غلواء ثقافته التي لا تزال تستشري كل يوم. فحين اندلع العنف في الجزائر منذ أكثر من عشر سنوات كان كثير من الدول العربية في المشرق والمغرب يعتقد أن ذلك مجرد ظاهرة محلية، ذات أسباب وطنية خالصة، ولا يمكن أن تكون جاءت من عوامل خارجية، كما لا يمكن أن يتأثر بها الخارج من الجيران والأباعد على حد سواء، إلى أن استفحلت الظاهرة هنا وهناك، وبات كل قطر عربي غير ناج من شرها المحدق إما عاجلاً وإما آجلاً. فأي نظام عربي، على عهدنا الراهن، يعتقد أنه غير معني بإمكان التعرض لثقافة العنف هو سيئ التقدير للأمور.

وإنا لا ندعو إلى التعاون التقليدي المخابراتي والبوليسي بين الدول العربية، فهذا أثبت فشله، وقصور أهدافه، وسوء تطبيقه؛ ولكننا ندعو إلى التعاون الفكري بإقامة الدراسات والبحوث والندوات والاستعانة بالخبراء الاجتماعيين، والمثقفين والمفكرين، والسياسيين العرب معًا لتقدير الأمور،



ومعالجة الأسباب بالحكمة والتدبير، لا باستعمال العنف المضاد الذي لا يزيد النار إلا تأججًا، والشر استشراءً.

- انعدام الحريات بالمقدار الكافي في بعض البلدان العربية قد يكون من الأسباب التي تحمل بعض الشباب على التصرف بعنف؛ فيصير العنف وسيلة للتعبير عوضًا عن إبداء الرأي، وحرية التعبير. من أجل ذلك ندعو جميع الدول العربية إلى بذل مزيد من الجهد في التسامح بالقياس إلى حرية التعبير، لإتاحة الفرصة للمواطنين لينتقدوا ما يرونه غير صالح؛ ولتوضع، في أثناء ذلك، قواعد لعبة لاتخرق، وخطوط حمراء لا تتجاوز- فليس البريطانيون والأمريكيون والفرنسيون أفضل منا في مجال حرية التعبير. فكل ما في الأمر أنهم وضعوا قواعد وحدودًا يحترمها الإعلاميون والمثقفون والعسكريون على حد سواء.

وبعبارة أخرى، فليس ينبغي أن تكون حرية التعبير أداة هدم للقيم، ووسيلة زرع للفتنة بين الناس باسم الحرية ألتي لا يمكن أن تكونً مطلقة أبدًا، ولكن يجب أن تظل حرية مسؤولة لكي تساعد في البناء، لا أن تفضي إلى الهدم والفوضى.

- سوء برامج التعليم، وسوء اختيار المعلمين؛ فالمعلم في بعض الدول العربية يعد مدخنة متنقلة، لا

منارة مضيئة، لاستخذاء حاله، وفقر جيبه، وانحطاط مكانته، وقلة زاده من العرفان. فالمجتمع الذي يكون فيه المعلم أضأل الناس شأنًا، وأحطهم منزلة اجتماعية، لا يكون فيه خيرٌ أبدًا. وكيف ترجو من معلم اختير من بين ضعفاء المتخرجين ليتكفل بتطبيق برنامج تعليمي راق؟

وحين نتحدث عن التعليم يجب أن نتحدث عن ثلاثة أطراف فيه تتضافر وتتظاهر لتوفير تعليم متطور ينتمي إلى هذا العصر وهم:

أ- المعلم الكفؤ وهو الأهم في هذه الأطراف، لأنه الوحيد القادر على الفعل والتنوير والإبداع والتوجيه لفلذات الأكباد. ومن الغبن حشر خمسين أو ستين طفلاً في صف واحدٍ ليتولى أمرهم المفلس معلم لا هو في العير ولا النفير. فالمعلم يجب أن يكون منارة في اكتساب المعرفة وتلقينها، ونموذجًا راقيًا في حسن الهندام والسلوك ليكون مثالاً يحتذيه الشباب: وإلا فليقرأ السلام على العلم والتعليم، والتربية والتوجيه.

ب- برامج التعليم التي لا ينبغي لها أن ترتجل أو يقع الاستخفاف بها لدى إعدادها؛ فعلى القائمين على التعليم في أي قطر عربي أن يخضعوا ذلك لمناقشة وطنية عامة يشارك فيها كل المستنيرين لاختيار أنجع المواد وأنفعها لترقية المواطن وتطوير الوطن.

وكم كنت أود لو أن الله، تبارك وتعالى، يقيض للأمة العربية رجلاً صالحًا يقترح على الجامعة العربية التي لم تعد إلا ظلاً جامدًا، وشبحًا فانيًا، من أجل توحيد بعض مواد التعليم في عامة الأقطار العربية، كمواد العربية، والتربية الدينية، والتاريخ الإسلامي، مثلاً...

ج- والعنصر الثالث هو وسائل الاستقبال البيداغوجية مثل: القاعات، ووسائل الإيضاح، والتقليل من عدد التلاميذ في الصف الواحد، وهلم جرًا.

ولكن العنصر الأهم في هذه الثلاثة يظل هو الإنسان، أي المعلم؛ ولذلك من الضروري ترقيته اجتماعيًا برفع مرتبه، وعلميًا بتنظيم ندوات دورية لترقية مستواه المعرفي وعصرنته.

- سرعة الاتصال (الإنترنت، الهاتف الجوال ...)، وسهولة الحصول على الأسلحة الفتاكة ويسر استخدامها. فلا شيء أيسر في هذا الزمن من القتل إذا غاب الوازع الديني، والضمير المتخلق.

تلكم أسباب قليلة، من أسباب كثيرة، تقوم مجتمعة أو متفرقة وراء تنشيط ثقافة العنف لدى الشباب في زمننا هذا. سبيل الإصلاح

إنه لا مناص من بذل أقصى الجهود الممكنة في حسن التوجيه الديني باختيار أكفأ الأئمة وأساتذة العلوم الدينية في المدارس والكليات، وفي التربية السياسية الراقية، بالتكثير من الجمعيات التنويرية التي تسهر على تربية الشباب، وتسهم في توجيههم وإعدادهم.

وليس ينبغي أن ننسى دور الأسرة في تربية أبنائها وبذل أقصى الجهد في تربيتهم وحملهم على التعايش والتسامح في الشارع مع الآخرين. فالطفل يجب أن يغرق بالحنان حتى ينبذ العنف، ويغمر بالمحبة حتى لا يمتلئ قلبه بالبغضاء؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للتربية الاجتماعية والوطنية والإنسانية معًا. فكثير من الأسر الفاشلة تكل دور تربية أبنائها إلى المدرسة: فإذا تصادف ذلك مع معلم سيئ، وبرنامج تعليم منحط المواد؛ فإن الصبي ينشأ، في الغالب، على حب العنف، فيجنح لاتخاذ كل الصفات المذمومة سيراً له في المجتمع الذي يعيش فيه ليضيره تحت أوهى المبررات. ■

■ **فسلاح الحوار أرقى وأقوى من سلاح العنف نفسه. ذلك بأن ثقافة العنف لا تبرهن إلا على عجز صاحبها في المواجهة الفكرية، أو قصوره في القدرة على إقامة الحجة على الخصم أو المناوئ، في حين أن الحوار لا يتولد إلا عن تمكن في قوة العقل، ولا ينشأ إلا عن قدرة فكرية على المواجهة، وشجاعة في الصدم بالرأي لبلورة الاختلاف، ثم محاولة تجاوزه، أو التضييق من شقته على الأقل** ■

لماذا تعلم الأوروبيون من أرسطو
وأهمل العرب أبا حيان التوحيدي ؟

حتى لا تُقلب الطاولة على رؤوسنا

سوسن الأبطح - لبنان

لا يكف المفكر محمد أركون عن السؤال حول سبب اختفاء «المناظرة» من الأدب العربي. وسؤاله هذا ينطوي على خبث علمي يستحق الاهتمام، في زمن يدّعي كلٌّ امتلاك الحقيقة المطلقة. فالمناظرة كانت قد ازدهرت على حساب الشعر منذ القرن الثاني الهجري، بسبب ظهور الفرق والشيع الدينية والسياسية وحاجة المختلفين للدفاع عن وجهات نظرهم في مواجهة مناوئيهم ضمن إطار علمي يحفظ الحقوق والرقاب.

وحسب ما جاء في الكتب فإن هدف «المناظرة»، حينذاك، كان إظهار الحقيقة الموضوعية لا الحقيقة النسبية التي يفترض كل من الطرفين المختلفين امتلاكها، والوصول إلى هذه الغاية يتحقق بإعمال البصيرة التي هي للقلب بمنزلة البصر للعين. لكن أركون يشدد على أن المتناظرَين يتحاوران وكل منهما ينظر في عين الآخر من دون مراوغة أو مخاتلة. أي أن القصد هو المواجهة بين المتباينين. والسؤال المطروح من قبل أركون لا يهدف إلى نبش الماضي قدر ما يحاول الانقلاب على تعنت الراهن وجموده. ومن المفيد أن نتساءل، اليوم، حول سبب اختفاء فن حواري بديع، كان جزءًا من صلب الحياة السياسية والثقافية العربية لصالح فنون اعتنقت أساليب المونولوج الداخلي، والتهويمات الوجدانية الذاتية التي تجعل المرء شغوفًا بذاته، منغلقًا عليها، غارقًا في مستنقعات أخيلتها. ولو ألقيت نظرة عجلى على دواويننا الشعرية ورواياتنا التي كتبت في السنوات العشر الأخيرة لهالك هذا الكم الكبير من مناجاة الذات المبثوث فيها، الذي لا يؤدي إلى ما هو أبعد من اجترار الألم والإحباط المجانيين. وبإمكاننا أن نستشهد بعشرات المؤلفات المشغولة بحوار أحادي مغلق لا يبدو أنه قادر على كسر حلقة البؤس التي يدور فيها. والأمر ليس عائدًا إلى طبيعة الفن الروائي أو الشعري بقدر ما هو متعلق بمزاج الكاتب نفسه الذي يعتبر نفسه، بتهويماته هذه، امتدادًا لفنون غربية، فردية النزعة، دون أن يدرك أن الفردية عند غيره، هي فردية مشرعة النوافذ والأبواب، تواقة للتجدد والتمدد، والتوغل في أحلام الآخرين ورغباتهم.

أهي فردية عربية ولدت ممسوخة، بسبب إصرارها على تقليد الآخر دون وعي عميق بالذات؟ ربما... لكن ما نستطيع معاينته بوضوح أن الزمن الراهن هو حواري بامتياز، وأن فنونه كلها حوارية تثاقفية. فالرواية التي استشهدنا بها أعلاه قامت في الأصل على الحوار بين أبطالها، وكذلك هي حال السينما، والبرامج التلفزيونية العالمية الأكثر رواجًا، اليوم، هي «التوك شو»، والموسيقا الأكثر شهرة هي التي تعرف كيف تمزج الفولكلوري بالكلاسيكي والشرقي بالغربي، حتى لا نعرف ونحن نسمعها من أين طلعت ولا كيف استوت على ما هي عليه. أما الكومبيوتر فلم يصبح شعبيًا ومحببًا للناس قبل أن يقترن بشبكة الإنترنت وما تتيحه لمشتركيها من تناقل للبريد وسحر «الشاتينج» الذي خلب الألباب. وترى الأمريكيين وكأنما لم يكفهم أهل الأرض فنصبوا أجهزتهم تنصتًا على أصوات تأتيهم من كواكب أخرى علهم يعثرون على من يتواصلون معهم من مخلوقات مغايرة لهم. وأن نعيش ثورة

تكنولوجيا التواصل يعني بكل بساطة أننا محكومون بالحوار، وأن التحاور مع الآخر هو قدر أهل الألفية الثالثة، أحبوا ذلك أم أبغضوا. أما لماذا تشتد وطأة التطرف والتصلب، شرقًا وغربًا، لحظة يحتدم الكلام ويتكاثف الاتصال؟ فعلى هذا السؤال يجيب الأنثروبولوجي الفرنسي الفذ كلود ليفي ستراوس معتبرًا أن البشرية أمام هذا الانقلاب الكبير الذي يجعل الناس على اختلاف أعراقهم وأجناسهم أكثر التصاقًا واختلاطًا من أي وقت مضى يشعرون بالرهبة وبخطر شديد يتهدد خصوصياتهم. فالإنسان حين يشعر بأن ذاتيته قد تخدش أو تنتهك، يتقوقع ويغلف نفسه بقشرة صلبة من الأفكار والمعتقدات التي يظن أنها قد تقيه شر الهجمة. وكلما ازداد الإنسان ضعفًا وخوفًا بدا أكثر قسوة وشراسة لا بل وعنفًا. وارتفاع حدة العنف في المنطقة الإسلامية عمومًا ليس بحاجة لمن يثبته. ومقاومة المحتل أو مناهضة المعتدي ليس وحده المسؤول، إذ تقول الإحصاءات إن ٦٠٠ ألف قتيل مسلم، هو تعداد الضحايا الذين حصدتهم أيدٍ شقيقة حتى الآن والحبل على الجرار. فالخلافات العربية - العربية مثلاً، والنزاعات بين الإخوة أنفسهم في البلد الواحد ليست أقل دموية من تلك التي يواجه بها المحتل أو الغازي. فالهزال، وحدة الخوار، وقلة الحيلة، وامتهان حرفة النظر من زاوية واحدة تزن ثقيلاً على الروح. وأعراض الإرهاق العقلي واضحة على الجميع. فيكاد كل بلد عربي يكون مشغولاً بصراع مع دولة أو أكثر في محيطه خلافًا على ترسيم الحدود أو رهانًا على مكسب ضيق الأفق. وليس مبالغة أن كل دولة عربية تضمر في تركيبتها الذاتية، وتحديدًا بسبب ضيق صدر أبنائها ببعضهم، عناصر تفجرها وتشظيها. فاللبنانيون رغم أكثر من عقد ونصف من الموت والدمار خلال الحرب الأهلية لم يشفوا بعد من طائفيتهم، والمصريون لم يتعلموا الدرس بالدرجة التي تحميهم شر أنفسهم، والجزائريون غائصون في مجازر تقشعرّ لها الأبدان، فيما السودانيون هم في مغطس موحل حتى تحار كيف لهذا البلد الغني أن يخرج من قلة حيلته وفقره إلى دنيا الإنتاج والسلام؟! واللائحة طويلة، والأسباب قد تبدو متباينة لكنها في العمق شديدة التشابه في بواعثها وإمكانية حلها. ومن المحال أن تطلب من أمة تتكلم لغة واحدة تشتبك فيما بينها بصراعات، تحت عشرات العناوين، أن تتفاهم مع أمم تحتاج للتواصل معها إلى مترجمين محلفين.

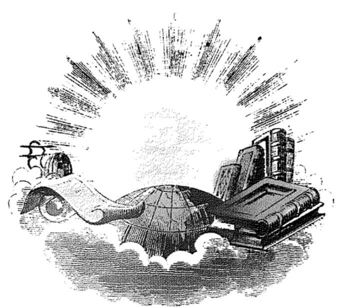
والذي يحير العرب دائمًا هو كيف لهؤلاء الأوروبيين أن يتحدوا على اختلافهم، بينما هم يقتتلون رغم تشابههم. والجواب موجود في البرلمان الأوروبي حيث اللجان المتشعبة تتحاور حول أصغر صغائر الأمور وتتباحث وتتناظر لساعات، وربما لسنوات، متمترسة خلف صبر أيوب، كي لا يبقى تفصيل حياتي إلا ويجدون حوله تسوية ما ترضي كل الأطراف. فهل ورثة أرسطو - ذاك الأستاذ الكبير الذي احترف النهج الحواري المبني على تحريض الأسئلة وحض الإجابات والمناقشات بين طلابه - قد استفادوا من جدهم وطوروا أسلوبه وعرفوا كيف يستفيدون من فلاسفتهم، بينما فشل العرب في قراءة المناظرات التي رواها عبقريهم أبو حيان التوحيدي، وتطويرها والبناء عليها. والدكتور حسين الصديق في كتابه «المناظرة في الأدب العربي - الإسلامي» يستغرب لماذا أهمل العرب هذا الفن ولم يدرسوه ويشرحوا مناهجه وأساليبه وخلفياته ونتائجه. وهي ملاحظة قد تبدو رمزية لكنها ذات دلالة عميقة في دول لا تتوقف عن عقد المؤتمرات والندوات والاحتفاليات

الإنسان حين يشعر بأن ذاتيته قد تخدش أو تنتهك، يتقوقع ويغلف نفسه بقشرة صلبة من الأفكار والمعتقدات التي يظن أنها قد تقيه شر الهجمة. وكلما ازداد الإنسان ضعفًا وخوفًا بدا أكثر قسوة وشراسة لا بل وعنفًا

الثقافية والدعوة إلى محاضرات ونقاشات على مدار السنة دون أن يتمكن الحوار من التقدم . أوليس أمرًا غريبًا أن لا يؤدي هذا الولع بالاجتماعات السياسية التي تدوم ساعات والأمسيات الثقافية التي تطول لأيام إلى غير ثرثرة تراوح مكانها في أحسن الأحوال، ومزيد من الخلاف في غالبية الأحيان.

يقول المستشرق الفرنسي غي مونو: «إن الحوار المؤهل للنجاح هو الذي يأتيه الأطراف المعنيون وهم يعرفون سلفًا أن ثمة عند الآخر ما يستحق الإنصات إليه. ويحقق الحوار بعضًا من مبتغاه حين يخرج منه هؤلاء المتحاورون، وكل منهم قد تبدل شيء ما في نفسه وقناعاته». أما الحوار الذي تذهب إليه، وليس في ذهنك غير القضاء على الآخر بالضربة القاضية، فهو محض مضيعة للوقت، وضخ للحساسيات وتغذية للبغضاء.

بإمكاننا أن ننظر ما طاب لنا في موضوع «الحوار»، شرط أن ندرك في قرارة أنفسنا أن الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل لم تبدأ بعد. فالشرط الأساس للتحضير لحوار عفي هو تدجين البصر على رؤية الشيء الواحد من زوايا مختلفة، ومقاومة العناد والجمود وترويض الذهن على فتح بصيرته لتكشف بنورها أبعاد المشاهد وامتداداتها، والإقرار عميقًا، في الوقت نفسه، بأن الإنسان الواحد بمفرده هو أعجز من أن يستطيع توسيع حدقة العين بحيث تقدر أن ترى الحقيقة كاملة. لأن «الإنسان



والذي يحير العرب دائمًا هو كيف لهؤلاء الأوروبيين أن يتحدوا على اختلافهم ، بينما هم يقتتلون رغم تشابههم . والجواب موجود في البرلمان الأوروبي حيث اللجان المتشعبة تتحاور حول أصغر صغائر الأمور

مستطيع بغيره» كما قال المعري، وهو لا شك على صواب. وصحيح أيضًا أن «الجحيم هم الآخرون» كما يعتقد سارتر «لكن النعيم، في الوقت نفسه، لا يمكن أن يكون حقيقة أرضية من دون وجود المختلفين وتعايشهم وإفادتهم بعضهم من بعض. فلا معنى لليل من دون النهار ولا أمل برؤية روعة الغروب دون تلك اللحظة المهيبة التي يختلط فيها سحر الضوء بغموض العتمة. ولنعترف قبل أن يفوت الأوان أن ليس هناك أقبح من النمط الواحد، والفكر المقولب واللباس الموحد، وكرنفالات هز الرؤوس إلى الأمام، إيحاء بالتوافق والتناغم الكاذب. وليس هناك أخطر من مجتمعات تعتقد أن الحوار خيار تستطيع أن ترفضه وهي في قلب المعمعة. فالعالم كله شريك في حوار ساخن، والمراجل الفكرية تغلي والغلبة هي لمن يملك مفاتيح هذا الحوار المتعدد الوجوه، الدائر على الكوكب، ويجيد استخدام أدواته ويعرف أسراره وخفاياه ودهاليزه، ويتمتع بحنكة تحريك الدفة بالاتجاه الذي يريد. أما هذا الجمود والهمود والعناد فيجعلنا نختصم مع بعضنا تحت الطاولة. فيما أولئك الذين تمرسوا بفنون الديمقراطية وبناء المصالحات الداخلية والأمن المدني وارتاحوا، بفعل التوافق الذكي، من هموم النزاع مع الجيران والإخوان وأبناء الأعمام والأخوال، فسيعرفون كيف يتقاسمون الحصص على مآدب العمل وفي صالات الاجتماعات، ويقلبون الطاولة على رؤوسنا، ولن نعرف من طعم الجاتو سوى ما نسمعه عن حلو مذاقه وصعب اصطياده.

على «النخبة» التقاعد أو البحث عن دور

«الثقافة الشعبية» في العالم العربي تنمو بسرعة رغم التجاهل والعداء

عمار بكار - الرياض

ليس غريبًا أن تكون أبعاد مصطلح «الثقافة الشعبية» أو «الثقافة الشائعة» (Pop-ular Culture) في العالم العربي جديدة على القارئ، فثقافتنا العربية منذ زمن طويل جدًا ثقافة «النخبة» و«المرجعية» (Authority)، وليست ثقافة العامة والغوغاء. وإذا كان أفلاطون قد طالب بسيطرة العلماء والحكماء والنبلاء على مدينته الفاضلة، وطالب بتهميش العامة واستعبادهم، فنحن بعض من طبق الفلسفة اليونانية على المستوى الاجتماعي والفكري والديني والسياسي والثقافي والإعلامي، وكان هذا التطبيق شأن جميع الشعوب حتى جاءت الفلسفة الديمقراطية/الرأسمالية/الفردية لتنادي بسيادة الأغلبية، والأغلبية دائمًا في كل زمن من الأزمنة وكل مجتمع من المجتمعات هم «الشعب» أو «العامة».

لكن السنوات العشر الأخيرة شهدت تغيرًا سريعًا جدًا في العالم العربي، تغيرًا يسحب البساط بشكل مفاجئ لصالح العموم على حساب النخبة، وهذا التغير حصل على كل المستويات، والسبب هو التكنولوجيا والاتصالات بالدرجة الأولى، وانهيارنا السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي، وانحدار التعليم وفشل الخطاب الديني المعاصر بالدرجة الثانية.

فعلى المستوى الثقافي، بدأت النخبة التي سيطرت على وسائل التعبير وكراسي التلقين فترة طويلة من الزمن تسمع بمنافسة الفرد العادي «الجاهل» الذي صار يتصل ببرنامج تلفزيوني أو إذاعي يسمعه الملايين ليقول ما يريد أو يذهب للإنترنت ليدعي ما يريد، وبدأت نظم الانتخابات تغزونا بضغوط داخلية وخارجية ليرى رجل النخبة نفسه مضطرًا إلى الاستماع والحديث لـ«رجل الشارع». وعلى المستوى الإعلامي، صارت عبارات «النزول لمستوى الشارع» و«المادة الخفيفة» و«اللمسة الشبابية» وصفات سحرية ينطق بها كل من يريد إنقاذ وسيلة إعلامية من الغرق، ليتخلى الإعلام عن تقاليده وينطلق باحثًا عن رغبات «العامة» وشهواتهم لعله يكسب رضاهم وجيوبهم.

دينيًا، ورغم الحث الشرعي المكثف على احترام العلماء وأتباعهم، بدأ ذلك يتلاشى تدريجيًا، حتى صار العلماء ذوو المصداقية في العالم الإسلامي أقل من أصابع اليد الواحدة، وصار كل من يمكنه إصدار شريط «كاسيت» أو كتيب أو المشاركة العاطفية في أحد المنتديات قائدًا دينيًا، بل صار الناس، كل الناس، يفتون ويصدرون آراء دينية جريئة دون أي خجل.

أما على المستوى السياسي فتحدث عن أزمة تعانيها كل الأنظمة السياسية عربيًا، والتي وجدت نفسها في محاولة لمواجهة «من يفهم ومن لا يفهم» ممن يركبون صهوة الإنترنت والفضائيات وحتى رسائل الجوال ليعلنوا عن آرائهم السياسية، حتى اتسع الخرق على الراقع، وصار الحديث عن المشاركة السياسية أمرًا مملاً لأنه حديث كل يوم لكل «فرد».

اجتماعيًا، «كان» الأب ذا تقدير واحترام، و«كان» الأخ الكبير له رأيه، و«كان» لكل قبيلة شيخها، و«كان» لكل أسرة كبيرها، و«كان» للزوج قوامته. أما الآن فالنزعة الفردية تنخر في بنائنا الاجتماعي بسرعة مذهلة، ويتحدث الكثيرون من فئات المجتمع «الشعبية» عن «حقوقهم» الضائعة في زمن سيطرة النخبة.

أما النخبة الثقافية، وهي أعرق سلالات النخب على الإطلاق تاريخيًا، فهي لم تضمحل من الوجود بعد، ولكنها تصارع ذلك، أمام حقيقة أن كل من ظهرت صورته في الجريدة وقال شيئًا ذا معنى، وكل من اقترب من «الشعب» وحفظوا اسمه لسبب أو لآخر صار مثقفًا يستشار في عظائم الأمور قبل صغارها.

ولعل الكثير من القراء (انطلاقًا من الثقافة العربية التي ترفض الموضوعية) يبحث عني بين السطور، هل أنا مع الشعب أم مع النخبة وبماذا أنادي، والجواب: إن الصراع بين النخبة والشعب هو حقيقة قديمة، وتفوق الشعب في القرن الحادي والعشرين هو واقع علينا أن نتعامل به قبلنا أم رفضنا، مع اليقين أن الحق كان في كثير من الأحيان مع النخبة وكان في أحيان كثيرة مع

الشعب لكن هذا لا يغير من الأمر شيئًا.

إن تجاهل النخبة لـ«الشارع» ورفضهم له خوفًا من الطوفان الجارف خطأ فادح، لأن العوامل التي ساهمت في الظاهرة في طريقها للنمو (التكنولوجيا والانهيار العام)، ولذا فإن على النخبة أن تعرف «حدودها» الجديدة وتلزم دوائر التأثير الخاصة بها، وتترك الجماهيرية والحظ و«السوبر ستار» للشعب، وعلى «النخبة» أن تعرف مسؤوليتها الجديدة وهي دراسة هذه الظواهر ومتابعة تفاصيلها ودراسة طرق التحكم فيها إيجابيًا، وإلا صارت كل وسائل إعلامنا مكونة من أغان في غاية السقم ونساء يتمايلن بكل الطرق، ولصارت منابرنا الدينية ملكًا لمن يختطفها لـ«مصلحته»، ولعمت الفوضى، وتهدمت الأسرة، وصارت العناوين الرئيسة في صحفنا عن «الرجل الذي عض كلبًا» وأخبار «السوبر ستار».

لماذا نفعل ذلك؟

هذه الوصفة ليست وصفة سحرية، بل هي قريبة مما يحصل في الحضارة الغربية، والفرق بيننا وبينهم أن مراكز دراسات «الثقافة الشعبية» لديهم تبيع هذه المعلومات للشركات، وللمرشحين السياسيين، ولتجار الأفكار الذين يؤقلمون خطابهم على أساسها، (وهذا طبعًا لا يشمل الطبقة الرفيعة من الأكاديميين والمثقفين الغربيين الذين يبحثون عن سبل الإصلاح والإنقاذ). كما أن الفرق هو أن مفكري «الثقافة الشعبية» يؤمنون بهذه الثقافة كثقافة بديلة (alternative culture)، بينما نحن ندرس هذه الثقافة لأنها في بلادنا «الضعيفة حضاريًا» ستكون تابعة للثقافة الغربية التي تملك كل وسائل التأثير «الشعبية» (الأفلام السينمائية، التلفزيون، الإنترنت، الأغاني، الأزياء، النجوم، الثقافة الاجتماعية...إلخ)، أو ستكون تابعة للجهلة والمغرضين ودعاة العنف والجشعين، وهي بذلك ستكون دائمًا عامل تدمير لا بناء، هذا طبعًا إلا إذا...

إلا إذا ماذا؟

من المؤكد أنه يمكن تمامًا «هندسة الثقافة الشعبية» والتحكم فيها وتوجيهها وتحويلها لعامل بناء بدلاً من أن تكون عامل هدم، ولنا في سيرة رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده أسوة، كما أن لنا في بعض تجارب الثقافة الغربية والقوانين العلمية الاجتماعية عبرة ودروسًا يمكن استقاء الحلول منها، ومن يدري فقد تتحول الجموع العربية من «غثاء كغثاء السيل» إلى عامل بناء شامل وسريع بعد أن فشلت النخبة في معالجة المشكلات المعقدة التي تحيط بنا من كل جانب، وتطبق علينا كما تطبق الأكلة على قصعتها.

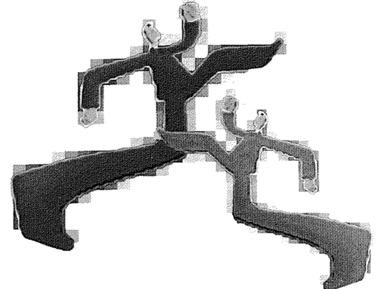
ومهما تكاثرت الحلول وتباينت وجهات النظر، فإننا - في رأيي - يجب أن نرفض تمامًا أي حل يرتبط بالضغط على الثقافة الشائعة ضغطًا قسريًا، وهذا لثلاثة أسباب:

- أن التجارب المعاصرة في بلادنا وفي الغرب تثبت أن الضغط على الثقافة الشعبية لا يلغيها بل يدفعها للتخفي لتتحول «لثقافة تحت الأرض» (Underground culture)، وهذا أخطر أنواع الثقافة الشعبية وأكثرها تدميرًا، لأنها بعيدة عن كل توجيه، وملك لقيادة الشخصيات المؤثرة شديدة السلبية والرفض للمجتمع، ولأنها قد تتجمع شيئًا فشيئًا حتى تنفجر وتفسد في الأرض ويصبح من المستحيل محاصرتها أو التحكم فيها، فضلاً عن إصلاحها.

- الضغط على الثقافة الشعبية في أيامنا هذه صار شيئًا غير ممكن على الإطلاق، لأن التكنولوجيا تجاوزت كل الأبواب وكل الحراس، ولأن أكثر الناس صاروا الآن جزءًا من الثقافة الشعبية، والمواجهة تعني وضع عود في وجه الطوفان.

- عندما تتحدث دراسات «هندسة الثقافة الشعبية» عن التأثير، فهي تتحدث دائمًا عن التغلغل في وسط دوائر الثقافة الشعبية وتحويلها إيجابيًا من الداخل، تمامًا كما يتم تغيير الجينات وهندستها وراثيًا، وليس أبدًا من خلال

أن التجارب المعاصرة في بلادنا وفي الغرب تثبت أن الضغط على الثقافة الشعبية لا يلغيها بل يدفعها للتخفي لتتحول «لثقافة تحت الأرض»، وهذا أخطر أنواع الثقافة الشعبية وأكثرها تدميرًا، لأنها بعيدة عن كل توجيه، وملك لقيادة الشخصيات المؤثرة شديدة السلبية والرفض للمجتمع، ولأنها قد تتجمع شيئًا فشيئًا حتى تنفجر وتفسد في الأرض ويصبح من المستحيل محاصرتها أو التحكم فيها، فضلاً عن إصلاحها



محاربتها أو السعي للسيطرة عليها أو استمالتها من الخارج.

ما الحل إذًا؟

في هذه العجالة «النخبوية» ألخص أهم الأفكار في مجال هندسة الثقافة الشعبية:

مراعاة التنوع: الثقافة الشعبية ليست ثقافة واحدة، بل هي مئات من دوائر الثقافات، تتقاطع بعضها مع بعض وتنتشر بطول وعرض «المساحة الشعبية»، بعض هذه الدوائر سطحي، وبعضها عميق، وبعضها سخيف، وبعضها مرعب، وبعضها كبير، وبعضها صغير جدًا، وبعضها رفيع تلاشى كالضباب، وبعضها سميك محافظ على بقائه، وبعضها واضح كوضوح الشمس، وبعضها خفي جدًا. والتعامل مع هذه الدوائر بطريقة واحدة دلالة جهل، ولا بد من بناء استراتيجيات متنوعة بتنوع هذه الدوائر، وبتنوع الصفات الديمغرافية للأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الدوائر.

مراعاة الصفات المشتركة: ليس هناك خط رفيع يفصل بين النخبة والعامة، فالكثير ممن يظهرون على أنهم نخبويون ينتمون إلى تيارات الثقافة الشعبية في حياتهم الخاصة، والكثير من العامة، سواء كانوا متعلمين أو قراء، مستعدون لدخول عالم النخبوية متى أتيحت لهم الفرصة. هؤلاء الذين يقفون في الوسط على الجدار الفاصل بين النخبة والعامة هم الطبقة التي يمكنها تقديم الحل، وتؤمن التقارب وتسمح بتبادل التأثير.

تحويل دوائر الثقافة الشعبية إلى مؤسسات: قد يحتاج شرح هذا العامل إلى مئات الصفحات، وقد شرح فعلاً في كتب أمريكية وفرنسية مطولة، وقد يختلف الكثيرون في صحته، لكن الدراسات تنادي دائمًا بالسماح لدوائر الثقافة الشعبية للتحول إلى مؤسسات وجمعيات ومجموعات أنشطة. إن التجارب تثبت أن التعامل مع المؤسسة أسهل من التعامل مع الأفراد، والتعامل مع المؤسسة يمكن من إصلاحها ويصلح بذلك معظم أعضاء المؤسسة المخلصين، بينما التعامل مع الفرد صعب ومضيع للوقت أكثر من ذلك، فقد أثبتت كثير من التجارب التي ركزت على إصلاح مجموعات الثقافة الشعبية السلبية مثل المجموعات العنصرية أن تحويل هذه المجموعات إلى مؤسسات يضعها في الضوء الذي يضطرها إلى تبرير فلسفتها، والدفاع عنها والرد على حجج الرافضين لها، وهذا يؤدي في الغالب إلى سيطرة العناصر الجيدة وموت العناصر البكتيرية في ضوء الشمس وفتح أبواب المؤسسة للإصلاح. وعلى كل حال، فإن أي متخصص في الثقافة الشعبية لن يرضى بإمكانية إصلاح «الشعب» أو «العامة» ما لم تكن لهم أنشطة ثقافية واجتماعية وفكرية بأشكال عديدة تنهك القوى السلبية وتستهلك القوى الحائرة وتترك للقوى الإيجابية عجلة القيادة.

استخدام وسائل الثقافة الشعبية: تعتبر التجربة الأمريكية من التجارب الناجحة عالميًا في عصرنا الحديث في استخدام وسائل الثقافة الشعبية للتأثير في الثقافة الشعبية نفسها، فـ«هوليوود» بكل سلبياتها تم الاستفادة منها في كثير من الأحيان لبث رسائل نخبوية داخلية وخارجية وكانت مؤثرة لحد كبير. كما استخدم الأمريكيون الإنترنت بشكل مذهل في نشر رسائلهم حول العالم، واستخدموا النجوم والشعارات الشعبية لنشر الثقافة الأمريكية حول العالم.

إنني لا أفهم بأي شكل من الأشكال كيف تتشدق التيارات النخبوية الإيجابية بالرغبة في إصلاح العموم وهي لا تملك قناة فضائية ناجحة، تاركة الميدان للمتردية والنطيحة وما أكل «السبع»، وكيف تدعي الإصلاح وهي لا تملك مجلة مقروءة شعبيًا ولا جريدة يومية، ولا «نظريات شعبية» (Popular Theories)، ولا حتى تواصلاً معقولاً مع الدوائر الشعبية (أستثني من ذلك شريط الكاسيت الذي استخدم في «بعض» الأحيان إيجابيًا). إن هذا حاصل في كثير من الأحيان لأن النخبة لا ترى إلا النخب، وتظن أن وسائل التأثير النخبوية ستصل إلى العامة، أو أن عصا سحرية ستلامس العامة فتحولهم إلى مستهلكين للوسائل النخبوية.



دراسة الثقافة الشعبية: دعونا هذه المرة نقف ونرفض أي جهود ليست قائمة على تخطيط ولا دراسات. دراسة الثقافة الشعبية من خلال مراكز أبحاث منظمة أمر لا مهرب منه إذا كنا نريد ولو لمرة واحدة «هندسة الثقافة الشعبية». أقسام الجامعات الأكاديمية من خلال أقسام الإعلام والاجتماع واللغة وغيرها يمكنها أن تساهم بشكل هائل في هذا الدور. أيضًا نحتاج مجلات متخصصة في الثقافة الشعبية، وهذه ليست من المجلات التافهة والسخيفة التي تمتلئ بها مكتباتنا، بل من نوع المجلات الذي يقدم تقارير صحفية ودراسات جادة عن الظواهر الشعبية على تنوعها، ويترك للجميع (نخبة وعامة) فرصة المشاركة في تفسير وتحليل هذه الظواهر.

التعليم الراقي والتربية الصارمة: تتميز التجربة الآسيوية بأنها تعاملت مع خوفها من التفاهات الغربية من خلال نشر روح الجدية في أبنائها ورفع مستوى نظم التعليم إلى حدود نسمع عنها ولا نصدقها، واستفادت من ذلك في بناء حضارة سريعة النمو وواسعة التأثير. التعليم الراقي جدًا والتربية الصارمة القائمة على المبادئ التي ترتفع بالذات وليست القائمة على الضغط والاضطهاد هما في رأيي الشخصي الحل الذي يمكن أن تنطلق منه الأمة العربية والإسلامية في استغلال جموع الثقافة الشعبية لتتحول إلى جموع منتجة ذكية جادة تنطلق بمسيرة البناء والتحدي وترفعنا من وحل الحضيض. المشكلة الأساسية في هذا الحل هي أن مؤسسات التعليم الراقي لن يبنيها إلا «النخبة» الذين يؤمنون بهذا الحل ويضحون بالغالي والنفيس لتحقيقه، ويضعون صراعاتهم جانبًا، ولا تغمض عيونهم أجفانها بسلام حتى يسلموا الرايات لمن يقود المسيرة من بعدهم، لو رأيت هؤلاء فقبل رؤوسهم.

الأطفال هم الحل: موضوع الأطفال العرب وما يلاقونه من ازدراء نخبوي عام موضوع كتبت فيه مئات الصفحات وأكل الزمان عليه وشرب، ولا يحتاج لتكرار، فالحقيقة الثابتة الباقية هي أن الأطفال العرب يكبرون دون نظرة رحمة أو عطف ثقافي. الأطفال هم نواة الجيل القادم، والعناية بهم يعني العناية بالبذور بدلاً من إصلاح الأشجار الفاسدة.

فتش عن المرأة: الكثيرون يظنون أن عملية الإصلاح يمكن أن تكتمل دون المرأة، وهؤلاء سواء كانوا من الغربيين أو الآسيويين أو العرب كما تشير التجارب العالمية، فشلوا لأنهم تجاهلوا عنصرًا رهيبًا في تأثيره القوي والخفي في الوقت نفسه. المرأة في عالمنا العربي لا تنتمي إلى النخبة إلا نادرًا، ولا تلقى من نصيب المشاركة الثقافية إلا النزر اليسير، وإن كانت دائمًا هي من تربي وتشارك النخبة حياتهم في بيوتهم وتجاهلها أدى في كثير من الأحيان - بما في ذلك التجربة الأمريكية الشهيرة في الستينيات الميلادية وتجربتنا العربية الحالية - تجاهلها أدى إلى نتائج وخيمة يندم الجميع عليها رجالاً ونساء. إن لنا في الإسلام ما يكفي ليشرح لنا كيف يمكن إصلاح جماهير النساء، هذا طبعًا شريطة أن نعامل المرأة كـ«إنسان».

المصالح العامة: تشير الدراسات إلى أن خير أسلوب للتأثير في عموم الناس هو المصالح العامة، وخير طريقة للحديث عن المصالح هي الطريقة العاطفية، وهذه قاعدة عامة للسياسيين والمفكرين والمصلحين وحتى رجال الأعمال. إنني دائمًا أعجب عندما أقرأ عن هذا من عظمة النص القرآني الذي لم ينس مصالح الناس الدنيوية ومصالحهم الأخروية (الترغيب في جنان الخلد)، واستخدام الأسلوب العاطفي والعقلي في الوقت نفسه، بحيث يبقى هذا النص العظيم معجزًا في تأثيره وعظمته.

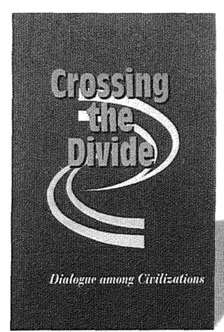
وأخيرًا..

أرجو أن تكون السطور السابقة مقدمة لكتابة أعمق عن الثقافة الشعبية، إذ لم أرد حشو هذه السطور بالنظريات وتفاصيل التجارب العالمية، والحجج المنطقية، وإنما هو استعراض سريع للبؤر المركزية في فهم الثقافة الشعبية، ولعل فيها ما يوحي بإجابات لأسئلة «المعرفة» عن ثقافة الشارع وعن السلام والعنف، كما أرجو أن يكون فيها تذكرة لمن «يحلم» يومًا بعالم عربي «أجمل».

في أحدث إصدارات الأمم المتحدة

تخطي الحد الفاصل.. الحوار بين الحضارات

المعرفة. خاص



عندما أعلن فرانسيس فوكوياما، ذلك الأمريكي من أصل ياباني، نهاية التاريخ في مقالته التي ظهرت بمجلة «ناشونال إنترست» الأميركية عام ١٩٨٩م، فقد أحدث جلبة لا يزال يتردد صداها بين المحللين السياسيين وأساتذة العلوم السياسية في العالم. ومن منطلق مركزه العلمي كأستاذ للاقتصاد الدولي في أعرق الجامعات الأمريكية - أي جامعة جون هوبكنز - فقد رأى البعض أن المقالة تمثل النعي العلمي للاشتراكية باعتبارها أقوى المنافسين للنظام الرأسمالي الأمريكي، ومن ثمّ سيادة الديمقراطية الليبرالية بوصفها «آخر نقطة في التطور الأيديولوجي للبشرية».

وفي مطلع عام ١٩٩٣م، حدثت جلبة أخرى، وإن كانت في الاتجاه المعاكس. إذ أصدر أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد الأمريكية، الدكتور صمويل هنتجتون، مقالته المشهورة حول «صراع الحضارات»، والتي أكد فيها أن المحرك الرئيس للتاريخ لن يكون الدافع الاقتصادي أو الأيديولوجي، إنما الصراع الثقافي بين مختلف الحضارات، خصوصًا بين حضارة الغرب وما عداها من أنماط حضارية - وعلى وجه الخصوص الحضارة الإسلامية.

وبين هاتين الرؤيتين، تعددت الظلال والآراء التي تجمع عمومًا على حتمية الصراع العالمي وعلى قدر غير يسير من التشاؤم بمستقبل البشرية. إلا أن الأمم المتحدة، وهي ترقى في نظر البعض إلى مستوى العقل الجمعي للبشرية، قد اتخذت منحى آخر يؤكد أن المستقبل تحدده الأجيال الحالية ويحتاج تحديده إلى الإرادة السياسية أكثر من احتياجه إلى آليات التطور والصراع التاريخي.

ومن هذا المنطلق، تبنت الجمعية العامة قرارًا بأن تكون سنة ٢٠٠١م (وهي أول سنة في الألفية الجديدة)، سنة للحوار بين الحضارات. وفي هذا الإطار، قام الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، بتكليف مجموعة من عشرين شخصية عالمية بارزة بدراسة أوجه الحوار بين الحضارات. وقامت هذه المجموعة بإصدار كتاب ينطوي على رؤية واقعية وبسيطة لكيفية تذليل معضلة الحوار بين الحضارات في العالم، وجاء الكتاب بعنوان: «تخطي الحد الفاصل - الحوار بين الحضارات».

تأتي أهمية هذا الإصدار، ليس فقط من القيمة الإعلامية للمؤلفين[1]، بل من العمق الذي تم فيه استعراض موضوع التباين الثقافي بين الشعوب والعبء الواقع على كاهل الأجيال الحالية في تخليص أحفادها من صعوبة الانسجام البشري في ظل التباين الحضاري.

وتتمثل النواة الأولى للكتاب في مداولات الجمعية العامة عام ١٩٩٨م، والتي على ضوئها تقرر أن تتخذ الأمم المتحدة من عام ٢٠٠١م سنة للحوار بين الحضارات. ذلك أن الجمعية العامة رأت أن الوقت قد حان أكثر من أي وقت مضى، لبلورة حوار ذي مغزى بحيث يتطرق إلى الفوارق السياسية والدينية

والإثنية والثقافية بين الشعوب، بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بإدراك عناصر التشابه واحتضان التباينات بين الشعوب.

ويرى المؤلفون أن عملية تخطي الحد الفاصل، أيًا كان ذلك الحد، تعتبر الخطوة الأولى نحو إدراك كيفية إدارة وتقويم التباين بين الشعوب. ولا شك أن تجاوز الفوارق سيكون ميزة لا غنى عنها بالنسبة للأجيال في المستقبل، ولا سيما إن كنا نريد لهذه الأجيال أن تعيش في جو من الإخاء والرفاهية والتقدم للجميع. فهل حقًا أن الأجيال الحالية قامت وتقوم بتحميل الأجيال التالية موروث الخوف من التباين؟ وإن كان الأمر كذلك، فعلينا أن نعترف أمام أطفالنا بالخطأ الذي اقترفناه، وأن نتحلى بالشجاعة الكافية لتعلم ما فات علينا تعلمه والعبور إلى الناحية الأخرى من الخط الفاصل.

وعلى الرغم من أن إصدار «تخطي الحد الفاصل ـ الحوار بين الحضارات»، كان إصدارًا مستقلاً نشرته جامعة سيتون هول الأمريكية، إلا أنه يقتفي خطى مداولات الأمم المتحدة في شأن الحوار بين الحضارات. ذلك أن الأمم المتحدة، ومنذ الوهلة الأولى، تطرقت إلى موضوع الحوار من عدة جوانب، بما فيها دور الدين والمنهج العالمي مع التركيز على وجه الخصوص على دور المنظمة الدولية، إلى جانب المنهج الذي يركز على دور الفرد في كل مجتمع من المجتمعات.

وعلى سبيل المثال، عقدت الجمعية العامة جلسة خاصة بحوار الحضارات في مقرها بنيويورك في السادس من مايو ١٩٩٩م. وقد شارك في تلك الجلسة لفيف من العلماء *والمختصين في شتى مناحي العلم والحياة، وذلك برئاسة الإيطالي جياندومينكو بيكو، والذي أصبح مساعدًا للأمين العام* للأمم المتحدة، وتولى فيما بعد رئاسة المجموعة الدولية التي قامت بتأليف كتاب: «تخطي الحد الفاصل ـ الحوار بين الحضارات».

وفي تلك الجلسة انصب حديث أغلبهم على دور الدين، خصوصًا الدين الإسلامي، في الارتقاء بفكرة الحوار بين الحضارات. وأشار د.فارتان جريجوريان، رئيس مؤسسة كارنيجي الأمريكية، إلى الصورة المشوهة عن الحضارة الإسلامية التي تبناها مؤلف قولة «صراع الحضارات»، العالم الأمريكي صمويل هنتجتون. في حين يرى د.جريجوريان أن الإسلام ظل تاريخيًا يضطلع بدور «الجسر ونقطة التقاء الثقافات وفوق كل ذلك الملاذ الثقافي». ويرى أن «صراع الحضارات» يصل إلى نتيجة غير صحيحة تمامًا، وذلك لأن مؤلفه يفتقر إلى الحد الأدنى المطلوب من المعرفة للنواحي التاريخية والثقافية والدينية والاجتماعية للمسلمين.

أما البروفسير علي مزروعي، مدير معهد الدراسات الثقافية العالمية بجامعة ولاية نيويورك، فقد انصرف إلى دور الفرد، باعتبار أن الحضارات تُعبر عن الأفراد، ويوجد الأفراد عادة في مجتمعات صغيرة، وليس على مستوى كتل ضخمة كما توهمنا مطالعة الخرائط بذلك. وعلى هذا الأساس، يجب علينا النظر إلى المجتمعات داخل المجتمعات. ويترتب على هذه النظرة التوصل إلى المخاطر التي تعوق الحوار بين الحضارات، وهي مخاطر ناتجة عن التوزيع غير العادل للمهارات والدخل والنتائج غير المرغوب فيها لظاهرة العولمة وما تنوي عليه من ظلم للدول النامية.

وإذا كانت العولمة هي زوال الحواجز أمام التجارة الحرة بين الشعوب والتكامل بين اقتصاديات البلدان ذات السيادة، فهي بذلك ظاهرة حتمية وربما مرغوب فيها. بيد أن أدبيات الأمم المتحدة تشير دائمًا إلى ضرورة توخي الحرص في إدارة العولمة حتى لا تأتي في منفعة مجموعة من الدول مقابل الإضرار بمجموعة أخرى. ولا شك أن التقنيات الجديدة ستعمل على مساندة التنوع الثقافي من خلال تسهيل مهمة المجتمعات في التعبير عن نفسها. إلا أن الإيقاع المتسارع للعولمة في الوقت الراهن يؤدي إلى تهديد استقرار العديد من الثقافات ذات الطابع المحلي، كما هو الحال في آسيا وإفريقيا.

ويجمع مؤلفو «تخطي الحد الفاصل ـ الحوار بين الحضارات» على أن نقطة الانطلاق الحقيقية *لأي حوار فعلي وبناء بين الحضارات تتمثل في مبدأ الاحترام المتبادل، والتسامح ومبدأ الإدراك* التام لحقيقة أن هنالك كمًا هائلاً من الحضارات في العالم، وليس بضرورة لأن تكون واحدة منها صاحبة القدح المعلى في أي وقت من الأوقات، مع ضرورة عدم إغفال مساهمات بعضها في تاريخ البشرية وفي تحقيق التراكم الحالي من تطور نشهده في جوانب الحياة كافة.

وفي المحصلة، فإن نجاح أي حوار بين الحضارات سوف يتأتى فقط من قدرته على بلورة أسس للتوافق بين الشعوب في جميع نقاط التماس الحالية. ومن ناحية، فإن الحوار يمثل عملية مطلوبة بذاتها، ناهيك مما يتمخض عنها فيما بعد. ومن ناحية أخرى، ليس هنالك من أدنى شك في أن التسامح بين بني الإنسان يعتبر حجر الأساس لقيام عملية التحاور وبناء الثقة بين الحضارات. ■

(١) من بين المؤلفين المشاركين في مشروع الكتاب الدكتور كمال أبوالمجد من مصر، والسيدة حنان عشراوي من فلسطين.

إذا كانت الأمم المتحدة جادة فيما تقول
فهل أصحاب (الفيتو) كذلك ؟

العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف

أحمد أبوزيد محمد . الرياض

«لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن نبني حصون السلام»

لا يملك المرء إلا أن يعرب عن إعجابه الشديد بالعبارة السابقة التي وردت في سياق النظام الأساسي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. وتشكل العبارة السابقة مبدأ أصيلاً تسعى منظمة الأمم المتحدة إلى تكريسه لإنقاذ الأجيال القادمة من ويلات الحرب.

ولم تكتف المنظمة الدولية بأن تدعو العالم إلى اعتبار عام ٢٠٠٠م سنة دولية لثقافة السلام، بل رأت أن القضية تستحق الاهتمام بالقدر الذي جعلها تعلن أن الفترة من ٢٠٠١م إلى ٢٠١٠م ستشكل «عقدًا دوليًا لثقافة السلام واللاعنف من أجل أطفال العالم».

إن هدف العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف من أجل أطفال العالم هو زيادة تعزيز الحركة العالمية لثقافة السلام عقب الاحتفال بالسنة الدولية لثقافة السلام في عام ٢٠٠٠م. والسبيل إلى تحقيق هذا الهدف يتمثل في تنشيط وتفعيل دور المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة وهيئاتها ذات الصلة في هذا الشأن كمنظمة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، وجامعة السلام، وبرنامج الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونسيف)، وبرامج الأمم المتحدة لرعاية اللاجئين. بالإضافة إلى دور الدول الأعضاء من خلال برامج التعليم والتثقيف الرسمية منها وغير الرسمية والتي يتوجب عليها جميعًا أن تسعى لتنمية ثقافة السلام واللاعنف.

وفي السياق السابق، يجب تعزيز دور المجتمع المدني على الصعد المحلية والإقليمية والوطنية من خلال توسيع مجال الأنشطة الرامية إلى تعزيز ثقافة السلام واللاعنف عبر الدخول في شراكات وتبادل المعلومات ليسهم ذلك بدوره في تكوين حركة عالمية لثقافة السلام.

وقد سبق للأمم المتحدة أن تبنت قضايا تصب على نحو متكامل مع فكرة عقد ثقافة السلام واللاعنف، وأبرز هذه البرامج العقد الثالث لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري (١٩٩٣ ـ ٢٠٠٣م)، والعقد الدولي للسكان الأصليين في العالم (١٩٩٤ ـ ٢٠٠٤م)، وعقد الأمم المتحدة للتثقيف في مجال حقوق الإنسان (١٩٩٥ ـ ٢٠٠٤م)، وعقد الأمم المتحدة للقضاء على الفقر (١٩٩٧ ـ ٢٠٠٦م). ومن شأن العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف لأطفال العالم (٢٠٠١ ـ ٢٠١٠م) أن يساعد على رسم الطريق الذي ستسلكه الأمم المتحدة في القرن الحادي والعشرين صوب إقامة مجتمع عالمي عادل وسلمي.

وقد تضمن برنامج عمل العقد بشأن ثقافة السلام الذي اعتمدته الجمعية العامة في ١٣ سبتمبر ١٩٩٩ كامل نطاق الأعمال اللازمة للانتقال إلى ثقافة السلام واللاعنف والتي تتمثل في:

- إشاعة ثقافة السلام من خلال التعليم.
- التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة.
- احترام جميع حقوق الإنسان.
- المساواة بين المرأة والرجل.
- المشاركة الديمقراطية.
- التفاهم والتسامح والتضامن.
- الاتصال القائم على المشاركة وحرية تدفق المعلومات والمعرفة.
- السلم والأمن الدوليان.

وينبغي أن يكون الأطفال محور العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف حيث ذكر قرار الجمعية العامة ٥٣/٢٥ المنشئ للعقد أن الأطفال يعتبرون موضع ضرر ومعاناة هائلين من خلال أشكال العنف المختلفة (التي يتعرضون لها) على جميع أصعدة المجتمع في أنحاء العالم كافة. ومن ثم، فإن التخفيف من هذا العنف والقضاء عليه هو أحسن هدية نعطيها لأطفالنا.

إن نقل الأطفال من ثقافة الحرب والعنف إلى ثقافة السلام واللاعنف لن يجد لذلك سبيلاً إلا من خلال التعليم، وعليه يجب إعطاء الأولوية لتعليم الأطفال مبادئ وممارسات الديمقراطية



عن طريق ممارستها في البيئتين النظامية وغير النظامية، وعن طريق إتاحة فرص حقيقية لاشتراكهم في المجتمع المدني، والاهتمام بالتنمية والاتصال لأثرهما المهم على الأطفال في المجتمع.

أما التعليم من أجل ثقافة السلام واللاعنف فيجب أن يتبع النهج الذي ينص عليه إعلان حقوق الطفل واتفاقية حقوق الطفل، أي النهج الداعي إلى إعداد الطفل لحياة تستشعر المسؤولية في مجتمع حر، بروح من التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات الإثنية والوطنية والدينية والأشخاص الذين ينتمون إلى السكان الأصليين، مع عدم قصر المسؤولية في ذلك على المدارس وغيرها من الجهات التعليمية.

إن التعليم المستهدف لا يقتصر فقط على التعليم النظامي في المدارس وإنما يمتد للتعليم خارج المدارس والتعليم غير النظامي في جميع المؤسسات الاجتماعية بما في ذلك الأسرة ووسائط الإعلام.

إن إشاعة ثقافة السلام واللاعنف في التعليم يتطلب الآتي:

- تنقيح المناهج الدراسية، لاسيما كتب التاريخ المدرسية، وذلك من أجل تعزيز التفاهم المتبادل وتقوية الوئام الاجتماعي ومحو الأفكار المسبقة أو الأفكار النمطية ضد بعض الفئات.
- وضع مواد جديدة في المناهج الدراسية تتناول السلام واللاعنف وحقوق الإنسان، حيثما كان ذلك مناسبًا للثقافة وبيئة التعليم.
- إتاحة الفرصة لجميع أفراد الأوساط المدرسية أو غيرها من أوساط التعليم (الأطفال، الآباء، المدرسون، النظار، المديرون) للمشاركة في العمليات الديمقراطية لاتخاذ القرار.
- تعزيز التعدد اللغوي وتشجيع التعددية اللغوية، بما في ذلك محو الأمية والتعليم باللغة الأم واللغات المحلية للأقليات كأحد الحقوق الأساسية من حقوق الإنسان.
- إنشاء شبكة تربط المؤسسات الوطنية والمنظمات غير الحكومية والمتخصصين في تعليم التربية الوطنية، وذلك بهدف إدماج مختلف الأساليب المستخدمة في التعليم بثقافة السلام داخل إطار نظري مشترك.
- وضع طرق التسوية السلمية للمنازعات والعنف في السياقات التعليمية الرسمية وغير الرسمية، فضلاً عن المجتمع ككل، بحيث تشمل النهج التقليدي لحل المنازعات، والأساليب التي تأخذ في الاعتبار المناخ السياسي الحالي، وتكنولوجيا المعلومات الجديدة حيث كان ذلك مناسبًا.
- تعزيز الدور الفعال للأسرة والمجتمع المحلي في نهج تشاركي لتحديد معنى ثقافة السلام وكيفية تعزيزها في السياق المحلي.
- برامج تعليمية خاصة للأطفال ضحايا الصراعات العنيفة، مثل اليتامى واللاجئين والمشردين وحتى الأطفال المجندون، فضلاً عن برامج خاصة للأطفال ضحايا التهميش والتشرد والمصابين بمرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز).
- مراعاة الفروق القائمة في المجتمعات التي تمر بصراعات مسلحة، والمجتمعات التي ينتشر فيها التعصب أو العنصرية، أو الاضطرابات المدنية على نطاق واسع.
- تعزيز ثقافة السلام عن طريق المشاركة في الأنشطة الرياضية والفنية حيث يتعلم الأطفال النزاهة وروح المشاركة والتي تعتبر قوام ثقافة السلام.
- يجب أن تركز وسائط الإعلام والأفلام وبرامج الرسوم المتحركة على تعزيز المحتوى والمضمون

الأخلاقي، وتكف عن الترويج للعنف والتعصب، بل إن لعب الأطفال يجب أن تركز على الجانب الإبداعي والتشاركي أكثر من تركيزها على أساليب العنف وتحقيق النصر عبر وسائط عنيفة.

- ينبغي على السلطات المحلية والبرلمان والحكومات الوطنية أن تشجع وسائط الإعلام على ترويج ثقافة السلام واللاعنف فضلاً عن مراقبة وتقنين وسائط الإعلام من أجل القضاء على التعصب والاستغلال الجنسي والعنف المفرط. ويجب أن يتم ذلك بالتنسيق مع المنظمات الحكومية الدولية أيضًا، ولو على سبيل تقديم المشورة، لأن الكثير من وسائط الإعلام يتعدى تأثيرها الحدود الوطنية كشبكة الإنترنت على سبيل المثال.

اليونيسيف: قول يتبعه عمل

أعلنت اليونيسيف - أو صندوق رعاية الطفولة التابع لهيئة الأمم المتحدة - برنامج عملها لمناهضة الحرب وجاء فيه:

«قد لا تكون الخلافات من الأمور التي يمكن تفاديها، أما العنف فلا يمكن أن يكون كذلك، ومن أجل منع استمرار حلقات العنف يجب أن يسعى التثقيف إلى الترويج للسلام والتسامح، لا أن يشجع على الكراهية والشك».

ومن بين المبادرات العديدة التي قامت بها اليونيسيف ما يلي:

- مشروع «التثقيف بهدف حل الصراعات» في سري لانكا، واستفاد من هذا البرنامج أكثر من مليون طفل في المدارس الابتدائية ويجري إدخاله حاليًا في المدارس الثانوية.

- مشروع «قيم للحياة» في مصر، وأثمر وضع مواد تفاعلية لمساعدة الأطفال في سياق مواقف تربوية غير رسمية.

- حركة الأطفال المناصرين للسلام في كولومبيا ومشاريع «من الطفل إلى الطفل» لصالح الأطفال المشردين داخليًا.

- مشروع «التربية من أجل السلام» في رواندا، ويهدف إلى إشاعة السلام بين عرقي البلاد من خلال المنهاج الدراسي للمدارس الابتدائية.

ثقافة السلام: هل هي فكرة أفلاطونية؟

حينما يطالع المرء قرارات الجمعية العامة المنشئة «للعقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف من أجل أطفال العالم» وكذلك البرامج الخاصة «بمكافحة العنصرية والتمييز العنصري»، و«مكافحة الفقر»، و«مكافحة تفشي أمراض الإيدز» وغيرها.. وغيرها يشعر أنه يعيش حلمًا جميلاً يتمنى ألا يستيقظ منه أبدًا، خصوصًا أنه يرسم مستقبلاً رائعًا لأبناء العالم حيث يستمتع الأطفال بصحة جيدة وتعليم راق وفرص عمل واعدة وتزاوج حضاري مفيد، عالم يسعى فيه الغني لمد يد العون للفقير، والقادر يقدم المساعدة للمحتاج، لكن هذا الحلم الجميل سرعان ما يتبدد أثره حينما يدرك المرء الحقائق التالية:

- سلب العالم «المتحضر» ثروات وكنوز الدول التي استعمرها لسنوات طويلة، بل سطا على تراثها الحضاري من آثار ومخطوطات، وحينما بلغت الدول أصحاب الشأن مبلغ الاستقلال وطالبت بعودة ميراثها وكنوزها استكثر العالم المتحضر هذا الأمر، ونظرة واحدة على المتاحف البريطانية والفرنسية والألمانية كفيلة أن تثبت هذا الأمر، فكيف لثقافة السلام أن تشيع في ظل هذا الظلم.

- تعلن الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة عن عزمها إنشاء البرامج التنموية التي تدعم الدول الفقيرة والبرامج الصحية التي تنتشل شعوب دول العالم الثالث من أوبئة الإيدز... وغيرها، فإذا ما عن للدول الصغيرة أو الفقيرة أن تخالف سياسات الدول الكبرى التوسعية أو العدوانية أوقفت الدول الغنية برامج التمويل والمساعدات الإنسانية وربطتها بالمواقف السياسية، ولم تلق بالاً للمحتاجين وأبرزهم الأطفال والمرضى وكبار السن، فكيف يمكن الترويج لثقافة السلام؟

- تهدد الدول الكبرى الأعضاء في الأمم المتحدة بقطع أو الامتناع عن تسديد حصتها المالية للمنظمة الدولية إذا ما تعارضت مصالحها مع برامج الأمم المتحدة الإنسانية، حتى لو كانت تلك المخصصات ستذهب لهيئات إنسانية أو علمية كاليونيسيف أو اليونسكو، بل تمتنع عن التوقيع على المعاهدات التي تستهدف حماية المدنيين من أخطار الحروب كالتوقيع على معاهدة حظر استخدام الألغام الأرضية ضد البشر، وأبرز المتنعين عن التوقيع رائدة العالم

الحر! الولايات المتحدة الأمريكية.. فكيف لنا أن نزرع ثقافة السلام واللاعنف في أذهان تعاني من ويلات هذه الوسائل الحربية المدمرة.

- تعارض الدول الصناعية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، إنتاج أدوية رخيصة الثمن لعلاج أمراض الإيدز وفيروس إتش أي في المسبب له، ويموت الآلاف في جنوب إفريقيا والقارة الإفريقية بوجه عام وشبه القارة الهندية دون أن تلقي الدول الكبرى لذلك بالاً، فكيف لهؤلاء الضحايا أن يقتنعوا بثقافة السلام؟

- تنتج الدول الصناعية صنوفًا من أسلحة الدمار الشامل والأسلحة التقليدية - الباهظة الثمن - وتسعى لتأجيج بؤر الصراع في العالم، بل خلقها أحيانًا وأكثرها في الدول الفقيرة لتظل مصانعها تعمل بكامل قدراتها الإنتاجية، وتحد من حجم البطالة في بلدانها، لتخلف من وراء ذلك دولاً فقيرة محملة بأعباء الديون العسكرية، وعاجزة عن القيام بأي برامج تنموية لمصلحة شعوبها، فكيف لأفراد هذه الدول الفقيرة أن يقتنعوا بثقافة السلام واللاعنف ومن يدعو إليها هم أول من يفسدونها؟

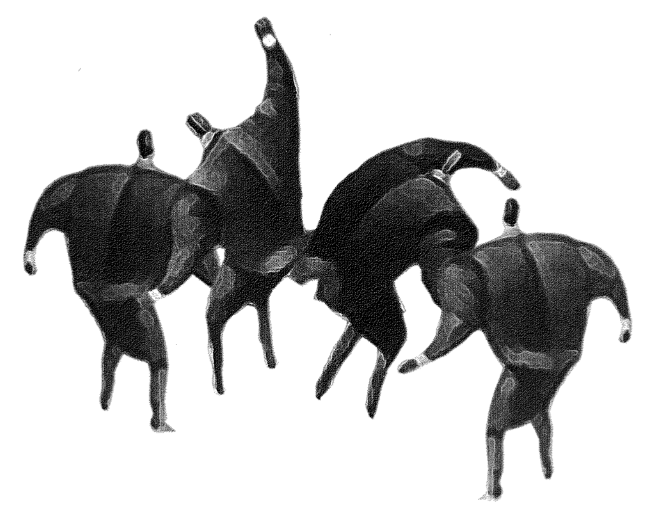
- أدى التطور التكنولوجي وثورة المعلومات إلى زيادة وعي الشعوب، خصوصًا المقهورة منها، بما تفعله الدول الغنية لسلبهم سيادتهم وثرواتهم، بل إعادة تصنيع موادهم الخام وإعادة تصديرها لهم بأغلى الأثمان، فزادت الهجرة إلى دول الغرب، ونافس المهاجرون واللاجئون الجدد مواطني الدول المتقدمة في فرص عملهم، فازدادت البطالة في الدول الصناعية وشعرت الحكومات بما يهدد استقرارها، خصوصًا مع تزايد العداء للأجانب والمغتربين، فسعت الدول الكبرى للحد من هذه الظواهر من خلال الاستثمار في الدول الفقيرة، لكنها سرعان ما ربطت تلك الاستثمارات بقيود تكبل سيادة الدول وتنتهك حرمتها أحيانًا بدعوى الانفتاح وفتح الأسواق، وازداد انتفاخ جيوب الأثرياء في الدول الصناعية ووضعت القيود أمام إنتاج الدول الصغيرة بدعوى عدم مطابقتها للمواصفات القياسية الخاصة بالدول المتقدمة، فازدادت الشعوب الفقيرة فقرًا، فكيف تشيع ثقافة السلام؟

- بدأت دول العالم الأول تعاني كراهية مواطني دول العالم الثالث وشعورهم باليأس من سياسات تلك الدول الظالمة، فازدادت الأعمال الإرهابية الانتقامية ضد دول العالم الأول، التي تنكر على الآخرين الحرية والديمقراطية والعدل والمطالبة بالحقوق، فهرولت الدول المتقدمة للمنظمات الدولية تضع البرامج التي تسعى من ورائها للحد من العنف، ولإشاعة ثقافة السلام لدى أبناء الدول الفقيرة حتى تأمن شرهم، وليس قناعة من جانبها بأن البشر سواسية في الحقوق والواجبات والتمتع بالثروات التي حباهم الله إياها دون تفريق أساسه عرق أو دين أو جنس.

- يهلك اللاجئ الفلسطيني والشيشاني والرواندي والكشميري، والبوسنوي، و.... ويذوق الأطفال مر الحياة فلا يحرك العالم ساكنًا، فإذا ما تألم المستوطن الإسرائيلي في مستعمراته التي أقامها على أرض محتلة، تحرك العالم وندد بالإرهاب، الذي يطالب بجلاء المحتل، والذي يقتل أطفال المحتلين دون رحمة.. فأين ثقافة السلام من هؤلاء؟ وكيف نمنع العنف من أن يشيع وينتشر والمنظمات الدولية لا تضرب بيد من حديد على أيدي المحتلين، وتكتفي بإصدار البيانات والقرارات التي تدين وتندد؟ وأخيرًا أصبحت تناشد فقط، فحتى الإدانة والتنديد لم يعد مسموحًا بهما.. فكيف لهذه المنظمات أن تتمتع بمصداقية في برامجها الداعية لنشر ثقافة السلام واللاعنف.

- إن حجم المخصصات المالية الموجهة لنشر ثقافة السلام واللاعنف بين أطفال العالم لا تصل للأسف إلى ١٪ من حجم المخصصات العسكرية في ميزانيات الدول

إن نقل الأطفال من ثقافة الحرب والعنف إلى ثقافة السلام واللاعنف لن يجد لذلك سبيلاً إلا من خلال التعليم، وعليه يجب إعطاء الأولوية لتعليم الأطفال مبادئ وممارسات الديمقراطية عن طريق ممارستها في البيئتين النظامية وغير النظامية، وعن طريق إتاحة فرص حقيقية لاشتراكهم في المجتمع المدني، والاهتمام بالتنمية والاتصال لأثرهما المهم على الأطفال في المجتمع



الأعضاء في الأمم المتحدة، بل إنها لا تصل إلى نسبة يمكن ذكرها مقارنة بأطنان القنابل ومئات الصواريخ التي ألقيت من قبل دول ديمقراطية على رؤوس أطفال دولة من دول العالم الثالث كالعراق أو أفغانستان أو نحو ذلك... إن جل المساعدات الغربية لدول العالم النامي عبارة عن مساعدات عسكرية، ويبدو أن من المحظور تقديم المحاريث الزراعية أو شبكات الخطوط الهاتفية أو محطات الطاقة الكهربائية أو أدوية الرعاية الصحية وأجهزتها المتطورة أو أجهزة الحاسب الآلي ووسائل التعليم المتطورة المجانية.

- إن ثقافة السلام واللاعنف فكرة «يوطوبية» بين أطفال يعانون بدانة مفرطة وآخرين يعانون هزالاً مفرطًا أيضًا، بين دول تنفق الملايين على برامج التخسيس وأخرى تعيش على حد الكفاف... لكن هذا الأمر لا يدعو إلى اليأس المطلق، إذ يكفي المرء أن تشيع ثقافة السلام واللاعنف بين أطفال القطر الواحد في حده الأدنى، حيث تتساوى الظروف المعيشية والبيئية ويصبح الحد من التطرف والتعصب للعرق أو الدين أو الجنس أحد وسائل إشاعة السلام بين أطفال الفئات المتحاربة في القطر الواحد، فذلك من شأنه أن يمنح البلاد فرصة لأن تسترد عافيتها وتسعى لتحقيق التنمية لأبنائها.

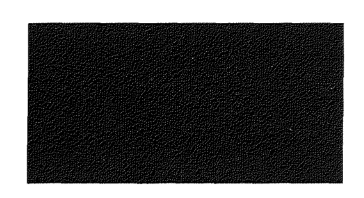
لكن إشاعة ثقافة السلام واللاعنف بين أطفال العالم جميعًا عمل شاق إن لم يكن مستحيلاً، يستلزم جهودًا جبارة ورجالاً يؤمنون بالفكرة إيمانًا راسخًا لا يتزعزع، ودولاً توجه جهودها الداخلية والخارجية لتحقيق هذا الهدف، ومنظمات عالمية مستقلة فاعلة وذات موارد حقيقية لا تتأثر بسياسات الدول الكبرى، ووسائل إعلام ناضجة تهتم وتتألم لأطفال بنجلاديش وسري لانكا ورواندا بمثل ما تهتم بأطفال أمريكا وبريطانيا وإسرائيل. يجب أن يكف العالم المتحضر عن تصدير نفاياته للدول الفقيرة حتى يشعر الطفل في كل مكان في العالم بالتعاطف مع نظيره في أي مكان باعتباره كائنًا بشريًا إنسانيًا يستحق الرعاية.

إن ثقافة السلام واللاعنف عمل أكثر منها أقوال مرسلة وخطب رنانة وبيانات منمقة.

إن السلام يحتاج إلى ضخ الدماء في عروق وشرايين الفقراء، لا إلى إراقة مزيد من الدماء على وجه الأرض! فهل يكفي عقد ثقافة السلام الدولي لمحو آثار عقود من الكراهية والحروب؟ ■

الطلاب بين ثقافة العنف وثقافة الحوار

٢٦٪ من الطلاب يؤمنون بالقوة كحل لمشكلات العالم!
و٥٦٪ يصرخون: نحن مكبوتون!!



حتى نخفف فزعكم من النتائج التي تظهرها استبانة هذا الاستطلاع، سنؤكد لكم أنها ليست «دراسة علمية» قام المختصون بتحكيم استبانتها ونقدها وتعديلها لتوافق الشروط العلمية.

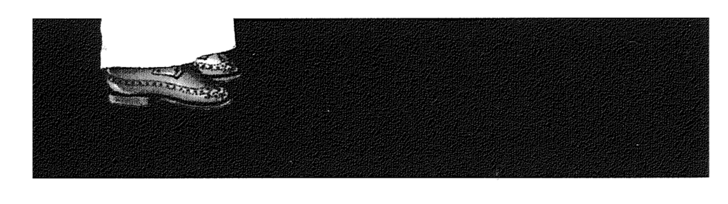
ولكن.. وحتى لا نقلل من جزعكم سنزعم أن هذه الاستبانة تمتلك الحد الأدنى من القدرة على قراءة واقع طلابنا في الموضوع الذي تتلمسه عباراتها، وأن العدد المشارك من الطلاب رغم محدوديته (النسبية) إلا أنه يمثل إلى حد معقول مجموع الطلاب في المملكة، أما الشمول المكاني فنظن أنها قد استوعبته بتنوع المناطق التعليمية وتغطيتها لكافة مناطق المملكة.

قد يكون هناك بعض التقصير في (التكنيك) الدقيق في أثناء طلب الإجابة من الطلاب، ولكن هذا المأخذ، هو أيضًا مايمكن أن تعاب به كل الدراسات العلمية التي تعتمد أسلوب الاستبانة لتقصي المعلومات من المبحوثين.

محاولة التعرف على اتجاهات الطلاب نحو قضايا: الحوار ـ العنف ـ التعامل مع الآخر وتفهم وجهات النظر الأخرى، ومدى الشعور بالكبت وعدم القدرة على التعبير عن الرأي والفكرة، تلك القضايا كانت المحاور الرئيسة في استبانة «المعرفة» التي وجهتها إلى عينة من طلاب المرحلة الثانوية.

النتائج ـ إجمالاً ـ ليست «مفرحة» وقد تكون «مزعجة» وهي تفتح المجال واسعًا للعديد من الدراسات العلمية للتعرف على الواقع بصورة أكثر دقة وعلمية، ليس المهم أن نغتم وننزعج بل الأهم هو الخطوة التالية لذلك كيف ومتى نخطوها؟!





*** المعلم: لا رأي آخر غير رأيي!**

من أصل إجمالي الاستبانات البالغ ٥٩٨ استبانة أجاب ٣٦٠ طالبًا بالإيجاب على عبارة **«أكثر المعلمين يتيحون فرصة للطلاب للتعبير عن آرائهم»**، وهو ما يشكل نسبة ٦٠,٢٪، وهذا بالتالي يعني أن ٣٩,٨٪ من الطلاب يرون أن معلميهم لا يرحبون بطرح آراء مختلفة من قبل الطلاب.

وتركزت أغلب النسبة الإيجابية في منطقة جدة التعليمية، حيث أجاب بالإيجاب عن هذا السؤال ٦٧ طالبًا من أصل ٦٨، وهذه نسبة إيجابية إلى حد كبير، تليهم في ذلك منطقة القريات التي بلغ نسبة من أجابوا بالإيجاب (٨٥٪) من إجمالي شريحتهم، وتأتي بعدها وبفارق كبير منطقة الليث (٦٨,٤ ٪)، ثم ينبع (٦٥,٣ ٪)، ثم حائل ووادي الدواسر وحفر الباطن (٦٥ ٪).

والنقيض من ذلك تركز في منطقتي الرس وعفيف، حيث بلغ نسبة من أجابوا بالنفي في كل منطقة (٦٥٪)، تليهم في ذلك مدينة القويعية (٦١,٢٪)، ثم المخواة (٥٦,٣ ٪)، ثم الأحساء (٥٥ ٪)، ثم جازان (٥٤,٦ ٪).

*** المعلم: ..لا أحد يسائلني!**

وفي سؤال مشابه طرحته الاستبانة يقول:**«أكثر المعلمين يرحبون بطرح الأسئلة المختلفة من الطلاب»**، أجاب ٤٠٥ طلاب بأنهم يجدون ترحيبًا من معلميهم، وهذا يشكل ما نسبته (٦٧,٧ ٪) من الشريحة العامة، وأجاب بالتالي ١٩٣ طالبًا بالنفي.

وتركزت أغلب النسبة الإيجابية في مدينة عنيزة، حيث أجاب بالإيجابعن هذا السؤال ما نسبته (٩٤,٤٪) من إجمالي شريحتهم، -

والغريب أن من أجابوا بالإيجاب عن السؤال الأول من شريحة مدينة عنيزة بلغت نسبتهم (٦١,١ ٪) فقط! تليهم في ذلك منطقة جدة بفارق بسيط (٩٤,١٪)، ثم وادي الدواسر (٨٥٪)، ثم النماص (٨٢,٣٪)، وهكذا حتى تنتهي القائمة بنسبة (٤٣,٧٪) في المخواة ثم الشرقية بنسبة (٣٤٪).

والغريب مما لاحظناه على الإجابات هو تفاوت النسب بين إجابة السؤالين الأول والثاني على الرغم مما يبدو من تقاربهما في المعنى، وهذا يبدو مثلاً في إجابات منطقة الأحساء، حيث أجاب (٤٥٪) فقط من الطلاب بالإيجاب عن السؤال الأول، بينما وصلت نسبة الإجابة بالإيجاب عن السؤال الثاني (٧٠٪)، وفي القويعية سجلت الاستبانة (٣٨,٨٪) بالإيجاب للسؤال الأول مقابل (٧٧,٧٪) للسؤال الثاني!، وكذلك مدينة عنيزة كما أسلفنا. وهذا التفاوت الذي يأتي في صالح السؤال الثاني واضح في عموم النسب الخاصة بأغلب المدن والمناطق التي شملتها الاستبانة.

*** حرية رأي أكبر خارج أسوار المدرسة**

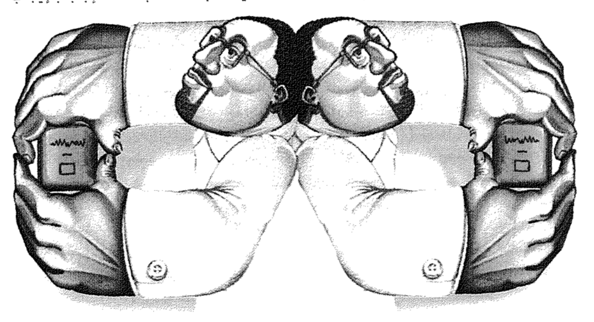
الأرقام والنسب التي سجلتها الاستبانة فيما يخص السؤال الثالث وافقت توقعاتنا، حيث أقر أغلبية الطلاب الذين شملتهم الشريحة بأنهم **«يجدون فرصة للتعبير عن آرائهم خارج المدرسة أكثر من داخلها»** وبلغ عددهم ٤٠٠ طالب شكلوا نسبة (٦٦,٨٪) من إجمالي الشريحة، وهذا قد يعني أن هؤلاء الطلاب يجدون حواجز أمامهم في المدرسة تمنعهم من التواصل بحرية مع من حولهم، وأن العالم خارج المدرسة يعطي للطالب حرية واحترامًا كبيرين.

وكان النصيب الأكبر من هذه النسبة لمدينة القويعية، حيث بلغت نسبة من أقروا بذلك (٩٤,٤٪)، تليهم في ذلك جازان (٨٦,٣٪)، ثم الرس والأحساء (٨٥٪)، فشقراء (٨٠,٤٪)، ثم الزلفي وحفر الباطن (٨٠٪).

أما أقل نسبة في معاناة الطلاب في التعبير عن آرائهم في المدرسة فقد كانت في جدة، حيث بلغت نسبة من أجابوا بالإيجاب عن السؤال المذكور (٤٢,٦٪)، تليهم في ذلك القريات (٤٥٪) ثم ينبع (٥٣,٨٪)، وهي المدن والمناطق الثلاث الوحيدة التي كانت نسبها أقل من (٦٠٪)!

*** الطالب في واد.. ونحن في واد آخر!**

أتت نسب الإجابة عن عبارة **«هناك الكثير من القضايا لا أستطيع أن أطرحها على المعلم أو المرشد الطلابي»** متقاربة إلى حد ما من نتائج العبارة السابقة، وذلك لارتباطهما بشكل أو بآخر بالمفهوم نفسه، حيث سجلت الاستبانة ٣٦٤ إجابة بالإيجاب،



وهو ما يشكل نسبة ٨, ٦٠٪.

وتم تسجيل أعلى نسبة في هذا السؤال لصالح مدينة الأحساء (٨٥٪)، وهو ما يتطابق تمامًا مع نسبة إجابة السؤال السابق في شريحتهم، تليهم في ذلك محايل عسير (٨٠٪)، ثم الليث (٧٨,٩٪)، ثم القويعية (٧٧,٧٪)، ثم الرس (٧٥٪).

أما أقل نسبة فسجلتها منطقة رجال ألمع وبلغت (٣٣,٣٪)، ثم القريات ووادي الدواسر (٤٠٪)، ثم حفر الباطن (٤٥٪)، فالمخواة (٥٠٪)، فجدة (٥٢,٩٪)، ثم شقراء (٥٨,٥٪)، ثم النماص (٥٨,٨٪)، ثم جازان (٥٩٪).

*** زعموا: الحصص الدراسية لنا.. والأنشطة المدرسية للطلاب!**

من الأمور السلبية التي أظهرتها الاستبانة بشكل واضح هو إجابة ٢٤٢ طالبًا بالنفي على عبارة **«النشاطات المدرسية تقدم لي مجالاً واسعًا للتعبير عن آرائي وأفكاري ومواهبي»**، مما يثير الكثير من الأسئلة حول طبيعة هذه النشاطات المدرسية وكيفية تطبيقها من قبل القائمين عليها، وشكل هؤلاء الطلاب ما نسبته ٤٠,٥٪ من إجمالي الشريحة.

وتركز أغلب من أجابوا بالنفي في مدينة عفيف، حيث بلغت نسبتهم ٧٥٪، تليهم في ذلك القويعية (٦٦,٧٪)، ثم رجال ألمع (٦٠٪)، ثم الليث (٥٧,٩٪)، ثم الزلفي (٥٥٪)، ثم الرس ومحايل عسير وأبها ونجران (٥٠٪).

وكانت منطقة جدة في أعلى القائمة العكسية، حيث بلغت نسبة من أجابوا بالإيجاب ٨٨,٢٪ من إجمالي شريحتهم، تليهم القريات (٨٥٪)، ثم عنيزة (٧٢,٢٪)، ثم المخواة (٦٨,٧٪)، ثم شقراء (٦٥,٨٪)، ثم ينبع (٦٥,٣٪)، ثم حائل (٦٥٪).

*** اللغة العربية والأدب والعلوم الشرعية.. تلقين فقط!**

في هذا المحور تصدرت منطقة القريات، حيث أجاب بالإيجاب عن عبارة **«مقررات اللغة العربية والأدب والعلوم الشرعية ساعدتني على تعلم الحوار والتعبير عن رأيي»** ما نسبته ٩٠٪ من الطلاب، تليهم في ذلك منطقة جدة بفارق بسيط حيث بلغت النسبة لديهم (٨٨,٢٪)، ثم الزلفي ووادي الدواسر (٨٥٪)، ثم حفر الباطن (٨٠٪)، ثم أبها (٧٧,٧٪)، ثم جازان (٧٧,٢٪).

وبأرقام متنافرة إلى حد كبير بلغت نسبة من أجابوا بالنفي عن هذه العبارة في مدينة المخواة ٨٧,٥ ٪، وقد تفردت المخواة بهذه النتيجة مبتعدة عن كل المناطق، حيث تلاها في ذلك مدينة القويعية بنسبة إجابات بالنفي بلغت (٦٦,٨٪)، ثم عفيف (٥٥٪)، نجران (٥٤,٦٪)، (الشرقية ٥١٪).

وإجمالاً كانت نسبة من أجابوا بالنفي عن هذه العبارة قد بلغت (٣٥,٨٪) من كامل الشريحة، مما يدفع للتساؤل عن طبيعة طرق تدريس هذه المقررات على أرض الواقع.

*** لا أحب أن يعارضني صديقي!**

كان هذا المحور (والمحور الذي يليه كما سنرى) من المحاور التي اتفقت عليها نسبة كبيرة من الطلاب، حيث بلغ من أجابوا بالإيجاب عن عبارة **«أحب أن يكون أصدقائي جميعًا يشاركونني نفس الآراء»** ٤٢٢ طالبًا مشكلين بذلك ما نسبته ٧٠,٥٪ من إجمالي الشريحة.

قد تكون هذه النسبة العالية نتيجة أمر فطري في النفس البشرية بالميل إلى ما يوافقها ولا يتعارض معها، ولكنها في الوقت نفسه مؤشر واضح على عدم قبول آراء أخرى معارضة، والميل إلى الوجود في وسط ذي رأي واحد، ورفض التحاور والاندماج مع الآراء المغايرة فضلاً عن المضادة.

٤٠٪ من المعلمين لا يتيحون فرصة للطلاب للتعبير عن آرائهم.

٦٧٪ من الطلاب يجدون فرصة للتعبير عن آرائهم خارج المدرسة أكثر من داخلها.

٦١٪ من الطلاب قالوا: هناك الكثير من القضايا لا نستطيع طرحها على المعلم أو المرشد الطلابي.

وقد تركزت أغلب هذه النسبة في مدينة شقراء، حيث بلغت (٩٠,٢٪) من شريحتهم، تليها في ذلك وبفارق بسيط مدينتا الرس والأحساء بنسبة بلغت (٩٠٪)، ثم القويعية (٨٨,٨٪)، فأبها (٨٦,١٪)، فعنيزة (٨٣,٣٪).

ونفى هذه العبارة بشكل واضح أغلبية شريحة مدينة المخواة بنسبة بلغت (٧٥٪)، مسجلة بذلك تفردًا آخر، حيث تلاها في نسبة الإجابة بالنفي وبفارق كبير مدينة الزلفي بنسبة (٥٠٪)، ثم الشرقية (٤٣٪)، فالنماص (٤١,٢٪)، ثم عفيف (٤٠٪).

*** الشخصية الواثقة من رأيها تأسرني**

كانت هذه العبارة هي التي جمعت حولها أكبر عدد من طلاب الشريحة، حيث بلغت نسبة من أجابوا بالإيجاب عن عبارة **«يعجبني الأشخاص الواثقون دومًا من آرائهم»** (٨١,٤) من إجمالي الشريحة، بعدد أصوات بلغ ٤٨٧ طالباً، وهذا قد يدل بشكل أو بآخر على زيادة قابلية هؤلاء الطلاب على الالتفاف حول الشخصية ذات الرأي القوي والمتشبث به.

وبلغت النسبة ١٠٠٪ في وادي الدواسر والأحساء، تلاهما في ذلك مدينة ينبع بنسبة بلغت (٩٦,١٪)، ثم حائل (٩٥٪) فأبها (٩١,٦٪)، ثم جازان والقويعية (٨٨,٨٪)، وتقل النسب لتصل إلى (٧٥٪) في القريات، (٧٣,٥) في جدة، (٦٣٪) في الشرقية، منتهية بأقل نسبة في حفر الباطن (٥٥٪).

*** مصيب.. مخطئ.. أنا مصيب دومًا!**

أحصت الاستبانة ٢٥٠ إجابة بالموافقة على عبارة **«أجد صعوبة في التراجع عن رأيي حتى لو ثبت أنه خاطئ»**، وهو ما يشكل نسبة تبلغ ٤١,٨٪ من إجمالي الشريحة، وإن كانت الاستبانة قد دلت قبل ذلك بشكل أو بآخر على وجود نسب كبيرة نسبيًا للانتصار للرأي الواحد في أوساطنا الدراسية شاملة بذلك فئتي المدرسين والطلاب، فإن في هذه النقطة دلالة واضحة على وجود التعصب المذموم للرأي لدى شريحة واسعة من طلابنا وأجيالنا القادمة وبنسبة مخيفة.

سجلت أعلى نسبة في ذلك في المخواة، حيث بلغت نسبة الإجابات بالإيجاب (٦٨,٧ ٪)، تلتها في ذلك حائل وعفيف والقريات بنسبة بلغت (٥٥٪)، وبعدها مباشرة جازان (٥٤,٥٪)، ثم الشرقية (٥٢٪)، ثم الرس والزلفي (٥٠٪).

وعلى النقيض من ذلك تفردت مدينة الليث بأقل نسبة على الإطلاق في الموافقة على هذه العبارة، حيث بلغت (١٥,٧٪) فقط، وتأتي القويعية بعدها مسجلة نسبة (٢٢,٢٪)، ثم وادي الدواسر وحفر الباطن (٢٥٪)، تليهما جدة (٢٦,٤٪).

*** الاختلاف في الرأي مرفوض!**

تأتي العبارة العاشرة ضمن باقة عبارات (الرأي والرأي الآخر) إن صح التعبير، وهي تنص على **«أتضايق كثيرًا عندما أجد اختلافًا في الآراء حول الكثير من القضايا»**، وقد سجلت هذه العبارة ٣٥٩ صوتًا بالموافقة من أصل ٥٩٨ صوتًا، وهو ما نسبته ٦٠٪ من الشريحة، ونسبة كهذه تعد نسبة كبيرة ولها مدلولات تحتم إعادة النظر في أسلوب تربية أجيالنا والانتصار لوجهة النظر الواحدة التي ينشؤون عليها.

حققت المخواة أعلى نسبة في ذلك، حيث بلغت نسبة من أجابوا بالإيجاب (٨٧,٥٪) من إجمالي الشريحة، تليها في ذلك الزلفي بنسبة مقاربة (٨٥٪)،

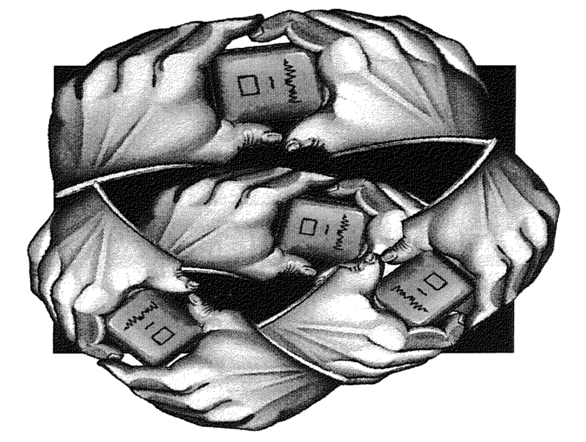
٧١٪ لا يحبون أن يعارضهم أصدقاؤهم.

٨١٪ معجبون بالأشخاص «الواثقين دومًا» من آرائهم.

٤٢٪ يجدون صعوبة في التراجع عن آرائهم حتى لو ثبت أنها خاطئة.

٦٠٪ «يتضايقون» من اختلاف الآراء حول الكثير من القضايا.

٤٠٪ لا يجدون في النشاطات المدرسية فرصة للتعبير عن الرأي.



ثم نجـران (٨١,٨٪)،ثم الأحـسـاء (٨٠٪)، ثم الليث (٧٨,٩٪)، وتقل النسـبـة حـتى تصل إلى (٥٠٪) في الرس وحفرالباطن، ثم جدة (٤٨,٥٪)، ثم النماص (٤١,١٪)، لتنتهي بوادي الدواسر التي سجلت نسبة فـريدة في ذلك ومـتبـاعـدة بشكل واضح عن أقرب النسب إليها، حيث بلغت ٢٥٪ فقط.

*** أشعر بالكبت!**

يبدو أن الشعور بالكبت والذي تكشفه أساسًا هذه العبارة شعور مهيمن على شريحة كبيرة من طلابنا، حيث سجلت الاستبانة ٣٣٤ إجابة بالإيجاب من أصل ٥٩٨ إجابة، أي مـا نسبـتـه ٥٥,٨٪، وتنص العبـارة على: **«أشعر في كثير من الأحيان أنني لا أستطيع أن أعبر عن رأيي»**.

وأتت النسب الخاصة بالمدن والمناطق عالية كذلك، فـأقل نسبـة تم تسجيلها كـانت (٢٦,٦٪) وكـانت من نصـيب رجـال ألمع، وتتـزايد بعـدها النسب بشكل متسارع، حيث تصبح (٣٠٪) في حفر الباطن، ثم (٤٢,١٪) في الليث، ثم ٤٥٪ في القـريات وحـائل، وتستمر في الصعود حتى تصل إلى (٦٥٪) في محايل عسير والأحساء، و(٦٦,٦٪) في القويعية، و(٦٧٪) في الشـرقـيـة، و(٦٨,١٪) في نجـران، و(٧٠,٧٪) في شقراء، لتصل ذروتها في عفيف بنسبة بلغت (٧٥٪).

*** القوة.. هي الحل!**

تعد العبارة الحادية عشرة أخطر عبارة وأوضحها على الإطلاق في اسـتـبـانتنا، وتنص على **«أغلب المشكلات التي يعانيها العالم يمكن حلها عن طريق القـوة»**، وقـد أجاب بالإيجاب عن هذه العـبـارة ١٥٥ طالبًا من طلاب الشـريحـة، مسجلين نسبة بلغت ٢٥,٩٪، وعلى الرغم من أن هذه النسبة تعد أقل نسبة إجمالية سجلتها الإجابات عن عبارات الاستبانة، إلا أنها تبرز على السطح قضية خطيرة تدعو - على الأقل - إلى التساؤل عن السبب الذي يجعل فردًا من كل أربعـة أفـراد من الجـيل القـادم يرى أن القوة هي العلاج الناجع لمشكلات العالم؟

سجلت أعلى النسب المؤيدة لهذه العبارة في المخواة، حيث بلغت (٥٦,٢٪)، ثم الشرقية (٤٧٪)، فالنماص (٤١,١٪)، ثم محايل عسير (٣٥٪)، رجـال ألمع (٣٣,٢٪)، شـقـراء (٣١,٧٪)، القريات (٣٠٪).

أمـا أقل النسب فـقـد كـانت ٥٪، وتلاقت عندها مـجـموعـة من المدن والمناطق هي وادي الدواسر وحفر الباطن والزلفي وأبها، تلتها في ذلك جازان (٩٪).

إذا كان ربع شبابنا يؤمنون بأن القوة هي العلاج الناجع لمشكلات العالم، ويتقاطع ذلك مع النسب الكبيرة في عدم قبول الرأي الآخر، والتـعـصب الشـخـصي للرأي حـتى لو ثبت خطأه، ألا يمكننا من هنا أن نقـرع جـرس الخطر.. وبقوة!

تجارب أوروبية في القضاء على العنف في المدارس

الطالب «شريك فعال» في العملية التعليمية

أسامة أمين - ألمانيا

تتأرجح الدراسات التي تتناول العنف في الغرب بين متناقضات عديدة، بين التقليل من شأنه بل وإنكار وجوده أحيانًا، وبين المبالغة المفرطة فيه أحيانًا أخرى، وكأن المجتمع على وشك الانهيار بسبب تفشيه المزعوم في جوانب الحياة كافة، وبين اعتباره جسمًا غريبًا يتناقض وجوده مع طبيعة المجتمع الغربي تمامًا، والنظر إليه في حين آخر كإفراز طبيعي للحضارة الحديثة.

وفوق كل هذه الصعوبات النظرية الناجمة عن عدم تحديد مسببات العنف التي تعوق بلا شك وضع العلاج المناسب، تكمن صعوبة أكبر في تحديد ماهية العنف؟ وما هو التصرف الذي تنطبق عليه هذه التسمية؟ وهل يقتصر على إلحاق الأذى البدني بشخص، أم يتعداه إلى الإضرار بالممتلكات، أو الألم النفسي الذي قد يكون أعمق أثرًا من الجراح؟

عمومًا، لن يقتصر هذا المقال على معالجة هذه القضايا النظرية - على أهميتها- فحسب، بل يتناول أيضًا نتائج العديد من الدراسات من اسكتلندا والنرويج والسويد وألمانيا، التي تتضمن الكثير من الاقتراحات لكيفية الحد من هذه الظاهرة، والتي حققت نجاحًا كبيرًا في هذه الدول. ومن أهم هذه الدراسات (برنامج اللاعنف) للبروفيسور النرويجي دان أولفويس Dan Olweus، الذي اعتبرته مجلة (تايمز) البريطانية (رائد هذا العلم في العالم كله)، وكلفه الاتحاد الأوروبي بإجراء الكثير من الدراسات عن مدى تفشي العنف في الدول الأعضاء في الاتحاد.

العنف وليد الحضارة الغربية أم وارد من الخارج؟

قد لا يتخيل البعض أن الإنسان الأوروبي الأشقر، ذا العيون الزرقاء، ابن العالم الأول، يمكن أن يلقي بقنابل المولوتوف الحارقة على بيوت الأجانب القادمين من دول العالم الثالث، وسط تصفيق وتشجيع من المتفرجين من بني جلدته، ممن يحيطون بهذه البيوت، ليحولوا دون هرب اللاجئين من هذا الموت المحدق. وتسجل كاميرات التلفزيون أمام الملايين من المشاهدين في العالم كله، كيف أن الغرب ليس خاليًا من أناس أبعد ما يكونون عن التحضر والتمدن.

ليس ذلك فحسب، بل يكفي أن إلقاء الشرطة الألمانية على شخص، كان يحتفظ في ثلاجته بأكياس تحتوي على لحم بشري، يتناول الواحد منها تلو الآخر، لم يصب الكثيرين بالغثيان فقط، بل أثار موجة من التعاطف مع هذا المجرم، ملأت صفحات الإنترنت، تطالب بحقه في الحياة كما يشاء، ما دام المجني عليه وافق على ذلك قبل موته، بل إنه هو الذي طلب من الجاني قتله وتناول لحمه.

مثل هذه الجرائم، وغيرها كثير، توضح إشكالية العنف في المجتمع الغربي، حيث يرى البعض أن وسائل الإعلام هي التي تصورها وكأنها مهيمنة على المجتمع بأكمله، رغم أنها - في الحقيقة وكما تثبت الإحصائيات - نادرة الحدوث، بل قد يجد البعض مبررًا لها، بأنه لولا قدوم ملايين الأجانب إلى هذه البلدان، وعدم اندماجهم في مجتمعاتها، وإيذائهم لمواطنيها الأصليين، لما تعرض لهم أحد من المواطنين (الوديعين المسالمين). كما يرون أن تناول اللحم الآدمي (حرية شخصية)، لا تتعارض مع المنهج الليبرالي الذي يسود الحياة الغربية.

ولكن دراسات أخرى ترى أن ضغوط الحياة المعاصرة، وانشغال الوالدين بالعمل إلى أقصى درجة، وتراجع مكانة الدين، ومن ثم انهيار المعايير الأخلاقية المستمدة من التعاليم الإلهية، وهيمنة الميكنة والتصنيع، والروح الاقتصادية القائمة على المكسب والخسارة بلغة الأرقام فقط، علاوة على برامج العنف في الكمبيوتر، والتي يفوز فيها من

يتمكن من قتل أكبر عدد من الأشخاص، ترى كل ذلك مما يجعل العنف نتيجة حتمية لهذا المجتمع اللا إنساني، المفرغ من الأحاسيس والقيم.

الأرجح أن المجتمع الغربي ليس جنة الله على أرضه، ولكنه في الوقت نفسه ليس مرتعًا للعنف والغوغائية. ليس العنف مستوردًا من البلدان النامية (كما يسمونها، وهم يقصدون المتخلفة) - رغم الاعتراف بأن هناك جرائم معينة لا يرتكبها غير الأجانب القادمين من الخارج - كما أن الحياة الغربية ليست مرادفة للعنف، حتى في ظل وجود حركات نازية تبرر العنف ضد الأجانب، وقيام الحركات اليسارية بتحطيم السيارات والمتاجر في أول مايو من كل عام بمناسبة عيد العمال، وفي المدن التي تعقد فيها مؤتمرات اتفاقية التجارة العالمية (الجات) تعبيرًا عن رفضها لهيمنة رأس المال والعولمة، بل وفي ظل انتشار تجارة الرقيق.

إلا أن المجتمع الغربي اكتسب حساسية بالغة تجاه اعتداء شخص على آخر، حتى لو كان الاعتداء نفسيًا، وبالتالي لا يكون النظر إلى المضايقات التي يرتكبها رئيس العمل ضد أحد الموظفين، أو ممارسة بعض الموظفين الضغط النفسي على زميل لهم بهدف إجباره على ترك العمل، قدرًا لا بد للمرء أن يصبر عليه، أو أن يغير وظيفته، بل يمكنه رفع دعوى

قد لا يتخيل البعض أن الإنسان الأوروبي الأشقر ، ذا العيون الزرقاء ، ابن العالم الأول ، يمكن أن يلقي بقنابل المولوتوف الحارقة على بيوت الأجانب القادمين من دول العالم الثالث ، وسط تصفيق وتشجيع من المتفرجين من بني جلدته ، ممن يحيطون بهذه البيوت ، ليحولوا دون هرب اللاجئين من هذا الموت المحدق

ستجد آذانًا صاغية أمام القضاء، وسيحصل على حقه، حتى لو لم تكن هناك ندبة في رأسه، أو كسر في عظامه. ومن هنا تبرز أهمية تحديد المقصود بالعنف، حتى يمكن الحديث عن الحد منه أو علاجه أو القضاء عليه قدر الإمكان.

مفهوم العنف

إذا أراد أي سياسي في الغرب أن يضمن الحصول على التأييد على أي مسألة، ادعى أن خصمه يمارس العنف، فينفض الناس عن خصمه، ويتعاطفون مع رؤيته، فإذا طالبت الحكومة مثلاً بعدم السماح للعاطلين عن العمل بالبقاء في منازلهم سنة تلو الأخرى، يرفضون ما تقدمه لهم من أعمال، ويصرون على الاستمرار في كسلهم، مع حصولهم على الإعانة الاجتماعية من الدولة. وإذا قررت الحكومة تخيير العاطل بين قبول أي عمل توفره له، أو تقطع عنه الإعانة، ندد سياسيو المعارضة بأن الحكومة بذلك «تمارس العنف على المساكين، لأنها تجبرهم على قبول أعمال لا تناسب شخصيتهم، وتلحق بهم بالتالي أضرارًا نفسية بالغة»، وعندها يشعر المواطن بضرورة رفض هذه السياسات الحكومية، حتى وإن كانت هي المخرج الوحيد من الأزمة الاقتصادية التي تتسبب في اقتطاع ضرائب باهظة من راتبه، لتمويل حياة هؤلاء العاطلين الكسالى، وذلك لأنه لا يتحمل العنف الذي لا يتناسب مع حضارة الغرب المسالمة، على الأقل في داخل أراضيها، وليس في الأراضي التي تحتلها.

والعنف أنواع منها البدني والنفسي والثقافي والمستتر والعلني والقانوني والاجتماعي والسياسي. كما أن مفهومه يتبدل على مر الوقت، فحينما كان اللجوء إلى الضرب في المدارس مباحًا حتى الثمانينيات في بعض البلدان الأوروبية، أصبح الآن محظورًا حتى في البيوت، ويعرف كل طفل منذ نعومة أظفاره أنه لا يحق لكائن أن يضربه، وترسخ برامج الأطفال الإذاعية والتلفزيونية هذه الفكرة، وقد يصل الأمر إلى أن تتدخل السلطات وتأخذ ابنك منك وتحرمك من حضانته، إن لم تتوقف أنت عن ضربه. كما أصبحت مضاجعة الزوج لزوجته دون رضاها (اغتصابًا)، يعاقب القانون عليه أشد العقاب.

وفي حين اعتدنا رؤية تشابك بالأيدي عقب حوادث المرور في بعض بلداننا، فإن ذلك مستحيل أن يحدث في الغرب؛ لأن القانون نظم كل شيء، فستأخذ حقك

غـيـر منقـوص. ويكفي أن الشـرطة لا تتـقـاعس عن الحضـور فورًا إذا رش عليك شـخص الماء ليضـايقك، ولا تعتبر ذلك (إزعاجًا للسلطات)، وبالتالي فإن سيادة القانون وتطبيقه على الجميع دون مجاملة أو محسوبية، تقضي على بعض صور العنف، الذي يلجأ إليه البعض لاعتـقـادهم أنه الوسـيلة الوحيـدة لنيل حـقـوقـهم، أو للتنفيس عن غضبهم في ظل غياب العقاب القانوني.

ومن المعروف أن تحديد معنى العنف يكون تبعًا للثقافة أو العقيدة أو الأيدلوجية السياسية، ومن أشهر الأمثلة على ذلك (العمليات الانتحارية) في فلسطين، التي يسميها البعض (عمليات إرهابية)، ويراها آخرون (عمليات استشهادية).

ولا يمكن الخـروج من هذه الحلقـة المفـرغـة من المسميات، ووجهات النظر المتضاربة، إلا بتجنب دمج السلوك مع من يرتكبه وعلى من يرتكبه وسبب ارتكابه في الوقت نفسـه، ثم التـفتيش عن مسـمى لكل ذلك، وبفهم العنف في ذاته باعتباره:

قيام شـخص أو مجموعة من الأشخاص عن عمد بفعل أو قول يؤذي شخصًا آخر أو مجموعة أخرى من الأشخاص لا يريدون المشاركة في ذلك التصرف.

ورغم الوضـوح الظاهري لهذا التعريف، فإن هناك حالات كثيرة يظل الحكم فيها بكونها عنفًا من عدمه



أمرًا عسيرًا للغاية، مثل ارتداء الشباب في أوروبا في فترة المراهقة ملابس استفزازية ممزقة أو قصيرة للغاية، أو وضع الأوشام على أجسادهم، وتعليق الحلي في الأنف والفم وفي اللسان، والاستماع إلى موسيقا صاخبة . ففي حين يرى البعض أنها مسألة (حرية شخصية) للمراهقين، وأنهم يعبرون بذلك عن رفضهم للقيم السائدة في المجتمع، يرى آخرون أنها تثير الاشمئزاز، وتمثل اعتداء على الذوق العام، وعنفًا يؤذي الأعين والأبصار.

كما تركز دراسات أخرى على ما يعتبرونه (أبعادًا إيجابية للعنف)، لأنها تزيد ثقة الجاني بنفسه، وتجعله محط اهتمام ممن حوله، بل إنه يستطيع من خلال ذلك العنف أن يضمن الانضمام إلى إحدى التكتلات (الشلل) الطلابية، بل وأن يحصل على زعامتها، علاوة على أنه يمكن بالعنف (توفير حل عاجل لمشكلة يستعصي حلها بالطرق السلمية). بل إن مرتكبي العنف يشكلون أحيانًا (بديلاً لسلطة الدولة، في حالها عدم وجودها أو غيابها عن موقع الحدث)، بل كان أغرب ما سمعت أن

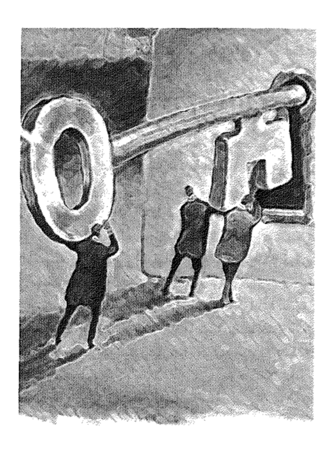
ولكن دراسات أخرى ترى أن ضغوط الحياة المعاصرة ، وانشغال الوالدين بالعمل إلى أقصى درجة ، وتراجع مكانة الدين ، ومن ثم انهيار المعايير الأخلاقية المستمدة من التعاليم الإلهية ، وهيمنة الميكنة والتصنيع ، والروح الاقتصادية القائمة على المكسب والخسارة بلغة الأرقام فقط ، علاوة على برامج العنف في الكمبيوتر ، والتي يفوز فيها من يتمكن من قتل أكبر عدد من الأشخاص ، ترى كل ذلك مما يجعل العنف نتيجة حتمية لهذا المجتمع اللا إنساني ، المفرغ من الأحاسيس والقيم

امرأة كانت تحظى بمعاملة رقيقة من زوجها، فأخذت تستفزه وتقول إنها ستغادر الدار سواء وافق أو رفض، فلما قام وصفعها، وقعت تبكي، ولكنها كانت تشعر بسعادة بالغة لأن زوجها (أثبت أخيرًا أنه رجل). ويدخل ذلك في مفهوم للرجولة لا يزال يسود لدى البعض.

العنف المدرسي في الغرب

إذا كان الطالب الألماني روبرت شتاينهويزر الذي قتل ١٧ معلمًا وطالبًا في عام ٢٠٠٢م - انظر المعرفة العدد ٨٥ قد أحدث صدمة في مجتمعه شبهها البعض بصدمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة، وحرصت حكومة برلين إثر ذلك على البحث عن برامج للقضاء على العنف، فقد سبقه حادث مشابه في اسكوتلندا في ١٣ مارس عام ١٩٩٦م، حين اقتحم رجل في الثالثة والأربعين من عمره مدرسة ابتدائية وروضة، وأطلق رصاص بندقيته السريعة الطلقات، وقتل معلمًا و ١٦ طفلاً، تتراوح أعمارهم بين الرابعة والخامسة، وجرح ١٠ أطفال آخرين من المرحلة الابتدائية، واثنين من أعضاء الهيئة التدريسية.

المشكلة الكبرى في مثل هاتين الحالتين، هي محاولة وسائل الإعلام توفير إجابات سريعة ومبسطة للمشاهدين والمستمعين والقراء، ولا يستطيع عالم اجتماع أو عالم نفس أن يتحدث عن عوامل متعددة ومعقدة لشرح دوافع الحدث، وهذا التعامل السطحي مع الحدث الذي يهدف إلى العثور على مذنب



ليخفف الضغط النفسي عن الرأي العام، مثل تحميل الأسرة المسؤولية، واتهامها بإهمال تربية ابنها، أو المدرسة التي قررت فصل الطالب منها، وإنهاء حياته الدراسية، بصورة تجعله عاجزًا عن الالتحاق بأي مؤسسة تعليمية أخرى، أو الألعاب الإلكترونية المشجعة على العنف، أو نوادي الرماية التي توفر الخبرة في التعامل مع الأسلحة، دون أن يسبق ذلك اختبار القدارت النفسية لمن يرغب في ذلك.

غير أن مثل هذه الحوادث - على خطورتها وعدم جواز التهوين من شأنها - نادرة الوقوع، ولا يمكن إدراجها في بند الأحداث اليومية للواقع المدرسي، لذلك تركز الدراسات التي سنتعرض لها، على العنف الذي لا يدخل ضمن عمل الشرطة الجنائية.

توصلت الدراسات الكثيرة التي أجريت في اسكتلندا إلى أن الأطفال الذين يرتكبون أعمال العنف في المرحلة الابتدائية، يكونون أكثر عرضة وميلاً لارتكاب الجرائم والعنف في كبرهم، بنسبة أربعة إلى خمسة أضعاف نظرائهم من المسالمين غير الميالين للعنف، ولكن العكس ليس صحيحًا، بمعنى أنه ليس كل من ارتكب عنفًا في صغره، يكون بالضرورة مجرمًا خارجًا عن القانون عند كبره. كما تبين أن الميل للعنف

وتحتل علاقة المعلم بالتلميذ مكانة متقدمة في مسألة العنف، فالتعسف في تقويم الطالب، أي منح العلامات بصورة غير عادلة وغير مقنعة، أو السخرية منه، وإشعاره بالمهانة أمام زملائه، كل ذلك يجعل التلميذ أكثر ميلاً للعنف

تتكون جذوره في الطفولة، وأن الأهل الذين يستخدمون العنف في تربية أبنائهم، تعرضوا هم أيضًا للعنف على يد أهلهم من قبل.

وواجهت الباحثين في اسكتلندا مشاكل عدة من بينها عدم توفر دراسات طويلة الأجل ترافق الأطفال الميالين للعنف منذ التحاقهم بالمدرسة، حتى ينتهوا من التعليم المدرسي، ولكن ظهر لهم أن تحويل الطالب المشاغب العنيف من مدرسته، إلى مدرسة للطلاب ذوي الصعوبات في التعلم والتركيز، وذوي الاحتياجات الخاصة، لا يؤدي إلى تحسن الوضع، بل يزيد الأمر تعقيدًا، لأن المشكلة لا تنتهي بمغادرته لمدرسته بل تلقي بالكرة في ملعب الآخرين فحسب.

كما تبين أن وصم الطالب الذي ارتكب العنف بأنه (مصدر الأذى للصف)، يجعله يفقد أي حماس للتحسن، ما دامت هذه الصورة عنه قد ترسخت في أذهان المعلمين والزملاء. والأخطر من ذلك اكتفاء بعض المعلمين بالذم، وعدم توجيه المدح عند التوقف عن العنف، ولا حتى عند القيام بعمل طيب، واعتبار أي تحسن في سلوك الطالب المعهود عنه العنف، مجرد تصرف استثنائي، وأنه (سيعود إلى طبعه السيئ لا محالة).

وقد جرى استخدام مصطلح Bullying في اسكتلندا للدلالة على الضغط الذي يمارسه المعلم أو الطلاب ضد أحد الطلاب، والذي يتسبب في الضرر النفسي للضحية، وجرى اعتباره عنفًا ناجمًا عن إساءة السلطة.

وقد اتضحت فظاعة الألم النفسي الناجم عن ذلك، في حادثة وقعت في التسعينيات في النرويج عندما انتحر ثلاثة تلاميذ في وقت واحد، بسبب تعرضهم للاضطهاد من جانب زملائهم، والذي بلغ أشده دون أن يفهم الآخرون أنهم تجاوزوا كل الخطوط الحمراء، مما جعل التربويين في اسكتلندا يحرصون على إدراج هذا النوع من العنف في قائمة المحظورات.

وظهر من ذلك أن المدرسة لا يمكنها أن تؤدي دورًا في حل المشكلة فحسب، بل يمكن أن تكون هي منبع المشكلة، أو على الأقل السبب في تفاقمها، وأن المدرسة لا تستطيع زعم الحيادية، وترفض أن تؤدي دورًا في مسألة العنف، لأنها ستكون إما وسيلة علاج وإما مصدر المرض.

وتوصل خبراء التربية هناك إلى أن نقطة الانطلاق هي (قيام نوع من الشراكة بين المدرسة والطلاب) بهدف المساهمة بالتساوي في وضع شعار للمدرسة، والنظر في المناهج الدراسية، وفي سير العملية التعليمية، وفي أسلوب إدارة المدرسة، وفي وضع تصورات لكيفية الارتقاء بمستواها.

ولكن أخطر ما في هذه المسألة أن التلاميذ يدركون بسرعة بالغة، ما إذا كانت نوايا المدرسة جادة في اعتبارهم (شركاء) لهم حق المشاركة الفعلية، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مسرحية شكلية بحتة. وعندها سيفقد الطلاب القناعة بأن المدرسة راغبة في كسبهم، وأن لهم حقوقًا لا يحق لإنسان أن ينال منها، وستكون النتيجة إدارة ظهورهم للمدرسة، وتردي العلاقة إلى أسوأ مما كانت عليه من قبل.

وحرص المختصون على توضيح الفرق بين ارتكاب العنف، والدفاع عن النفس، حيث شددوا على أن اكتساب المهارات والقدرات اللازمة لكي يدافع الطفل أو الشاب عن نفسه، ولكي يتمكن من الحفاظ على سلامته البدنية والنفسية، لا تندرج في إطار العنف.

أسباب العنف المدرسي

توصل فولفجانج متسلر وفرانك أينينجر في دراستهما بعنوان (تغير الإطار المدرسي كمبدأ لتحقيق الوقاية المدرسية من العنف)، إلى أن كل الجهات المعنية بالتلاميذ من مدرسة إلى أهل إلى وسائل إعلام تسعى دومًا لإلقاء المسؤولية على غيرها.

وأرجعوا أسباب العنف الذي يظهر في المدرسة إلى أحد المجالات الأربع التالية:

- مناخ أسري مشجع للعنف.
- وجود قصور في الثقافة التعليمية والتربوية، وصعوبة التفاهم بين المعلم والطالب.
- وجود جوانب قصور في الاتصال بين الفئة العمرية الواحدة (التلاميذ فيما بينهم).
- مناخ وقت الفراغ بما فيه من وسائل إعلام، وبرامج كمبيوتر.

واتضح لهم أن نسبة العنف في المدارس الفنية والمهنية أعلى بكثير من معدلات العنف في مدارس التعليم الثانوي العام، وأن الغالبية

العظمى من الجناة هم من البنين، وأن الضحايا يكونون أيضًا من البنين (باستثناء) التحرش بالبنات، فتكون الضحايا من الفتيات بالطبع.

ومن النتائج - غير المتوقعة التي توصلا إليها، هي أن نوعية الدرس تؤثر سلبًا أو إيجابًا على العنف في الصف، فكلما كان الدرس مشوقًا، وكان الشرح جيدًا، والمعلم متمكنًا من مادته، انخفضت معدلات العنف في الصف.

وتحتل علاقة المعلم بالتلميذ مكانة متقدمة في مسألة العنف، فالتعسف في تقويم الطالب، أي منح العلامات بصورة غير عادلة وغير مقنعة، أو السخرية منه، وإشعاره بالمهانة أمام زملائه، كل ذلك يجعل التلميذ أكثر ميلاً للعنف.

ولكن رولف فان ديك توصل في دراسته بعنوان (التعامل مع العدوانية والعنف لدى الأطفال والشباب) إلى أن المشاعر العدوانية التي تنشأ داخل الطفل أو الشاب ليست كافية لترجمتها إلى تصرفات عنيفة، بل لا بد له من أن (يتعلم) العنف أولاً، وهو ما يتم بإحدى طريقتين:

-التعلم التأكيدي: ويعني إدارك الطفل أن ممارسة العنف ترتبط بالحصول على مكسب، مثل رفع المعنويات أو الثأر لما وقع له، أو الحصول على إعجاب الآخرين.

- التعلم بالملاحظة: وفيه يتعلم الطفل كيفية القيام بالعنف، واكتساب قدرات من مشاهدة الآخرين في أثناء قيامهم بذلك، وفقدان الخوف من التعرض للإصابة في سبيل تحقيق هدفه وإخراج ما في داخله من حنق وضيق.

ويرى أنه دون (تعلم) العنف، فإن رد فعل التلميذ قد يتحول إلى الانزواء، والرغبة في العزلة، ورفض الاندماج في الصف، وعدم الرغبة في الانتماء للجماعة، باعتبار زملائه مشاركين في الحدث من خلال عدم تقديمهم المساعدة له.

كما أن حب المدرسة الذي يظهر في إقبال التلميذ على الذهاب إليها، من عوامل انخفاض العنف. وينشأ هذا الحب بأن يشعر بجدوى ما يتعلم، من خلال ربطه بحياته اليومية، وجعله بشخصه وطموحاته وتصوراته محورًا للدرس، (على عكس المدارس التي تنعدم فيها الأنشطة اللاصفية فلا رحلات ولا معسكرات، ولا اتصال بالمدارس المحيطة ولا مسابقات وتجاهل تام لرغبات الطلاب وأولياء أمورهم، والتذرع بأنه من لا يعجبه فليترك مدرستنا).

أرجع التربويون الألمان نجاح هذا البرنامج إلى أنه يحدد إطار العمل فقط ، مثل ضرورة وضع خطوط حمراء عند القيام بتصرفات ما ، ولكنه يترك محتوى القواعد والعقوبات لكل مجموعة على حدة ، حيث يتيح الفرصة للطلاب والمعلمين والأهل بالمشاركة في وضعها ، وبالتالي الانتماء لها

(برنامج اللاعنف) للبروفيسور النرويجي دان أولفويس

يعتمد هذا البرنامج على أبحاث أنجلو- أمريكية وتجارب عملية واسعة النطاق في كل من النرويج والسويد، وجرى مؤخرًا تطبيقها في ألمانيا في ٤٧ مدرسة، بلغ عدد طلابها ١٤,٧٨٨، وحقق انخفاضًا كبيرًا في أعداد ضحايا العنف، وأعداد الطلاب مرتكبي العنف، بجميع أنواعه من الاعتداء اللفظي إلى البدني.

ولكن أولفويس يشدد على أن نجاح البرنامج أو فشله يتوقف على مدى قناعة الهيئة التدريسية بضرورة القيام به، لأن ردود فعل بعض المعلمين تتراوح بين اعتبار (العنف ظاهرة طبيعية، ولا يمكن تغييرها، وبالتالي لماذا نرهق أنفسنا)، وآخرون يرون أن (الوضع مأساوي لم يعد يطاق، ولا يمكن السكوت عليه، بل لا بد من العمل فورًا على تغييره)، وأنه ليس من السهل التوفيق بين أصحاب الموقفين المتناقضين المذكورين.

كما يشترط لنجاح البرنامج إشراك جميع الأطراف المعنية، ولا يعفى الطلاب الذين حضروا واقعة ارتكاب العنف من المسؤولية، لأن التخاذل عن رد العدوان يعتبر مشاركة فيه. ويحدد البرنامج بدقة المهام الملقاة على عاتق كل طرف.

دور الصف

يعتبر الصف محور البرنامج بأكمله، إذ تجري

صياغة (قواعد اللاعنف) في هذا الصف ويتولى الطلاب والمعلمون في كل صف، اقتراح هذه القواعد، ومناقشتها وتبريرها وصياغتها، ثم مراقبة تطبيقها، وعقد لقاءات دورية لبحث مدى الالتزام بها.

ومن الضروري أن يشارك الطلاب في كل مرحلة في وضع هذه القواعد، لا أن يمليها عليهم المعلم، وألا يقتصر دور الطلاب على التصويت عليها، لأن هذه القواعد ستصبح حينئذ (ملكًا خاصًا لهم ولصفهم).

وتكون صياغة القواعد على نمط (نحن لا نشارك في اضطهاد الآخرين)، بحيث تكون المسؤولية جماعية، وتحديد المحظورات مثل: (نحن لا نبصق ولا نضرب ولا نركل ولا نهين بعضنا بعضًا)، والتشديد على التفريق بين الوشاية وبين إشراك المعلم في حل المشكلة (سنعمل على مساعدة من يتعرض للاضطهاد أو العنف بكل وسيلة متاحة، ومنها إبلاغ المعلم).

ومن القواعد التي ثبتت أهميتها في المدارس الابتدائية بصورة خاصة، أن يقول التلميذ (كفى توقف)، عند عدم رغبته في الاستمرار فيما يراه آخر مزاحًا، أو لعبًا، ولكن الأول يرى أنه لم يعد مقبولاً له، وبذلك تمثل هذه العبارة توضيحًا لا لبس فيه، بأنه إذا استمر في تصرفه فإنه بذلك يرتكب خطأ.

وبعد الانتهاء من صياغة القواعد يحصل أولياء الأمور وبقية معلمي الصف على هذه القواعد المتفق عليها، ليكونوا على دراية بها، فيشاركوا في تنبيه



أبنائهم وبناتهم أو تلاميذهم وتلميذاتهم بالحرص عليها، ولا يعملون على هدمها، والتشكيك في جدواها أمامهم.

العقوبات

ولا بد أن تتضمن القواعد المتفق عليها، عقوبات ضد من يخرق هذه القواعد، ومن الجدير بالملاحظة أن الطلاب يعرفون ما يؤلمهم أفضل من غيرهم، ولذلك فإنهم يحددون عقوبات تكون فعالة، ولكنها في الغالب تكون صارمة للغاية، وهو الأمر الذي يجب الانتباه إليه، أي مراعاة أن تكون العقوبة غير محببة للنفس، ولكنها في الوقت نفسه ليست عدوانية.

ومن المهم أن يحرص المعلم على مدح الطلاب الذين يقومون بأعمال إيجابية، بل وعلى عدم قيامهم بأعمال عنف، وأن يأتي المدح مباشرة، وكذلك العقوبة لا بد أن تكون فور وقوع الخطأ، وإلا فقدت جدواها، فاستدعاء الطالب عند مدير المدرسة بعد عدة أيام من التصرف السلبي، أو حرمانه من رحلة بعد شهر، تكون نتيجته منعدمة تقريبًا.

ويراعى عند إلزام المخطئ بالاعتذار للضحية، أن يكون على مرأى من الزملاء، وتأكيد ألا يكون ذلك مجرد كلمات دون مضمون، ودون ندم على هذا التصرف المرفوض، وإلا تعرض الطالب لعقوبة أشد.

وتنعقد جلسات أسبوعية يتولى فيها الطلاب مراجعة أحداث الأسبوع، وما يتطابق منها مع التجاوزات المنصوص عليها، والعقوبة المستحقة، وهم في ذلك يتعلمون تطبيق القواعد النظرية على واقعهم المعاش، مع إمكانية الإضافة والحذف من هذه القواعد، وإعادة صياغة ما ظهر عدم دقته، وتقويم الطلاب لمدى فاعلية الديناميكية التي يسير عليها الصف. علاوة على مناقشة المشاكل الطارئة مثل تكون (شلل) لا تسمح للآخرين بالانضمام إليها، ومدى تأثير ذلك على اندماج الصف كوحدة متماسكة، وفرض العزلة أو الاضطهاد على بعض التلاميذ، وكيفية إنهاء هذا السلوك.

الرقابة والمناوبة

نظرًا لأن غالبية أعمال العنف تقع خلال

الفرصة، منذ خروج المعلم من الصف، وقبل مغادرة الطلاب له، وفي الطرقات المؤدية للساحة، وعلى السلالم، وفي الساحة، وفي دورات المياه، وفي طريق العودة من الفرصة، فلا بد أن تكون الرقابة خلال هذه الفترة في منتهى الحزم. ويوفر غياب معلم واحد عن مكانه مرتعًا خصبًا للمشاغبين للقيام بالعنف، ولذلك لا بد لجميع المناوبين من الوجود في أماكنهم طوال فترة الفرصة، وعدم السماح بأي تجاوز، بالصرامة نفسها من المناوبين كافة، وعدم التغاضي عن أحد الطلاب، هذا لأنه ابن المدير أو أحد أعضاء الهيئة التدريسية، أو غير ذلك، لأن أي خلل في ذلك سيؤدي إلى فشل العمل بأكمله.

ويمكن الاستفادة من طلاب الصفوف العليا المعروفين بحسن الخلق، في المشاركة في المناوبة على الصغار، خصوصًا عند توفر الحماس لدى المناوبين لوضع برامج ترفيهية للطلاب في أثناء هذه الفرصة.

ولا يجوز أن يفرض المعلم المناوب عقوبة ما على مرتكبي العنف، ليتدخل معلم آخر ويلغيها، (إكرامًا لخاطره، ولتكن آخر مرة). كما لا يجوز أن يعود الطلاب للصف، ولا يجدون المعلم ينتظرهم، بشرط أن يقرع المعلم المسؤول الجرس في موعده، وليس قبل الموعد ليستريح وحده بضع دقائق، تتعرض فيها سلامة مئات الطلاب للخطر.

آراء الطلاب

شارك في بداية المشروع ١٤,٧٨٨ طالبًا في استطلاع الرأي، وعبر آنذاك ٢١ ٪ منهم عن رأيهم بأنهم يتعرضون لاضطهاد (من النوع الخفيف)، مقابل ٩ ٪ قالوا إنهم يتعرضون للضرب أكثر من مرة في الأسبوع. وكانت غالبية من يعتبرون أنفسهم ضحايا من البنين (بنسبة ٥٥ ٪)، مقابل ٢٣ ٪ يعتبرون أنفسهم من مرتكبي (العنف الخفيف)، و٩٪ يرون أنهم يرتكبون عنفًا شديدًا (تبلغ نسبة البنين بينهم ٧٢٪، غالبيتهم من الصفوف ٧ - ١٠). وكان أكثر من نصف الاعتداءات شفهيًا، وثلثها (بدءًا من الصف الثالث) بالضرب، وربع الاعتداءات (بدءًا من الصف الخامس) بالضرب أو الركل.

وتبين أن هناك اتجاهًا لعدم الحديث عن هذه الاعتداءات في المدرسة (على عكس البيت)، ولا يسري ذلك على الجناة فقط، بل وعلى الضحايا وعلى مشاهدي الواقعة، مما يشكل صعوبة في معرفة الحقيقة، ولذلك ربما يكون الاعتماد على الطلاب كمسؤولين عن فض النزاعات في مثل هذه الحالات مفيدًا، وقد تباينت نسب ضحايا العنف بين المدارس من فنية إلى ثانوية.

ويرى الطلاب أن هناك مجموعة من مرتكبي العنف، لم تغير طباعها ولا نظرتها إلى العنف، تواصل استغلال ضعف الآخرين، وتضطهدهم.

عوامل نجاح برنامج أولفويس

أرجع التربويون الألمان نجاح هذا البرنامج إلى أنه يحدد إطار العمل فقط، مثل ضرورة وضع خطوط حمراء عند القيام بتصرفات ما، ولكنه يترك محتوى القواعد والعقوبات لكل مجموعة على حدة، حيث يتيح الفرصة للطلاب والمعلمين والأهل بالمشاركة في وضعها، وبالتالي الانتماء لها، مع تأكيده أهمية الدورات التدريبية للمعلمين في حل النزاعات، وإدارة دفة الحوار، وكيفية تحويل الاستراحة إلى فترة إبداعية

أن من أهم عوامل القضاء على العنف اعتبار الطالب (شريكًا فعالاً) في العملية التعليمية، ومراعاة رغباته، وتقاسم المسؤولية معه، ومعاملته ككائن مستقل، وإشراكه في وضع دستور أخلاقي يتضمن القيم المطلوب اتباعها، والمحظورات الواجب تجنبها، والعقوبات اللازم إيقاعها في حالة خرق هذا الدستور، وبالتالي لا تكون هناك حاجة للجوء إلى العنف، إذ سيحصل على الاعتراف والاهتمام من الجماعة، واحترام كرامته، بطرق سلمية

مليئة بالألعاب، وبالتالي الاستفادة من طاقة الطلاب فيما يفيدهم، ودورات في كيفية وضع القواعد وصياغتها. كما أنه يحدد الأولويات ويتيح الفرصة لجميع الأطراف للإسهام.

واتضح أنه من الضروري أن تتوفر الهياكل التنظيمية اللازمة وإصرار إدارة المدرسة على الجدية في تنفيذه، بحيث لا يضيع الوقت في فترات تحضير، وأهداف مرحلية، بل لا بد من البدء بسرعة، وتحقيق نتائج ونجاحات ملموسة في فترات وجيزة، وضرورة عمل لقاءات موسعة تشمل أعضاء الهيئة التدريسية والطلاب وأولياء الأمور.

التغيرات

يفضل أولفويس استخدام مصطلح (التغيرات)، وليس (التقدم) مثلاً، حتى لا تكون هناك عجلة في ربط عوامل بعينها بنتائج معينة، واعتبارها هي الأسباب التي إذا ما انتهت أصبح النجاح مضمونًا.

وتبين في نهاية المرحلة الأولى من تطبيق برنامج اللاعنف (وكان عدد الطلاب ١٠,٦٠٠ طالب من الصف ٣ ـ ١٠) انخفاض نسبة ضحايا الاضطهاد من ٢٥٪ من الطلاب إلى ٢٠ ٪. أي بمعدل الخمس، وانخفاض نسبة المتعرضين للعنف في مختلف المدارس المشاركة في البرنامج بنسب تتراوح بين ١٠ ـ ٢٥ ٪.

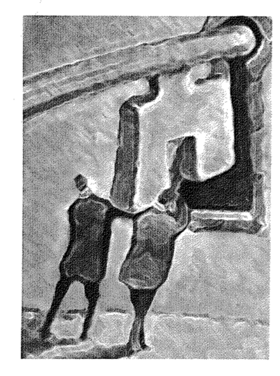
وفي المقابل تبين ارتفاع طفيف في نسبة من يعتبرون أنفسهم ضحايا عنف، ولكن الاختصاصيين يعتقدون أن (الحساسية التي تولدت لدى الكثيرين تجاه مسألة العنف جعلتهم يبالغون في استغلال هذا المصطلح).

وقد نجمت عن البرنامج إيجابيات إضافية، من بينها:

- تفعيل دور النقاش وتبادل الرأي بين المعلمين.
- توطيد التعاون وتبادل المعلومات بين المعلمين وأولياء الأمور.
- تحسن مناخ العلاقة بين المعلمين والطلاب (مزيد من التفاهم والوضوح والصراحة).
- تغيرات إيجابية في الهياكل التنظيمية وفي نظام الاستراحات وإعادة تشكيل الساحة المخصصة للفرصة.

ختامًا

ويتضح مما سبق أن من أهم عوامل القضاء على العنف اعتبار الطالب (شريكًا فعالاً) في العملية

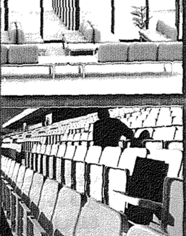
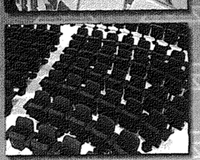


التعليمية، ومراعاة رغباته، وتقاسم المسؤولية معه، ومعاملته ككائن مستقل، وإشراكه في وضع دستور أخلاقي يتضمن القيم المطلوب اتباعها، والمحظورات الواجب تجنبها، والعقوبات اللازم إيقاعها في حالة خرق هذا الدستور، وبالتالي لا تكون هناك حاجة للجوء إلى العنف، إذ سيحصل على الاعتراف والاهتمام من الجماعة، واحترام كرامته، بطرق سلمية.

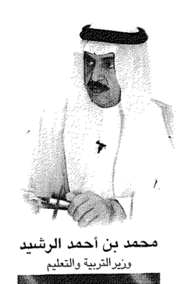
كما تبين ضرورة وجود إجماع داخل الهيئة التدريسية على هذه القيم والقواعد اللازم اتباعها، بحيث لا يهدم أحد المعلمين ما يبنيه الآخرون، والتركيز على المدح على التصرف الإيجابي، بل وعلى عدم ارتكاب التصرف السلبي، وتوفير الدورات اللازمة للمعلمين لرفع كفاءتهم في إدارة الحوار، وصياغة الأهداف، وتحديد العقوبات المناسبة. وعدم وصم طالب بسوء الأخلاق، حتى يبقى الباب أمامه مفتوحًا، لتغيير سلوكه.

المشكلة الكبرى في هذا البرنامج أنه مثل النظام الغذائي الذي تضعه لتحقق سلامة بدنك، إذا توقفت عنه عاد جسدك لما كان عليه، وكذلك إذا توقفت المدارس عن تنفيذ برنامج اللاعنف، فإن الجياع للعنف سيعودون لالتهام ضحاياهم، وربما بشهية أكبر مما كانوا عليه من قبل. ■


MEMBER
SEFA
BIFMA
MEMBER
ISO
9001

أثاث الرياض



محمد بن أحمد الرشيد
وزير التربية والتعليم

لقد بلغت مئة!

هاقد بلغت أعداد (المعرفة) مئة منذ صدور عددها الأول في عهد وزير المعارف الأول، خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله، فالحمد لله الذي بعونه وتسديده تمت هذه النعمة.

وإني - عندما أستعرض ما أنجزه العاملون في وزارة التربية والتعليم في الأعوام الماضية بتوفيق الله - لا أستطيع أن أنسى أبدًا مجلة المعرفة التي تطل علينا بوجهها المشرق، وزينتها الجذابة، وابتسامتها العذبة. إنها واحد من أعز آمالي تحقق بفضل الله، ثم بفضل الأخ النبيل الموهوب الأستاذ زياد بن عبدالله الدريس، وزملائه الكرام، وكل الذين أسهموا وأغنوا هذه المجلة التربوية الرائدة التي حققت المعادلة الصعبة؛ فلم تكن أكاديمية بحتة ينصرف عنها عامة المثقفين، ولم تكن ثقافية عامة يستغني عنها الأكاديميون.

أما آمالي في (المعرفة) ولها، فبعضها تحقق، وبعضها لمّا يتحقق بعد:

الذي تحقق:

١- أنها أصبحت شهرية تصدر بانتظام، وتكون في أيدي قرائها مع بداية كل شهر هجري..

٢- نجاحها في «حل المعادلة الصعبة»

التي أشرت إليها آنفًا.
٣- مدّت بيننا وبين العالم جسورًا تربوية كثيرة عبرنا فوقها نحو تجارب الآخرين، فاطّلعنا عليها، واستفدنا منها، وفتحت لنا نوافذ على ميادين التعليم في مختلف مدن العالم، فقرأنا عنها، وعشنا معها، ولولاها لكنا في عزلة لا ندري ماذا يجري حولنا، إلا بمشقة وجهد.
٤- أصبحت أهم منبر علمي تربوي من نوعه - ربما على مستوى عالمنا العربي - أتاح الفرصة للمهتمين والمبدعين أن يلتقوا عبر صفحاتها، ويتبادلوا الآراء، والأفكار، والاقتراحات، ولا يخفى ما في هذا من الفوائد على كل صعيد.

والذي لم يتحقق:
١- لا يزال عدد كبير من منسوبي التربية والتعليم لا يقرؤونها، والذين يطلعون عليها منهم لا يؤدونها حقها، كم أود أن تصبح حاجة المعلم إليها كحاجة طالب اللغة إلى معجمه!
٢- الأمل في انتشار أكبر في البلاد العربية الشقيقة.
٣- توفرها كاملة على الشبكات الإلكترونية (الإنترنت).
٤- لم يبلغ ما يطبع منها ثلاث مئة ألف نسخة في كل شهر!!
إن الركن الثاني الذي يقوم عليه نجاح أي دورية - بعد جدراتها وجودتها شكلاً ومضمونًا - هو إقبال القراء عليها، واستفادتهم منها، وإغناؤها بما يكتبون، ويقترحون، ولعل الهدف الأسمى لأي مجلة هو أن تحقق رسالتها، وتخرج جيلاً من القراء والكتاب يتأثرون بها: بفكرهم، وسلوكهم، وأدبهم. لعل أوضح مثال على هذا مجلة (الرسالة) التي أصدرها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات، واستمرت في الصدور عشرين سنة (من ١٩٣٣م إلى ١٩٥٣م)، فأنشأت مدرسة متألقة من الكتاب والقراء، واشتهرت حتى إن أول ما يُعرّف بها منشئها أنه: «صاحب مجلة الرسالة»! وأملي بالله تعالى كبير أن تكون مجلة المعرفة كمجلة الرسالة، بل أبلغ أثرًا؛ فإن تلك تغلب عليها صبغة الأدب واللغة والبيان، وهذه معنية بأدب النفس، والفكر، والتربية، والسلوك، ومن ثم بناء الأفراد، وبناء الأمة.
إن استشرافي لمستقبل (المعرفة) بناء على دراسة حاضرها وماضيها يبعث في نفسي الثقة بأنها ستحقق ما بقي من آمالي وتزيد عليها، إن شاء الله. ومنه - وحده - نستمد العون والتوفيق.



المعرفة قبل ٥٠ عامًا

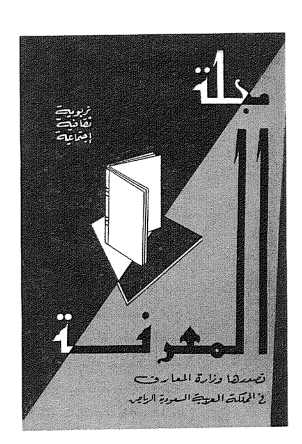
محمد القشعمي - الرياض

قدم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - عندما كان وزيرًا للمعارف مجلة المعرفة للمجتمع في العدد الأول، وكشف للقارئ أهدافها وأغراضها الثقافية والتربوية فقال في الكلمة الاستهلالية لهذا العدد التاريخي تحت عنوان «هذه المجلة»: «ونحن حين نقدم هذه المجلة - المعرفة - في عددها الأول إنما نؤكد حرصنا الشديد على أن تزود القارئ بما يفيد، وما يصلح أن يكون غذاء روحيًا دسمًا يقيم الأود.. ويصلح الأخطاء.. وينتشل من الغفوة، ويدفع مركبة الحياة العامة في مضمار النهوض الاجتماعي والإنماء الاقتصادي والازدهار العلمي والتوثب الفكري.. إلى جانب أن تكون منبرًا هادفًا لعلاج المشكلات التي تحيط بمجتمعنا...»

خرجت «المعرفة» في إصدارها الأول عام ١٣٧٩هـ قوية في مقاصدها، بارزة في غاياتها النهوضية، تقدم المادة التربوية والعلمية في صفحاتها لتملأ فراغًا كانت تعاني منه الساحة التربوية.

(معلم الفصل ومعلم المادة)، (الامتحانات متعة نفسية.. ولحظة صفاء وسعادة روحية)، (ترتيب الطفل بالنسبة لأخوته، وأثره في تكوين شخصيته)، (التعليم الجامعي) كانت تلك من أبرز المواضيع التي نشرت في أعداد المجلة الأولى وهي موضوعات ما زالت محل المداولة والطرق في الإعلام حتى هذه الأيام... هل في ذلك دليل سبق لـ«المعرفة» ونظرتها التطلعية عندما طرحت هذه الأفكار قبل ما يقارب خمسين عامًا؟

هنا نعرض لشيء من تاريخ «المعرفة» من خلال الكتب التي سبرت بدايات الإعلام في المملكة لنؤكد حجمها وجذرها آنذاك، ولنقول أيضًا إن أي نجاح لـ«المعرفة» الآن إنما هو امتداد للنجاح الأول.



يذكر الدكتور علي جواد الطاهر في «معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية» ط٢ج٢، ١٤١٨هـ إشراف حمد الجاسر ٦٥٥ (٢٢ ـ مجلة «المعرفة» أصدرتها وزارة المعارف شعبان ١٣٧٩هـ ـ فبراير ١٩٦٠م توقفت قبل نظام المؤسسات الصحفية). وذكر في الهامش (ثم عادت إلى الصدور في رجب ١٤١٧هـ).

ويقول الأستاذ عثمان حافظ في «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية) ط٣ج١، ١٤٠٩هـ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ (مجلة «المعرفة» تصدرها وزارة المعارف في الرياض، مجلة تربوية ثقافية، اجتماعية ـ يشرف عليها الأساتذة: سعد البواردي، محمد حبشي، عبدالله بن إدريس، مدير إدارة المجلة سعد البواردي، سكرتير الإدارة عبدالله الرشود والمجلة تصدر مرة كل أربعة شهور، تصدر في ربيع الثاني، وفي شعبان وفي ذي الحجة من كل سنة...).

ونجد في كتاب «موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية» تأليف محمد بن ناصر ابن عباس، ط١: ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م (مجلة المعرفة: وهي مجلة تربوية ثقافية اجتماعية أصدرتها وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية، وقد صدر العدد الأول والثاني في مجلد واحد في شهر شعبان ١٣٧٩هـ (فبراير ١٩٦٠م)، وكان خط صدورها قد حدد بحيث تصدر كل أربعة شهور مؤقتًا، وبعد أن استمرت فترة في الصدور توقفت قبل صدور نظام المؤسسات الصحفية).

نشرت صحيفة اليمامة ـ الأسبوعية ـ في عددها رقم ٢٠٧ الصادر يوم الأحد ٣ شعبان ١٣٧٩هـ في الصفحة الثانية الخبر التالي: صدر العدد الأول من مجلة (المعرفة) وهي مجلة ثقافية جامعة تصدرها وزارة المعارف ـ في كل ثلاثة شهور مرة بصفة مؤقتة ـ مطبوعة طبعًا حسنًا على (مطابع الرياض)، في ١٤٤ صفحة. وقد طالعنا العدد الأول منها فاستبشرنا بهذه الخطوة المباركة التي تخطوها وزارة المعارف، ولاشك أن قيام هذه الوزارة بإصدار مجلة يشرف عليها، ويشارك في الكتابة فيها الصفوة الممتازة من رجال العلم والمعرفة ـ في هذه البلاد وإخوانهم من العلماء ـ يعتبر من الأعمال الثقافية التي كان رجال التعليم في بلادنا يتطلعون إليها منذ أمد بعيد، بعد أن أدركوا الحاجة إلى ما يملأ الفراغ الواسع في الحقل الثقافي التربوي الذي يحسون به. ولن يكون ذلك إلا بمجلة تخصص لنشر البحوث والمقالات التربوية الموجهة. وبنشر كل ما له صلة بشؤون التعليم من آراء ونظريات نافعة.

و ـ اليمامة ـ تستقبل هذه الرصيفة الكريمة بخير ما تستقبل به، وتأمل أن تقوم وزارة المعارف بإصدارها شهرية، ولو آل الأمر إلى تقليل صفحاتها، لكي يتسنى لهذه المجلة تزويد المربين ورجال المدارس بما يستجد من آراء ونظريات نافعة، ومقررات رسمية في أوقاتها المناسبة.

وبالرجوع إلى العدد الأول من المجلة نجد العنوان: المعرفة ـ مجلة تربوية ثقافية اجتماعية تصدرها وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية. الجزءان الأول والثاني شعبان ١٣٧٩هـ فبراير ١٩٦٠م السنة الأولى. وتتكون لجنة المجلة من الأساتذة محسن باروم، عبدالله المنيعي، عبدالله أبي العينين، محمد الحبشي، عبدالكريم الجهيمان، سعد البواردي، صالح باوزير، منصور الخريجي. سكرتير التحرير: سعد البواردي.

المراسلات، تكون المراسلات بعنوان: مجلة المعرفة ـ وزارة المعارف ـ الرياض. الاشتراك، قيمة الاشتراك السنوي ثلاثة ريالات سعودية أو ما يعادلها في الأقطار العربية.

تصدر كل أربعة شهور مؤقتًا.. في ربيع الثاني وشعبان وذي الحجة من كل عام.

وفي الصفحة الثانية ـ محتويات العدد، ونقرأ في الصفحة الثالثة مقال تحت عنوان: «هذه المجلة..» لوزير المعارف فهد بن عبدالعزيز، وهي بمثابة استهلال للعدد الأول يقول فيها: (كنا نحس بأن فراغًا كبيرًا في واقع صحافتنا التربوية لابد من ملئه.. وكنا نحس أيضًا بأن هذا البلد تموجه الصحيفة التي تعنى أول ما تعنى بشؤون التربية وأساليبها.. وتوجيه الآباء والمدرسين إلى مافيه صالح النشء وتكوينه.! وكان لزامًا على هذه الوزارة وهي المسؤولة الأولى عن شؤون التربية والتعليم أن تفكر جديًا في ملء هذا الفراغ.. وإيجاد الصحيفة الهادفة التي تحتضن بين صفحاتها عصارات أفكار ناضجة في حقول التربية والثقافة والاجتماع.. لكبار المربين وذوي الاختصاص والتجارب! وحرصًا من هذه الوزارة على أن تكسب الوقت ـ وهو السريع الفوت ـ وأن تعمل على احتضان الفكرة البناءة الهادفة وإيجادها فقد بادرت بوضع الأسس العملية.. ورسم الخطوط الجدية، وأخرجت الفكرة إلى حيز التنفيذ والواقع حرصًا منها على أن يجد المهتمون بشؤون التربية والثقافة والعلم مجلة تصدر وتنبثق من بلادهم تحمل طابع البيئة.. وتتمشى مع روح

العصر.. وتصدر لقرائها قوية نابضة بالحياة وتمثل في الوقت نفسه مظهرًا من مظاهر الكفاح في سبيل السمو بالفكرة الصاعدة البناءة..

ونحن حين تقدم هذه المجلة - المعرفة - في عددها الأول إنما نؤكد حرصنا الشديد على أن تزود القارئ بما يفيد وما يصلح أن يكون غذاء روحيًا دسمًا يقيم الأود.. ويصلح الأخطاء.. وينتشل من الغفوة.. ويدفع بمركبة الحياة العامة في مضمار النهوض الاجتماعي والإنماء الاقتصادي والازدهار العلمي والتوثب الفكري.. إلى جانب أن تكون منبرًا هادفًا لعلاج المشكلات التي تحيط بمجتمعاتنا..

وجل حرصنا أن تعطي هذه المجلة الحلول الناجعة.. والتجارب الناجحة.. والأفكار الصائبة السليمة كي يأخذ بها القراء وغير القراء أيضًا إلى ما فيه صالحهم وعزة أجيالهم القادمة ورفعتها. وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح.

فهد بن عبدالعزيز

وزير المعارف

يليها مقال بعنوان (المعرفة.. كما أردناها) بقلم وكيل الوزارة عبدالعزيز آل الشيخ يقول فيها: (... إنني متفائل بمولد هذه المجلة العلمية، وبأنها سوف تكون المجلة العربية الإسلامية الثقافية.

ولعل تفاؤلي هذا دافعه اطمئناني إلى أن أسرة المجلة نخبة ممتازة من الشباب المثقف الواعي.. في أكثر من مجال ساهموا أو يساهمون في نهضة البلاد مساهمة فعالة إيجابية.. وبتعدد الثقافات وتنوعها سوف تجد أيها القارئ بحوثًا اجتماعية وعلمية وثقافية واقتصادية وموضوعية تهمك وتهم وطنك.. وإني أؤكد لك أن هذه الوزارة باذلة أقصى جهدها في العناية بهذه المجلة.. عناية فائقة حتى تضمن استمرارها.. ونجاحها.. وتحقيق أهدافها).

يليه موضوع بعنوان (أهداف وخطط) للأستاذ إسحاق عزوز وكيل نائب مدير مدارس الفلاح، فـ(القدوة.. وأثرها في التربية..!) بقلم: مصطفى السقا أستاذ النحو بكلية الآداب - جامعة الملك سعود. ثم موضوع «هذه التربية الأساسية» للدكتور فاخر عاقل، خبير اليونسكو للتربية الأساسية في المملكة العربية السعودية. فـ(البيئة الطبيعية وآثارها في رأي ابن خلدون - تلخيص وتعليق) بقلم الدكتور أحمد الجوفي. أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك سعود. فمقال آخر بعنوان (مكة بين المد.. والجزر) للأستاذ أحمد السباعي رئيس تحرير مجلة «قريش».

يليه مقال بعنوان: (التعليم الجامعي) للدكتور أحمد محمود مدرس بكلية التجارة. جامعة الملك سعود. ثم مقال (معلم الفصل ومعلم المادة) بقلم الأستاذ حسن الحريري خبير إعداد المعلمين بوزارة المعارف. فقصة العدد: (ذرات الرمل) بقلم الأستاذ: منصور محمد الخريجي المعيد بقسم اللغة الإنجليزية - كلية الآداب - بجامعة الملك سعود، يليها (ابن بطوطة في بلاد العرب) للدكتور: إبراهيم أحمد العدوي، أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود.

يليه مقال بعنوان (الإدارة المدرسية) بقلم الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم مفتش عام المواد الاجتماعية بالتعليم الثانوي. فموضوع (الخدمة الاجتماعية) بقلم الأستاذ محمد كامل علوي، مفتش التربية الاجتماعية بوزارة المعارف. فـ(أهداف التربية في مرحلة التعليم الابتدائي) للدكتور: إبراهيم قنديل. مفتش بإدارة التربية الرياضية والاجتماعية، فقصيدة (لا تقل..!) للأستاذ: سعد البواردي يقول فيها:

لا تقل «كان» و«كان»
لا تقل «ولى الزمان»
أنت من صنع يديك
فلتكن.. آن الأوان»
قل لكل الناس إني
ها أنا.. لا كان جدي
قد مضى زند أبي واليوم
ها.. قد جاء زندي

ثم موضوع (الامتحانات متعة نفسية.. ولحظة صفاء وسعادة روحية) بقلم الأستاذ: محمد أحمد شريف، خبير الامتحانات.

ويكتب بعد ذلك الدكتور: محمد حياتي، مدير الصحة المدرسية بوزارة المعارف موضوع (المدرسة والتثقيف الصحي) فـ(الأهداف في التربية وطرق التدريس) بقلم الأستاذ سيد محمد سعودي، مفتش المواد الاجتماعية بالتعليم الثانوي. فموضوع (المثل الأعلى للمدرس) بقلم الأستاذ: سليمان محمد سليمان، مدرس اللغة العربية بكلية الشريعة بمكة المكرمة فـ(ترتيب الطفل بالنسبة لأخوته، وأثره في تكوين الشخصية) بقلم الأستاذ: صلاح الدين على الزيات، المدرس بالمدرسة الفيصلية بالرياض. يليه موضوع (واجبنا تجاه أبنائنا) بقلم الأستاذ: وهبه متولي عمر، المدرس بمعهد أنجال جلالة الملك بالرياض.

وعلى مدى اثنتي عشرة صفحة (٨٤ ـ ٩٦) نستعرض كتاب (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) بقلم الأستاذ: حمد الجاسر. عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ورئيس تحرير صحيفة اليمامة، وذلك تحت عنوان (حول كتب ظهرت). فموضوع (الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته) بقلم الدكتور: محمد محمود الصياد، أستاذ الجغرافيه بجامعة الملك سعود، يليه (المؤتمر الدولي للتعليم العام) بقلم الأستاذ: محمد حبشي، مدير العلاقات الثقافية بوزارة المعارف. فتوصيات المؤتمر الدولي الثاني والعشرين للتعليم العام جنيف ١٩٥٩م ـ ثم (الثقافة العامة هدف التعليم الثانوي) فموضوع (الجو الاجتماعي في المدرسة الحديثة) بقلم الأستاذ: عبدالله أحمد المنيعي، مساعد المدير العام للثقافة ـ يليه (التربية الديمقراطية) بقلم الأستاذ محمد نبيه حجاب المدرس بكليتي الشريعة والمعلمين بمكة. فـ(انتصار بلال) بقلم الأستاذ عبدالله أبي العينين، مدير الإدارة العامة بوزارة المعارف. فـ(تاريخ فن المكتبات) بقلم الأستاذ: أحمد حسن جوده وأخيرًا تختتم المجلة بـ(أخبار متفرقة) ونختار منها:


وزير المعارف «الأمير فهد بن عبدالعزيز» في لقطة تذكارية مع بعض رجال التعليم

ـ تم ضم دار الكتب السعودية بالرياض إلى وزارة المعارف وهي المكتبة التي قامت بإنشائها أمانة مدينة الرياض، ويجدر الإشارة إلى أن هذه المكتبة تحوي الكتب التالية:

١٢٢٤ كتابًا عربيًا مطبوعًا، ٥٦ كتابًا عربيًا مخطوطًا، ٤٨٠ كتابًا إفرنجيًا.

ـ أصبح عدد الطلاب السعوديين المتفوقين في جامعات القاهرة والإسكندرية سبعة وثلاثين طالبًا حصل أربعة منهم على درجة (جيد جدًا) وثلاثة وثلاثون طالبًا على درجة (جيد) وقد استحقوا بذلك مكافآت التفوق المقررة لهم كل حسب درجة نجاحه.

وفي الجزء الثالث الصادر في شهر ذي الحجة ١٣٧٩هـ مايو ١٩٦٠م يشارك في الكتابة لأول مرة بالافتتاحية (هذه المجلة) لسعادة مدير عام وزارة المعارف الأستاذ ناصر المنقور. فـ(معاهد التعليم الخاص) للأستاذ محمد عبدالهادي مستشار وزارة المعارف.

فـ(الثقافة للجميع) للأستاذ: حامد دمنهوري مدير عام الثقافة. فـ(اللغة الصوتية.. وكيف نشأت؟) للأستاذ مصطفى السقا عميد كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود.

فـ(مجلس مديري المدارس الابتدائية بالرياض.. خطوة ناجحة) للأستاذ عبدالله الوهيبي مدير التعليم الابتدائي فـ(تيارات الثقافة في العصر الإسلامي) للدكتور أحمد الجوفي، أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك سعود، فقصة العدد (عند الغروب) للأستاذ منصور الخريجي. المعيد بجامعة الملك سعود فـ(التربية والتعليم.. عند الزرنوجي) للأستاذ عبدالقدوس الأنصاري. فـ(تراثنا الشعبي.. نفاسته وواجبنا تجاهه) للأستاذ عبدالكريم الجهيمان. مدير إدارة الاستعلامات والنشر بوزارة المعارف. ففصل من كتاب (شعراء نجد المعاصرون) المعد للطبع للأستاذ عبدالله بن إدريس. وهكذا استمرت مجلة المعرفة تصدر على مدى ثلاث سنوات بمعدل ثلاثة أجزاء في السنة أما في السنة الرابعة والأخيرة فقد صدرت من خمسة أجزاء، وكان عدد المشرفين على المجلة قد تقلص إلى الأساتذة: محسن باروم ومحمد حبشي وعبدالكريم الجهيمان وسعد البواردي من العدد الثاني للسنة الثانية.

أما في بداية السنة الرابعة فقد استبدل بعضهم ليصبحوا حسب التالي:

لجنة المجلة الأساتذة: سعد البواردي، محمد حبشي، عبدالله بن إدريس. مدير الإدارة: سعد البواردي ـ سكرتير الإدارة: عبداللطيف الرشود وكان آخر عدد اطلعت عليه هو الجزء الخامس من السنة الرابعة الصادر لشهر شوال ١٣٨٢هـ مارس ١٩٦٣م.

مجلة «المعرفة» في أطروحة علمية :

من مجلة تربوية إلى ثقافية تربوية

محمد فالح الجهني - المدينة المنورة

نوقشت في قسم الإدارة التربوية والتخطيط بجامعة أم القرى أطروحة ماجستير دارت حول مضمون مجلة «المعرفة» خلال السنوا ت الخمس الأولى من بعد إعادة إصدارها (١٤١٧هـ ـ١٤٢٢هـ).

التعريف الشائع والسائد للإعلام التربوي، هو التعريف الذي يصفه بأنه استثمار وسائل الإعلام في سبيل تحقيق أهداف التربية وخدمتها. وهذا التعريف شامل واسع وفضفاض؛ فبحسب هذا التعريف تكون أنماط التعليم عن بعد والجامعات المفتوحة وجامعات الهواء إعلامًا تربويًا، وتشكّل وسائل الإعلام الملتزمة بقيم المجتمع وفلسفته التربوية إعلامًا تربويًا أيضًا، ويتصف النشر العلمي التربوي وتوثيق وتبادل المعلومات والوثائق والإحصاءات التربوية، بأنه إعلام تربوي من نوع آخر، والتعريف يشمل كذلك الطرح الإعلامي في وسائل الإعلام العامة، عندما تناقش وتطرح قضايا ومشكلات التربية والتعليم.

لكن الإدارة التربوية ـ كتخصص تربوي ـ تأخذ من الإعلام التربوي بطرف، وذلك من خلال النشاط الإداري الاجتماعي للإدارة التربوية، وهو نشاط العلاقات العامة التربوية.

تسعى «إدارة العلاقات العامة التربوية»، في إطار الإدارة التربوية، إلى كسب الرأي العام (الجمهور الخارجي للمنظمة التربوية: مواطنين وقادة ومتخذي قرار...) لصالح المنظمة التربوية؛ فتزداد ثقة المجتمع بها، ويقدّر أداءها، ويتفهّم سياساتها، ويدعم مشروعاتها، ويمدُّها بالرأي والمشورة، ويكون خير عون لها في أداء دورها العظيم.

تستخدم إدارة العلاقات العامة التربوية في جُلّ نشاطاتها، وفي سبيل تحقيق معظم أهدافها، وسائل الإعلام الجماهيري المختلفة. فعندما تصدر المنظمة التربوية، مجلة موجهة إلى الجمهور العام، تخاطبه من خلالها بلغة إعلامية سهلة، وتزوّده بثقافة تربوية، فإن المنظمة التربوية بهذا، تعمل على كسب رأي عام مؤيّد ومعاون ومعاضد لها؛ إذ إن الرأي العام المدرك لطبيعة العمل التربوي والتعليمي، يمثل ـ بلا شك ـ خير معين للمنظمة التربوية في أداء رسالتها الخالدة.

وقد رأى الباحث في إعادة إصدار مجلة المعرفة بصورتها الحالية، ممارسة راقية لنشاط «العلاقات العامة التربوية» من قبل وزارة التربية والتعليم السعودية؛ فمجلة المعرفة بمضمونها الذي تم تحليله في هذه الدراسة وفق النواحي الموضوعية والفنية والزمنية، تعتبر ـ برأي الباحث ـ أرقى ممارسة لنشاط العلاقات العامة



التربوية. فلم تكن «المعرفة» وسيلة تقليدية من وسائل الإعلام عندما تستخدم في حقل العلاقات العامة، إذ لم تكن «المعرفة» ذات طبيعة دعائية فجة يستهجنها القارئ، ولم تكن ذات طبيعة رسمية يعتريها ما يعتري المطبوعات الحكومية والرسمية من محدودية التداول في المكاتب الرسمية وبين الإداريين، ولم تكن مجلة المعرفة ذات طبيعة تربوية علمية متخصصة ومعقّدة تقصر مطالعتها على المتخصصين من رجال التربية وباحثيها...

لقد استمدت مجلة المعرفة من وزارة التربية والتعليم، أهمية العملية التربوية التعليمية وخطورتها وكونها هاجس المجتمع بجميع فئاته واهتماماتها المختلفة، وأخذت من المؤسسات الصحفية المحلية المواهب والقدرات الوطنية في مجال المهنية الصحفية الحديثة والمتطورة، وعولت على القطاع الخاص في مسألة النشر والتوزيع والرواج التجاري الضروري للتطوير والاستمرار... كل ذلك جاء في توليفة رائعة من الإخراج الفني المرموق والحضور الإعلامي المتميز، كمجلة شهرية توزع وتباع على نطاق واسع محليًا وعربيًا ودوليًا.

هدف الدراسة: تنص استراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم، على أن من أهم أهداف الإعلام التربوي: «التغطية الموضوعية المتوازنة لمختلف جوانب العملية التربوية والتعليمية». وللتحقّق من مراعاة مجلة «المعرفة»، لهذا الهدف، تمت صياغة السؤال التالي، وما تفرّع عنه من أسئلة: «ما مدى التوازن الموضوعي والزمني والفني في معالجة مجلة المعرفة، للمحاور الموضوعية لاستراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم؟».

منهج الدراسة و إجراءاتها: للإجابة عن سؤال الدراسة وما تفرّع عنه من أسئلة، انتهج الباحث أسلوب «تحليل المضمون» في إطار المنهج الوصفي المسحي ، تطبيقًا على ٦٠ عددًا من أعداد «مجلة المعرفة» بوصف المجلة نشاطًا من نشاطات العلاقات العامة التربوية بالوزارة. وذلك في فترة السنوات الخمس الأولى من بعد إعادة إصدار هذه المجلة (رجب عام ١٤١٧هـ - جمادى الثانية ١٤٢٢هـ). واستخدم الباحث في تحليل المضمون استمارة تحليل مضمون خاصة بهذه الدراسة، احتوت على ٤ متغيّرات هي: السنة، المحور الموضوعي (اشتقاقًا من استراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم)، الشكل الصحفي، المساحة الصحفية. أما وحدة التحليل التي أخضعها الباحث للعد والقياس والتصنيف وفق متغيرات الدراسة فهي: الفكرة الرئيسة لكل مادة صحفية في مجلة المعرفة، خلال العينة الزمنية للدراسة. وقد أخذت كل وحدة من وحدات التحليل، التي بلغ عددها ٤٦٠٣ وحدات تحليل، رموزًا رقمية خاصة تحت كل متغير من المتغيرات المذكورة. ثم قام الباحث بتحليل البيانات ومعالجتها باستخدام برنامج التحليل الإحصائي SPSS.

خطة استراتيجية مقترحة لمجلة المعرفة:

بعد انتهاء مناقشة هذه الدراسة أصر المناقشون على ضرورة اقتراح خطة استراتيجية من قبل الباحث، تأخذ هذه الخطة بأبعاد التخطيط الاستراتيجي؛ وذلك لسببين: الأول - أن الباحث قد قام بتحليل مضمون المجلة في ضوء خطة استراتيجية عامة للإعلام التربوي وليست خاصة بمجلة المعرفة، ما يعني أن المجلة لم توضع لها خطة خاصة من هذا النوع. الثاني - ضرورة تفعيل البحوث والدراسات في قسم الإدارة التربوية والتخطيط بالجامعة حتى لا تكتفي هذه الدراسات بوصف المشكلات فقط.

لذا فقد قام الباحث باقتراح خطة استراتيجية خاصة

لم تكن «المعرفة» وسيلة تقليدية من وسائل الإعلام عندما تستخدم في حقل العلاقات العامة ، إذ لم تكن «المعرفة» ذات طبيعة دعائية فجة يستهجنها القارئ ، ولم تكن ذات طبيعة رسمية يعتريها ما يعتري المطبوعات الحكومية والرسمية من محدودية التداول في المكاتب الرسمية وبين الإداريين ، ولم تكن مجلة المعرفة ذات طبيعة تربوية علمية متخصصة ومعقّدة تقصر مطالعتها على المتخصصين من رجال التربية وباحثيها . . .

بمجلة المعرفة، تقوم على أسس وأبعاد التخطيط الاستراتيجي، وذلك وفق الاقتراح العام الآتي:

رسالة المجلة: صياغة وثيقة مكتوبة تمثّل دستورًا للمجلة، والمرشد الرئيس لكافة القرارات والجهود التي تبذل في سبيل تحريرها ونشرها وتوزيعها. ويستلهم مضمون هذه الوثيقة من فلسفة التربية الإسلامية التي تتبعها وتراعيها كافة المؤسسات التربوية في المملكة العربية السعودية. وتوضح هذه الوثيقة الخصائص الفريدة والمضمون التربوي الذي تتميز به المجلة عن غيرها من المجلات. كما توضح هذه الوثيقة أن المجلة تتبع وزارة التربية والتعليم وتصدر عنها. وأنها تستهدف الرأي العام المهتم بالتربية والتعليم ومشكلاتهما وقضاياهما، ويستدعي ذلك دراسة نوعية القراء المستهدفين من حيث بعض خصائصهم، مثل: العمر، مستوى التعليم، الثقافة السائدة، مستوى الدخل، التوزيع الجغرافي...إلخ.

ثقافة المجلة: ترسيخ وتعزيز مجموعة من القيم والاتجاهات لدى هيئة التحرير وجميع العاملين في المجلة. تنطوي هذه القيم والاتجاهات على الاعتزاز برسالة المجلة والإخلاص والتضحية في سبيل بقائها وانتشارها واستمرار رسالتها وازدياد قرائها، واحتساب الأجر والثواب عند الله إذا أدى أحد العاملين أكثر مما هو مطلوب منه من العمل. ويجب أن يتم انتقال هذه الثقافة وتوارثها بين هيئات التحرير المتعاقبة عن طريق صياغتها في قواعد أخلاقية مكتوبة، تعمل كمرشد للسلوك يطلع عليه كل عضو جديد يلتحق بأسرة المجلة.

رؤية المجلة: عقد اجتماعات دورية لأعضاء هيئة تحرير المجلة وهيئتها الإشرافية وبعض الكتاب والقراء المخلصين المتواصلين مع المجلة بشكل مستمر، من أجل رسم صورة للمستقبل المأمول للمجلة وطموحاتها وأحلامها مما لا يمكن تحقيقه في ظل الإمكانات الحالية، لكنه من الممكن الوصول إليها في الأجل الطويل. وتوثيق هذه الرؤية ووضع آليات العمل اللازمة لتحقيقها متى ما توفرت الإمكانات المطلوبة.

غايات المجلة: صياغة أهداف بعيدة المدى، يجب أن تعمل المجلة على تحقيقها في الأجل الطويل نسبيًا. ويجب أن تصاغ هذه الغايات (الأهداف) بعيدة المدى من قبل هيئة استشارية متخصصة بالتخطيط الاستراتيجي، أو تدريب هيئة التحرير والهيئة الإشرافية في مجال التخطيط الاستراتيجي وآليات تنفيذه.



أهداف المجلة: صياغة أهداف تنفيذية في حدود سنة إلى خمس سنوات بحد أقصى، تمثل النتائج التي تسعى المجلة إلى تحقيقها في حدود هذه الفترة. ويجب أن توضع هذه الأهداف باسترشاد من رسالة المجلة وثقافتها وغاياتها. ويشترط في هذه الأهداف إمكانية قياس درجة تحققها بدرجة كبيرة من الدقة.

أغراض المجلة: وضع تصور للحالة المرغوبة للمجلة في حدود عشر سنوات بحد أقصى، ويجب أن يضع هذا التصور أطرافًا مسؤولة في المجلة مسؤولية مباشرة.

سياسات المجلة: صياغة مجموعة من العبارات التي يسترشد بها جميع العاملين في المجلة حال مواجهتهم للمواقف المتكررة، ويجب أن تنص هذه السياسات على مجموعة من الأنظمة واللوائح والتوجيهات والتعميمات والضوابط والتعليمات الخاصة في مختلف المستويات التحريرية والإدارية والمالية.

إجراءات المجلة: وضع مجموعة من الخطوات المتتابعة اللازمة لاقتراح ثم تحرير ثم إجازة ثم صف وإخراج مادة صحفية ما.

خطط المجلة الفرعية ذات الأمد القصير (تكتيكات المجلة): تقسيم الخطة الاستراتيجية للمجلة، إلى مراحل وخطوات تفصيلية ذات أمد قصير - نسبة إلى الاستراتيجية - وتحديد الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لتحقيق هذه

التكتيكات المرحلية.

تحليل البيئة الخارجية للمجلة (تحديد الفرص والمخاطر):

(١) الفرص: تحديد واستثمار كل ما يمكن استثماره في البيئة الخارجية (ما يخرج عن تحكّم المجلة) في سبيل تحرير المجلة ونشرها وخفض التكاليف اللازمة للنشر والتوزيع بدون إخلال في رسالة المجلة وغاياتها؛ مثل: التقدم في البرامج الحاسوبية التي تدخل في الإخراج الصحفي، سبل النشر الإلكتروني، المنافسة التجارية بين شركات إنتاج ورق وأحبار وآلات الطباعة وتجهيزات النشر وشركات ومؤسسات النشر والتوزيع، تزايد أعداد المعلنين التجاريين وبحثهم عن وسائل إعلام واسعة الانتشار، تزايد



مساحات الحرية والتعبير عن الرأي، الأقلام والكفاءات الصحفية المتميزة في صحف ومجلات أخرى، مؤسسات الترجمة التي يمكن أن توكل إليها مهمة إخراج نسخ من المجلة بلغات غير العربية، مؤسسات الدراسات الاستراتيجية ودراسات الجدوى ومعاهد البحوث المتخصصة في الانتشار الصحفي واستطلاع آراء الجمهور والرأي العام، مؤسسات التدريب الإعلامي ودوراته التي تقيمها كليات الإعلام وخدمة المجتمع، ... وغيرها من الفرص.

(٢) المخاطر: تحديد التأثيرات السلبية المحتملة للمتغيرات المستجدة والأزمات الطارئة في البيئة الخارجية (ما يخرج عن تحكّم المجلة)، والحد منها قدر الإمكان، دون إخلال في رسالة المجلة وغاياتها؛ مثل: ارتفاع أسعار ورق وأحبار وآلات الطباعة وتجهيزات النشر، المنافسة الشديدة من وسائل الإعلام الأخرى - غير المقروءة - مثل الإذاعة والقنوات التلفزيونية الفضائية، اكتساح النشر الإلكتروني للساحة الصحفية، مؤسسات النشر الصحفي المنافسة التي تستقطب الكفاءات الصحفية وتقدّم لها مزايا وحوافز مادية مغرية، الأزمات السياسية والدولية والاجتماعية التي قد تفرض على المجلة معالجات صحفية معينة تتناقض مع رسالة المجلة، وجهات النظر غير المقتنعة بجدوى نشر وإصدار مجلة المعرفة لدى بعض القيادات الحالية أو المستقبلية في وزارة التربية والتعليم، جهات الرقابة الإعلامية التي قد تفسّر بعض مضامين المجلة تفسيرًا خاطئًا، عزوف بعض القراء عن المجلة بدعوى أنها رسمية محابية للوزارة التي تصدرها،... وغيرها من المخاطر.

تحليل البيئة الداخلية للمجلة (تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف في المجلة): تحديد مجموعة العوامل والمتغيرات والكفاءات البشرية في البيئة الداخلية (ما يمكن للمجلة التحكم به) والتي تؤدّي - أو يمكن أن تؤدّي - أداءً كفؤًا وفعّالاً (نقاط القوة) وتعزيزها وحفزها. و في المقابل تحديد مجموعة العوامل والمتغيرات والكفاءات البشرية في البيئة الداخلية للمجلة التي تؤدي أداءً قاصرًا ومُكلفًا (نقاط الضعف) وتقويمها أو التخلص منها.

يُشار إلى أن تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف في المجلة بشكل متكامل، هو أمر متعذّر بدون القيام بما يلي:

تقويم الموقف المالي للمجلة: وذلك عن طريق: معايير الأداء المالي - وضع البنود المالية التي تبدو أقل أو أعلى من اللازم - الخطط المالية - التقديرات الخاصة بالمتدفّقات

المالية من مبيعات السوق واشتراكات القراء والإعلانات التجارية - التقارير المالية السنوية - الرقابة على المخزون - الحساب الدقيق للاستهلاك...

تقويم عمليات الإنتاج: وذلك عن طريق: تقويم آلات ومعدات الطباعة المتقدمة أو المؤسسات المتعاقدة المسندة إليها مهمة الطبع والإخراج - تقويم الإخراج الفني ومقدرته على جذب القارئ - تقويم نظم الإخراج الصحفي ومراجعتها - الرقابة المستمرة على عمليات التحرير والصف والإخراج والنشر والتوزيع والتسويق...

تقويم الموارد البشرية والإدارية: وذلك عن طريق: تقويم المهارات والقدرات الخاصة بالموارد البشرية - تقويم جدوى الدورات التدريبية للموارد البشرية خصوصًا الكفاءات الصحفية والفنية - دراسة مدى الرضا الوظيفي لدى كافة العاملين في المجلة..

اتخاذ بديل التركيز في إطار استراتيجية التوسّع: وذلك بتركيز إمكانات المجلة في المجال التربوي، ومعالجة قضاياه ومشكلاته وشؤونه.

أهم نتائج الدراسة:

- النتائج المتعلقة بالسؤال الأول من أسئلة الدراسة: «ما مدى التوازن الموضوعي في معالجة «مجلة المعرفة»، لكل محور من المحاور الموضوعية لاستراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم؟»:

- أكثر وحدات التحليل (أفكار المواد الصحفية) في مجلة المعرفة التي تدور حول محور واحد، دارت حول محور «فلسفة التربية» بتكرار قدره (٨٤٤) وحدة تحليل، ونسبة (١٨,٣٣٪) من العدد الكلي لوحدات التحليل في مجلة المعرفة خلال الفترة الزمنية للدراسة (٤٦٠٣ وحدات تحليل).

- يليه محور «الإدارة التربوية» بتكرار قدره (٧٧٠) وحدة تحليل، ونسبة(١٦,٧٢٪).

- ثم محور «الطالب» بتكرار قدره (٧٢٩) وحدة تحليل، ونسبة (١٥,٨٣٪).

- ثم محور «الثقافة العامة» بتكرار قدره (٦٨٨) وحدة تحليل، ونسبة (١٤,٥١٢٪).

- ثم محور «المعلم» بتكرار قدره (٦٥٥) وحدة تحليل، ونسبة (١٤,٢٢٪).

- ثم محور «طرق ووسائل التدريس» بتكرار قدره (٢٣٦) وحدة تحليل، ونسبة (١٢,٥٪).

- ثم محور «المقررات والكتب الدراسية» بتكرار قدره (٢٠٨) وحدات تحليل، ونسبة (٤,٥١٪).

هناك تنازل تدريجي في عدد المواد الصحفية في مجلة المعرفة خلال سنوات الفترة الزمنية للدراسة من السنة الأولى حتى السنة الخامسة ، يدل على تصاعد تدريجي في عدد صفحات كل مادة صحفية : أي أن المجلة بدأت تميل تدريجيًا من المواد الصحفية صغيرة الحجم إلى المواد الصحفية كبيرة الحجم

- ثم محور «التربية الوطنية» بتكرار قدره (١٤٥) وحدة تحليل، ونسبة (٣,١٥٪).

- ثم محور «الاختبارات والتقويم التربوي» بتكرار قدره (١١٣) وحدة تحليل، ونسبة (٢,٤٥٪).

- ثم محورا «المدرسة» و«التربية الخاصة» - بالتساوي - بتكرار قدره (٩٢) وحدة تحليل، ونسبة (١,٩٩٪).

- ثم محور «محو الأمية» بتكرار قدره (٣٩) وحدة تحليل، ونسبة (٠,٨٤٪).

- وأخيرًا محور «التعليم المستمر» بتكرار قدره (١٢) وحدة تحليل، ونسبة (٠,٢٦٪).

التعليق على هذه النتيجة: بشكل عام وبناء على النتائج الإحصائية السابقة، يمكن القول أنه:«هناك عدم اتزان في معالجة مجلة المعرفة للمحاور الموضوعية لاستراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم، خلال الفترة الزمنية للدراسة، حيث كثرت الأفكار (وحدات التحليل) التي دارت حول محاور: فلسفة التربية - الإدارة التربوية - الطالب - المعلّم - الثقافة العامة، في مقابل قلة الأفكار التي دارت حول محاور: طرق ووسائل التدريس - المقررات والكتب الدراسية - التربية الوطنية - الاختبارات والتقويم التربوي - التربية الخاصة - المدرسة - محو الأمية – التعليم المستمر.

- النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني من أسئلة الدراسة: «ما مدى التوازن الزمني في معالجة «مجلة المعرفة»، لكل محور من المحاور

الموضوعية لاستراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم؟»:

ـ هناك توازن تقريبي في معالجة الموضوعات التي دارت حول محور «فلسفة التربية» خلال الفترة الزمنية للدراسة (السنوات الخمس من بعد إعادة إصدار مجلة المعرفة عام ١٤١٧هـ).

ـ هناك تزايد ملحوظ في عدد وحدات التحليل ونسبتها التي دارت حول محور «التربية الوطنية» خلال السنوات: الثانية والثالثة والرابعة من بعد إعادة إصدار مجلة المعرفة عام ١٤١٧هـ. ويمكن تفسير هذا التزايد الملحوظ بأن هذه السنوات وافقت احتفالات المملكة العربية السعودية بمرور ١٠٠ عام على دخول الملك عبد العزيز لمدينة الرياض.

ـ هناك انخفاض تدريجي واضح في عدد ونسبة وحدات التحليل التي دارت حول محور «طرق ووسائل التدريس» من السنة الأولى حتى السنة الخامسة.

ـ هناك انخفاض تدريجي واضح في عدد ونسبة وحدات التحليل التي دارت حول محور «الاختبارات والتقويم التربوي» من السنة الأولى حتى السنة الخامسة.

ـ هناك انخفاض تدريجي واضح في عدد ونسبة وحدات التحليل التي دارت حول محور «المقررات والكتب الدراسية» من السنتين: الأولى والثانية حتى السنة الخامسة.

ـ هناك انخفاض تدريجي واضح في عدد ونسبة وحدات التحليل التي دارت حول محور «المعلّم» من السنتين: الأولى والثانية حتى السنة الخامسة.

ـ هناك انخفاض تدريجي واضح في عدد ونسبة وحدات التحليل التي دارت حول محور «الطالب» من السنة الأولى حتى السنة الخامسة.

ـ هناك توازن تقريبي في عدد ونسبة وحدات التحليل التي دارت حول محور «المدرسة» خلال السنوات الخمس موضع الدراسة.

ـ هناك انخفاض تدريجي واضح في عدد وحدات التحليل ونسبتها التي دارت حول محور «الإدارة التربوية» من السنة الأولى حتى السنة الخامسة.



ـ هناك انخفاض تدريجي واضح في عدد وحدات التحليل ونسبتها التي دارت حول محور «محو الأمية» من السنتين الأولى والثانية حتى الخامسة، مع ملاحظة أن معالجة المجلة للموضوعات التي تدور حول هذا المحور منخفضة بشكل عام.

ـ هناك انخفاض تدريجي واضح في عدد وحدات التحليل ونسبتها التي دارت حول محور «التربية الخاصة» في السنة الخامسة على الخصوص، مع ملاحظة أن معالجة المجلة للموضوعات التي تدور حول هذا المحور منخفضة بشكل عام.

ـ هناك انعدام كلي في عدد وحدات التحليل ونسبتها التي دارت حول محور «التعليم المستمر» في السنتين: الثانية والثالثة على وجه الخصوص، مع ملاحظة أن معالجة المجلة للموضوعات التي تدور حول هذا المحور منخفضة جدًا بشكل عام.

ـ هناك تزايد كبير وواضح في عدد وحدات التحليل ونسبتها التي دارت حول محور «الثقافة العامة» من السنة الأولى؛ ليبلغ ذروته في السنة الرابعة، ولا ينخفض كثيرًا في السنة الخامسة، مع ملاحظة أن معالجة المجلة للموضوعات التي تدور حول هذا المحور مرتفعة جدًا بشكل عام في النصف الثاني من فترة الدراسة سنتي: ١٤٢٠ـ١٤٢١هـ ـ والنصف الأول من سنة ١٤٢٢هـ.

التعليق على هذه النتيجة:

ـ إذا لاحظنا أن مجلة المعرفة قد زاد عدد صفحاتها

من بداية السنة الثانية حتى بداية السنة الخامسة تقريبًا من ١٦٤ صفحة إلى ١٩٦صفحة، كما أن الغالبية العظمى من وحدات التحليل تحتوي على فكرة واحدة فقط، نستنتج الآتي: هناك تنازل تدريجي في عدد المواد الصحفية في مجلة المعرفة خلال سنوات الفترة الزمنية للدراسة من السنة الأولى حتى السنة الخامسة، يدل على تصاعد تدريجي في عدد صفحات كل مادة صحفية: أي أن المجلة بدأت تميل تدريجيًا من المواد الصحفية صغيرة الحجم إلى المواد الصحفية كبيرة الحجم.

- إذا استثنينا محوري: «فلسفة التربية» و«المدرسة» اللذين اتضح أن هناك توازن زمني في معالجة المجلة للموضوعات التي دارت حولهما، واستثنينا محور «التربية الوطنية» الذي ارتفع خلال السنوات الثلاث المتوسطة، فإن كل المحاور الأخرى - ما عدا محور «الثقافة العامة» - هي محاور تربوية تعليمية، لوحظ أن هناك انخفاضًا تدريجيًا بشكل عام في معالجة المجلة لها من السنة الأولى حتى السنة الخامسة، في مقابل تزايد تدريجي معاكس في معالجة المجلة للموضوعات التي تدور حول محور «الثقافة العامة»، وعليه يمكن استنتاج نتيجة عامة مفادها: «أن مجلة المعرفة - بشكل عام - مالت تدريجيًا من المضمون التربوي التعليمي المتخصص إلى المضمون الثقافي العام، خلال الفترة الزمنية للدراسة ومن السنة الأولى حتى السنة الخامسة».

- النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث من أسئلة الدراسة:

«ما مدى التوازن الفني (الأشكال الصحفية) في معالجة «مجلة المعرفة»، لكل محور من المحاور الموضوعية لاستراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم؟».

- أكثر الأشكال الصحفية استخدامًا في مجلة المعرفة، هي «المقالات»، بتكرار قدره (١٦٥٠) وحدة تحليل، بنسبة (٣٥,٨٤٪) من العدد الكلي لوحدات التحليل في مجلة المعرفة خلال الفترة الزمنية للدراسة.

- يلي ذلك «الأخبار والتقارير»، بتكرار قدره (٨٨٢) وحدة تحليل، بنسبة (١٩,١٦٪).

- ثم «التعليقات»، بتكرار قدره (٧٣٣) وحدة تحليل، ونسبة (١٥,٩٢٪).

- ثم «الإبداعات والمختارات» بتكرار قدره (٤٥٧) وحدة تحليل، ونسبة (٩,٩٢٪).

- ثم «البحوث والدراسات» بتكرار قدره (٤٣٤) وحدة تحليل، ونسبة (٩,٩٢٪).

- ثم «الحوارات والمقابلات» بتكرار قدره (٣٠١) وحدة تحليل، ونسبة (٦,٥٣٩٪).

- و أخيرًا «التحقيقات والاستطلاعات» بتكرار قدره (١٤٦) وحدة تحليل، ونسبة (٣,١٧٪).

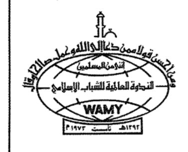
النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع: «ما مدى التوازن الفني (المساحات الصحفية) في معالجة «مجلة المعرفة»، لكل محور من المحاور الموضوعية لاستراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم؟»

- أكثر المساحات الصحفية استخدامًا في مجلة المعرفة، هي المساحة الصحفية الصغيرة (خمس صفحات فاقل) بتكرار قدره (٤٢٣٥) وحدة تحليل، ونسبة (٩٢٪) من العدد الكلي لوحدات التحليل في مجلة المعرفة خلال الفترة الزمنية للدراسة.

- يلي ذلك، بفارق كبير جدًا، المساحة الصحفية المتوسطة (١٠صفحات حتى أكثر من ٥ صفحات) بتكرار قدره (٢٧٦) وحدة تحليل، ونسبة (٥,٩٩٪).

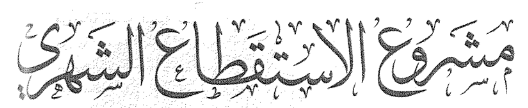
- ثم المساحة الصحفية الكبيرة (أكثر من ١٠ صفحات) بتكرار قدره (٩٢) وحدة تحليل، ونسبة (١,٩٩٪).

عنوان الرسالة: الخطة الاستراتيجية للإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم من خلال مجلة المعرفة.
الجامعة: أم القرى - مكة المكرمة - كلية التربية - قسم الإدارة التربوية والتخطيط.
الدرجة العلمية والتخصص: الماجستير في الإدارة التربوية والتخطيط - علاقات عامة وإعلام تربوي.
الباحث: محمد فالح مبروك الجهني.
المشرف على الرسالة: د.سلطان سعيد مقصود بخاري (الأستاذ المشارك في القسم).
المناقشان: د.حمزة عبدالله عقيل (رئيس قسم الإدارة التربوية والتخطيط).
د.زهير أحمد الكاظمي (الأستاذ المشارك في الكلية).



الندوة العالمية للشباب الإسلامي

World Assembly of Muslim Youth



أوقاف الندوة
تحفيظ القرآن
الصدقة الجارية
حفر الآبار
بناء المساجد
بناء المدارس
كفالة طالب العلم
كفالة الأيتام
كفالة الأسر المحتاجة
الدورات الشرعية
المخيمات التربوية
الدعوة
طباعة الكتب
والأشرطة

قال رسول الله ﷺ :
"أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" متفق عليه

تنفذ مشاريعنا من خلال اللجان التالية :
فلسطين - كشمير - الأمريكتين
الجمهوريات الإسلامية - الطبية
آسيا - أوروبا - استراليا - أفريقيا

لمزيد من المعلومات نأمل الاتصال على الهاتف ٢٠٥٠٠٠٠ الهاتف المجاني (٨٠٠-١٢٤-٤٤٠٠) (٨٠٠-١٢٤-٢٢٩٩) ، فاكس ٢٠٥٠٤٦١
أو ارسال شيك مصدق باسم الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الأمانة العامة - قسم علاقات المحسنين ، ص.ب: ١٠٨٤٥ الرياض ١١٤٤٣
أو الايداع مباشرة في حساب الندوة رقم (٤/٨١٤٢) لدى شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع (٢٧٩)

إلى الإخوة / الندوة العالمية للشباب الإسلامي حفظهم الله

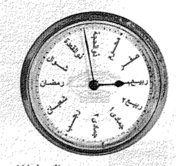
اقبلوا مساهمتي الشهرية في مشروع : .... ☐ تبرع عام الدولة : ....

الاسم : .... البريد الإلكتروني : ....

هاتف : .... جوال : .... ص.ب : .... المدينة : .... الرمز : ....

☐ نقداً ☐ من حسابي رقم : .... بنك : .... فرع : ....

مساهمة فئة (١٠٠) (١٥٠) (٢٠٠) (٢٥٠) (٥٠٠) ريـال سعودي - أخرى ☐



Web site:www.wamy.org
E-mail:info@wamy.org



المعرفة

المجلة «الثانية» ، في العالم العربي

رغم ارتفاع الرسوم بنسبة عالية :

الإقبال يزدهر على المدارس الأهلية في بريطانيا

المصدر : صحيفة ذاتايمز ، مايو ٢٠٠٣ .
الكاتب : طوني هالبين .
ترجمة وتحرير : المعرفة .

لا يبدو أن الإقبال على التعليم الأهلي في بريطانيا سيتوقف عند حد على الرغم من ارتفاع مصروفات الدراسة وجهود الحكومة على مدى سبع سنوات لتحسين المدارس العامة أو الحكومية المجانية.

وقد أظهر الإحصاء السنوي للمدارس المستقلة زيادة للعام الثامن على التوالي في أعداد الطلاب الملتحقين بالتعليم الأهلي، حيث بلغ عدد الطلاب ٥٠٧٦١١ طالبًا على الرغم من ارتفاع مصروفات الدراسة بأكثر من ٧٪ العام الماضي فقط. وقد شهدت مدارس الإعاشة الكاملة (الداخلية) زيادة في عدد البنين لأول مرة منذ بدء الإحصاء السنوي منذ ٢١ عامًا مضت.

وصرحت بولين دافيس، رئيسة اتحاد مدارس البنات، قائلة: إن أعداد الطلاب الراغبين في الالتحاق بالمدارس الأهلية للعام القادم يشهد تزايدًا شديدًا، وذلك من خلال حجم الاستفسارات المتزايدة التي أتلقاها من الآباء وأولياء الأمور. وتترأس السيدة بولين دافيس مدرسة وايكومب أبي، الواقعة في منطقة وايكومب العليا التابعة لبيكنجهامشير. وتصل المصروفات السنوية لتلك المدرسة إلى١٤ ألف جنيه استرليني للعام الواحد. وعلى الرغم من هذه المصروفات الباهظة تقول السيدة بولين دافيس «إننا اكتشفنا أن من الصعب علينا تمامًا أن نلبي طلبات الأهالي الراغبين في الالتحاق بمدرستنا».

وصرح غراهام أبل، رئيس مؤتمر مديري ومديرات المدارس الذي يضم ٢٤٠ مدرسة رائدة، بأنه اكتشف النهج نفسه لديه أيضًا. ويترأس السيد غراهام أبل كلية دولويتش في جنوب شرق لندن، والتي تصل مصروفاتها السنوية إلى ٩٣٣٠ جنيهًا استرلينيًا. ويقلل السيد غراهام من أهمية الحجج التي تفيد بأن الآباء وأولياء الأمور يختارون المدارس المستقلة بسبب خيبة أملهم في المستويات التعليمية للمدارس الحكومية.

ويضيف غراهام أبل أن «الآباء يختارون مدارسنا لأسباب إيجابية يحبونها مثل انخفاض عدد الطلاب في الفصول ـ كثافة الفصل ـ والنظام الممتاز لهيكل مدارسنا، وحجم الأنشطة الزائدة عن المنهج الدراسي الذي نقدمه، والآمال المتوقع أن يحققها أبناؤهم وبناتهم في الدراسة».

وترى السيدة بولين دافيس أن أولياء الأمور يقدرون تمامًا التدريس التخصصي الذي تتبعه تلك المدارس الأهلية في مواد الدراما أو المسرح، والتربية البدنية، والموسيقا. ويتجشم كثير من الآباء القيام بتضحيات صعبة ليتمكنوا من دفع مصروفات الدراسة، كرهن منازلهم أو بدء مشروعات استثمارية حتى قبل أن يولد أطفالهم.

وتضيف بولين «أن كثيرًا من المدارس قد استثمرت أيضًا مبالغ ضخمة للغاية لتوفير منح مالية للطلاب المحتاجين الذين قد لا يطيق آباؤهم مصروفات الدراسة». وقد أظهر الإحصاء السنوي أن ١١٤ ألف طفل، أو طفل تقريبًا من بين كل أربعة طلاب قد تلقوا مساعدة مالية من مدارسهم بزيادة قدرها ٣,٧٪.

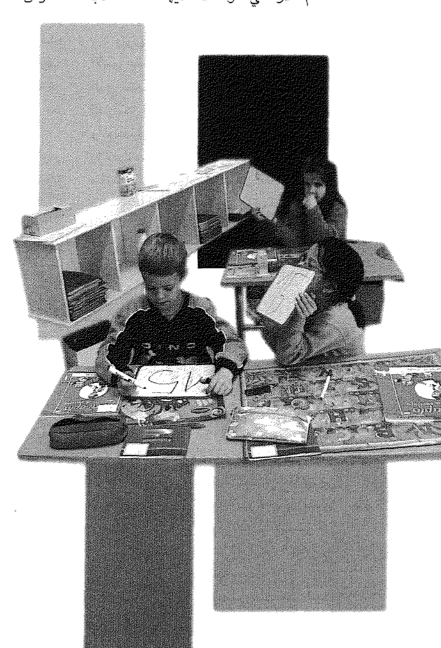
وذكر إدوارد ميتشيل، رئيس جمعية مديري ومديرات المدارس المستقلة والتي تمثل ٩٠ مدرسة، أن انخفاض كثافة الطلاب في الفصول الدراسية يمثل أبرز وسائل جذب أولياء الأمور للمدارس الأهلية، حتى في المناطق التي تتمتع فيها المدارس الحكومية المحلية بمستويات دراسية جيدة.

وبلغت الزيادة في مصروفات هذا العام (٢٠٠٣) ما نسبته ٧٪، مقارنة بزيادة قدرها ٧,٥٪ العام الماضي. وذكر بيل أورجان، رئيس اتحاد أمناء صندوق المدارس المستقلة، أن نسبة الارتفاع في مصروفات العام

الدراسي القادم (٢٠٠٤) ستكون بين ٨٪ و١٢٪. وألقى أورجان باللوم في هذه الزيادة على «الزيادات غير العادية المباشرة وغير المباشرة في الضرائب التي تفرضها الحكومة».

وعلى الرغم من ذلك فإن مدرسة السيد أورجان، كلية وينشستر في هامبشير، والتي تبلغ مصروفاتها ١٩٦٠٠ جنيه استرليني للعام الدراسي الواحد، لديها ٧٠٦ طلاب مقيدين في سجلاتها، وهو أعلى عدد للطلاب سجلته المدرسة منذ تأسيسها في عام ١٣٨٢م.

وأظهر الإحصاء السنوي أيضًا أن الزيادة الإجمالية للطلاب بلغت ٥١٢٨ طالبًا، أو ما نسبته ١,٠٣٪، هذا العام (٢٠٠٣م). وبلغت نسبة الزيادة في مدارس الإعاشة الكاملة ١,١٢٪ ليصل عدد طلابها إلى ٧٠٠١٠ طلاب مع زيادة في عدد البنين بلغت ٢٤٩ طالبًا ليصل إجمالي البنين في هذه المدارس ٤٠٦٤٦ طالبًا، وهي أول مرة يشهد فيها التحاق الطلاب البنين بهذه المدارس تلك الزيادة.

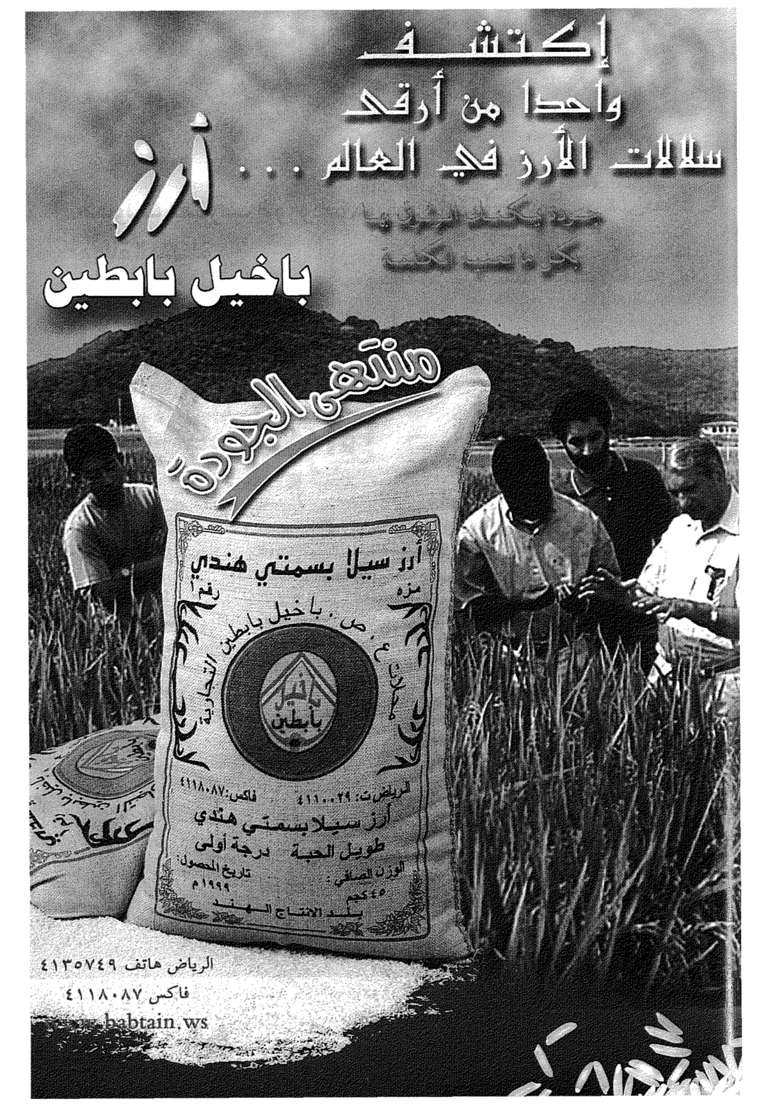


لكن الصورة الخاصة بالمدارس الأهلية ليست كلها وردية، فهناك أكثر من ١١٠٠ مدرسة مستقلة لا تتبع مجلس المدارس المستقلة، وقد أظهر التقرير السنوي لهيئة Ofsted التي تشرف على العملية التعليمية في البلاد وجود جوانب نقص خطيرة في مثل هذه المدارس، فهناك جوانب ضعف رئيسة في إدارة المدارس أبرزها وجود نقص في سياسة حماية الأطفال وفشلها في الكشف عن السجل الجنائي الخاص بالعاملين بها قبل أن يشرعوا في التدريس بالمدرسة، بالإضافة إلى وجود قصور في تدريس المواد على أيدي متخصصين.

وجوانب النقص المذكورة تنطبق على مدارس أهلية تصل مصروفاتها السنوية إلى ١٥٠٠ جنيه استرليني فقط، ويعلم أولياء الأمور بهذه العيوب لأن هيئة الإشراف التعليمية نشرت نتائج تفتيشها السنوي على موقع الهيئة على شبكة الإنترنت.

إن السؤال الذي ينبغي على أولياء الأمور أن يطرحوه عند اختيارهم لمدرسة أطفالهم مفاده: هل سيكون طفلي سعيدًا في هذه المدرسة؟

هل سيجد فيها بيئة إيجابية؟ وهل سيتلقى فيها تعليمًا جيدًا يساعد على ازدهار ونمو مهاراته الإبداعية؟


إكتشف
واحدا من أرقى
سلالات الأرز في العالم ...
أرز
باخيل بابطين
منتهى الجودة
أرز سيلا بسمتي هندي
مزه
رقم ١
ع. ص. باخيل بابطين التجارية
باخيل بابطين
الرياض ت: ٤١١٠٠٢٩
فاكس: ٤١١٨٠٨٧
أرز سيلا بسمتي هندي
طويل الحبة درجة أولى
الوزن الصافي:
٤٥ كجم
تاريخ المحصول:
١٩٩٩م
بلد الانتاج الهند
الرياض هاتف ٤١٣٥٧٤٩
فاكس ٤١١٨٠٨٧
babtain.ws

محاولات المدارس الأوروبية مستمرة للتخفيف من وطأة المشكلة :

الأغنياء والفقراء.. كلهم.. فقراء!

المعرفة . خاص



ينظر المجتمع الغربي الرأسمالي، القائم على الاستهلاك، إلى الفقر باعتباره «دليلاً على فشل صاحبه»، الذي لم يتمكن من التوغل في نمط هذه الحياة، ومن ثم الانعزال عن هذا المجتمع. بل إن البعض يعتبره «عارًا»، لأن من يصب به، يعش على المعونات الاجتماعية المقتطعة من ضرائب الكادحين من أصحاب الوظائف.

ولكن هذا المجتمع المتضامن رغم أنفه يصاب بالارتباك والحيرة، إذا تعلق الأمر بأطفال هذه الطبقة الدنيا في المجتمع، حيث لا يمكنه تحميلهم مسؤولية هذا الفقر الذي يعيشون فيه، وفي الوقت نفسه لا يرضى باعتبارهم جزءًا طبيعيًا من نسيج هذا المجتمع.

في لقاء تلفزيوني جرى تصويره في قاعة تابعة لمؤسسة الصليب الأحمر الخيرية، يظهر أطفال فقراء يأكلون بنهم من طعام الغذاء المقدم لهم، وتسأل المذيعة أحد هؤلاء الصبية عن معنى الفقر، فيرد عليها بقوله «عدم القدرة على امتلاك ملابس تحمل أسماء ماركات عالمية» وتسأله من جديد عن نتيجة عدم ارتداء التلميذ لهذه الملابس الغالية، فيجيبها ملوحًا بقبضة يده، قائلاً: «يتعرض من لا يلبس مثل هذه الملابس للضرب على يد زملائه»، تصاب المذيعة بالدهشة وتستفسر منه عن سبب الضرب، فلا يعرف ردًا سوى أن هذا هو رد الفعل الطبيعي، فتظهر إشفاقها عليه لأنه لا يرتديها، ولكنه يفاجئها بقوله إنه يشارك أيضًا في ضرب الآخرين، إذا كان مرتدياً ملابس ذات ماركات عالمية، مثل الأغلبية.

عندما تشاهد مثل هذا البرنامج يتضح لك لماذا هذا الرفض القاطع لارتداء الحجاب في الغرب؟ وهو أن المسلمة التي تفعل ذلك، لا تشذ عن زميلاتها بعدم ارتداء ملابس مشابهة لهن فحسب، بل لأنها تصيبهن بصدمة من جراء تحطيمها لكل تصوراتهم المستمدة من هذا المجتمع الاستهلاكي، الذي تتحدد فيه قيمة الفرد من نوعية ملابسه، وشكلها والموضة السائدة في هذا الوقت.

ولأول مرة يمكنك فهم ما نقرؤه في صحف، لم نكن نصدقها من قبل، فقد اعتدى شاب على آخر في شوارع نيويورك ليسرق حذاءه الرياضي من ماركة (نايك) أو (أديداس) أو (بوما) أو (ريبوك)، بل إن الأمر يصل أحيانًا إلى حد طعن صاحب الحذاء إذا رفض تسليمه طواعية للمعتدي.

هل هناك فقر في الغرب؟

لا يمكن لأحد في بلادنا أن يصدق أن هناك فقرًا في دول الغرب، فالدول التي تصنع أفخم السيارات، وتبيع التكنولوجيا للعالم بأسره، والتي تسرق أموال العالم الثالث، فتأخذ منه المواد الخام بأسعار زهيدة، لتعيدها له بعشرة أضعاف السعر، كل هذا يجعل المرء يحار مما كتبه أعظم الأدباء الألمان، وهو يوهان فولفجانج فون جوته، حين قال:

تمتع بما قسم الله لك
وازهد فيما لم يكتبه لك
فلكل حال بعض المسرات
ولكل حال أيضًا منغصات

ولكن جوته مات عام ١٨٣٢، وتغيرت الدنيا، ولم يعد هناك مجتمع يستقي تصوراته من الدين، ولا يعرف للزهد موضعًا سوى الأديرة، التي يعيش فيها الرهبان والراهبات، أما خارج أسوار هذه المعابد فلا مكان في المجتمع الاستهلاكي إلا لمستهلكين يشترون ويشترون ويشترون، بحيث تنتج المصانع فتتوفر أماكن عمل، وتبيع المتاجر فتتوفر أماكن عمل، ويجلس الناس في المقاهي ويدفعون ويدفعون ويدفعون، وتتوفر أماكن عمل. يصبح المال هو المعيار الأوحد، وتصوروا أنه حتى سيادة الشعب على

ترابه الوطني تصبح بلا قيمة - في أعينهم - فعندما قررت القوات الأمريكية قبل عامين، الانسحاب من إحدى المدن الألمانية، وإغلاق إحدى القواعد العسكرية هناك، اشتكت إدارة المدينة من أن الجنود الأمريكيين، كانوا زبائن جيدين، يشترون كثيرًا، ويشربون القهوة كثيرًا، فإذا ما رحلوا لم يعد هناك من ينفق هذه الأموال.

ومع غياب البعد الديني، أو على الأقل عدم هيمنته على نهج الحياة، ومع غياب الروح الوطنية غاب أيضا الخيال الأسطوري، الذي كان ينتشر في حكايات الماضي، فلم يعد هناك مصباح علاء الدين، يحقق الأمنيات دون أموال، ولم تعد هناك عرافة طيبة تساعد سندريلا على التعرف على أمير أحلامها، لينتقل بها من الفقر المدقع إلى قصر الحكم.

وأصبح هناك صبيان يفلحون في القرصنة الإلكترونية، وفك كود الشركات والبنوك، ويفاوضونها ليحصلوا على أموال طائلة مقابل مساعدة هذه الشركات على توفير المزيد من الأمان من القراصنة. وصبيان آخرون يقومون بالمضاربة بأسهم الشركات، ويجلبون أموالاً كثيرة، وأصبح العالم خاويًا من الداخل، المهم أن تكتظ جيوبه بالمال، المال الكثير.

تخيل بعد كل ذلك يأتي طفل تركي أو عربي من قرية نائية لا تظهر على خريطة بلاده، ليقدم أهله طلبًا للجوء إلى دولة غربية، فتوزعهم السلطات على دفعات في مساكن مشتركة، في كل غرفة عشرة أفراد، ويشتري له والده من أموال المساعدات الاجتماعية ملابس متواضعة، يرى الطفل وأبوه أنها في منتهى الأناقة، وهو لا يدري أن من يراها من أهل البلد المضيف يعرف كم هي رخيصة.

وتسأل المذيعة أحد هؤلاء الصبية عن معنى الفقر، فيرد عليها بقوله «عدم القدرة على امتلاك ملابس تحمل أسماء ماركات عالمية»

يدخل الطفل الصف فيشعر بالغربة، فالكل يتحدث بلغة غير لغته، ولون شعره الأسود لا يشبه شعرهم، حتى طريقته في تحريك يديه أثناء الحديث تختلف تمامًا كما اعتادوه من ثبات الأيدي، ضحكته العالية تثير اشمئزازهم، والحلويات التي أحضرها لتناولها في الفرصة، تتجاهل ما اعتادوه من إحضار الفواكه، حتى لا تتسوس أسنانهم.

وعندها يشعر الطفل أنه ليس فقيرًا ماديًا فحسب، ولا أن ثيابه أقل من ثياب زملائه فقط، بل إن المشكلة الأكبر بكثير أنه يشعر بأنه بلا مكانة بينهم، وأن ما كان يتمتع به من قيمة ذاتية في بلاده ومجتمعه الفقير، قد تلاشت في هذا المجتمع الرأسمالي، وحتى قدراته العقلية أصبح مشكوكًا فيها، فالمعلم لا يتوقع منه أن يفهم، ولا يستغرب إذا لم يكتب الواجبات، ويوصم بالغباء والتخلف، وحين يضحك زملاؤه علي أي شيء يشعر أنهم يسخرون منه، لأنه لا يفهمهم، وإذا أراد أن يبلغهم بشيء لم يصبروا عليه حتى يستطيع تكوين جملة وراء الأخرى من مفردات حصيلته اللغوية المتواضعة.

علما بأن هذه الأعراض لا تظهر على أبناء المهاجرين وحدهم، بل تشمل أيضا أبناء الطبقة الدنيا من أهل البلد أنفسهم، خصوصًا بين أبناء العاطلين عن العمل، إذ يلجأ كثير من الآباء - تحت ضغوط الشعور بالعجز عن توفير احتياجات الأسرة - إلى الهرب من مشاكل الحياة بتناول الكحول أو غيره من المخدرات، وبعد أن يكون هذا الإدمان حلاً لحظيًا لمشكلة مؤقتة، يتحول تدريجيًا إلى مشكلة مزمنة، تلتهم حتى القليل من أموال المساعدات الاجتماعية، المخصصة لإعالة الأطفال، ولا يأبه الأب المدمن عندئذ باحتياجات أبنائه من كتب مدرسية - والتي لا توزع في المدارس مجانًا - ولا دفاتر واجبات، ولا حقيبة مدرسية، بل ولا حتى ملابس الشتاء الواقية من البرد القارس. وعندها يسير حال الأسرة من سيئ إلى أسوأ، ويبدأ الأب في ضرب الأم والأطفال، وتنتابه ثورة عصبية قبل تناول الكحول وأثناء تناوله وبعد تناوله.

لا يمكن تصور أن يهتم مثل هذا الأب بالمستوى الدراسي لأطفاله، ولا أن يقدم لهم يد المساعدة في حل مشاكلهم، ولا حتى التعرف على المواد التي يدرسونها. وإذا كان للطفل عزيمة فولاذية، واستطاع رغم هذه العراقيل الجبارة أن ينجح في الاختبارات، وأن يحقق

نتائج جيدة جاءه رد فعل الأهل مثيرًا للإحباط عندما لا يأبهون لذلك.

ويصبح الفقر المادي بداية لفقر معنوي ونفسي أشد إيلامًا بكثير، ويشعر الأجنبي القادم من بعيد أنه يشتاق لجذوره، وقريته النائية، حيث الكل فقير مثله، ولا يعرف أحدهم هذه الماركات العالمية، ولا يسخر أحدهم من نطقه للغة الأجنبية، ولا من الطعام الذي يحضره معه من البيت.

أغنياء لكن فقراء

وما دمنا قد اتفقنا على أن الفقر لا يقتصر على نقص ذات اليد، فإن الكثير من أطفال الأسر الغنية، تعاني فقرًا من نوع آخر، وهو القحط في المشاعر، وعدم الاهتمام الأسري، فالمرأة العاملة التي لا تستطيع إعداد الفطور لأطفالها، بل تعطيهم المال ليشتروا من مقصف المدرسة، ويظل الطفل طوال الحصص الأولى لا يستطيع التركيز، ومعدته خاوية، حتى تأتي فترة الاستراحة التي يضيعها في الوقوف في طابور شراء الطعام، وتضيع الاستراحة دون أن يجد وقتًا للعب مع زملائه، وتكوين صداقات تربطه ببعضهم.

حتى إذا ما انتهى الدوام المدرسي، وجدته يتأكد من وجود مفتاح المنزل المعلق في خيط في رقبته حتى لا يضيع، فيعود إلى المنزل ليدخل بمفتاحه، ولا يجد من يستقبله، أو يوفر له الغداء الساخن، وتكتفي الأم بالاتصال بـ«فلذة كبدها»، لتطمئن على وصوله، وتكيل له التهديدات إذا قضى وقته أمام التلفزيون، أو مع ألعاب الكمبيوتر فحسب، وأن يتناول أي شيء حتى تعود.

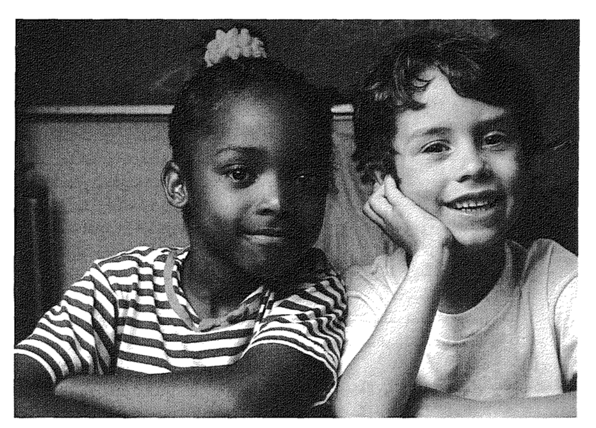
وعندما ينتهي الأب والأم من أعمالهما في الخامسة بعد الظهر، ويأتيان إلى المنزل، تصنع الأم أي شيء سريع ليتناولوه على عجل. تصبح متابعة الواجبات المنزلية عبئًا ثقيلاً على الوالدين المنهكين من العمل في الخارج، ويضطر الطفل للاعتماد على نفسه، فيكتب ما استطاع حله من الواجبات ويترك ما شعر بصعوبته.

المشكلة أنه حتى حين يكتشف المعلم أو المعلمة أن أحد هؤلاء الأطفال مريض بالبرد، وأن درجة حرارة جسمه مرتفعة، يكون الأب والأم قد اتفقا على أن يذهب الطفل إلى المدرسة رغم المرض، لاستنفاذهما أيام

وعندها يشعر الطفل أنه ليس فقيرًا ماديًا فحسب ، ولا أن ثيابه أقل من ثياب زملائه فقط ، بل إن المشكلة الأكبر بكثير أنه يشعر بأنه بلا مكانة بينهم ، وأن ما كان يتمتع به من قيمة ذاتية في بلاده ومجتمعه الفقير ، قد تلاشت في هذا المجتمع الرأسمالي

الإجازات بجميع أنواعها، فتتحول المدرسة إلى مكان «للتخلص» من الأطفال لأطول فترة ممكنة.

ومقابل هذا الحضور الإجباري لهؤلاء الأطفال، نجد أن أطفال البيئات الدنيا، خصوصًا من الأجانب، كثيرو التغيب عن المدرسة، فلا أب يقوم في الصباح الباكر للذهاب إلى عمله، ولا أم قادرة على إعداد الفطور، ثم مساعدة الأطفال الواحد تلو الآخر في تحضير الحقيبة، ثم مرافقتهم إلى المدرسة. علاوة على أن



العلاقات الاجتماعية المتينة - التي تنشأ بين الأجانب خصوصًا من الوطن الأصلي نفسه تساهم في أن تطول ساعات السهر والسمر، ويشارك الأطفال فيها باللعب مع نظرائهم في السن، حتى ساعات الليل المتأخرة، وعندها إما أن يغيب عن المدرسة، وإما أن يحضر إلى الصف وهو في تثاؤب مستمر، وعدم قدرة على التركيز، ورغبة شديدة في تعويض ساعات النوم التي فاتته.

لكن عندما تحاول المدرسة التدخل لإصلاح هذه الأوضاع، فيختفي كثير من التلاميذ من المدرسة، حيث يقوم الأهل بتسجيلهم في مدارس أخرى، لا تزعجهم بالتدخل في أنماط حياتهم.

إنهم أفقر مما تتخيلون بكثير!

أراد معلم أن يخلص طلابه من الرتابة والملل، وفكر في رحلة لا تكلفهم شيئًا، فاقترح عليهم أن يحضروا في يوم الرحلة بالدراجات، للتنزه في الغابات، والتعرف على أنواع النباتات، واستنشاق الهواء النظيف، وتناول طعام الغداء معًا في مقصف بسعر رمزي، لكن التلاميذ أعربوا عن عدم تحمسهم للفكرة، ورغم محاولات الإقناع الكثيرة، فشل في استدراجهم لمعرفة سبب رفضهم، فأعد استمارات لا تحوي اسم من يجيب عليها، ووضع كل الاحتمالات الواردة في أسباب الرفض.تبين له بعد ذلك أن ٩٠ ٪ منهم لا يملكون دراجة، وأن ٤٠٪ لا يستطيعون قيادة الدراجات.

وفي مرة طلب ولي الأمر من المعلم أن يعطيه ٥٠ يورو، لأنه نسي محفظته في البيت، ووعد بإعادة المبلغ في صباح اليوم التالي، ولما مر ٦٠ صباحًا دون أن يمر فكر في أن يطلب من التلميذ أن يبلغ والده السلام حتى يفهم بصورة غير مباشرة ضرورة إعادة المبلغ، لكن المعلم انتبه للمرة الأولى أن ملابس التلميذ لم تعد تناسب مقاسه، وفي كل يوم يريد الحديث مع التلميذ يجده بنفس الملابس الرثة، حتى في فصل الشتاء حين تنخفض درجة الحرارة إلى تحت الصفر، فيستغرب من وضع هذه الأسرة، ثم يتحرى الوضع ليعرف أن الأب يلعب الميسر، ولا يقدر على التوقف، حتى ولو لم يكن يملك شيئًا، ولذلك استدان من هذا المعلم، الذي ما كان يخطر على باله أن والد هؤلاء الأطفال الصغار المجتهدين في الصف، يستولي على كل شيء، من أجل إشباع هذا الداء المقيت المحرم.

وطفلة أخرى لا تشتري الكتاب المقرر، بل تحضر معها كل صباح أوراقًا مصورة من الكتاب، ولكن ما

يؤلمها أن صور الطيور والحيوانات غير ملونة مثل نفس الصور في الكتاب المدرسي، فتترك الشرح لتركز على التلوين، بنفس الألوان الموجودة في الكتاب.

ويعاني هؤلاء الأطفال يوميًا من جراء انتمائهم إلى (جزر الفقر)، الواقعة على أطراف المدن الكبرى، وهذه الجزر معروفة من بعيد، فمبانيها المدعومة حكوميًا غالبًا ما تكون كثيرة الطوابق، متشابهة للغاية، بحيث لا يمكن للطفل أن يشعر فيها بالخصوصية، أو توفر ذوقًا خاصًا بكل بناء فيها.

ولكن الأمر البالغ المرارة في قضية الفقر أن الكثير من الدراسات توصلت إلى أن أطفال الأحياء الفقيرة، والأسر المنخفضة الدخل، يشكلون النسبة الكبرى بين فقراء الغد، لأنهم أقل حظًا في التفوق الدراسي، لعدم توفر المناخ المساعد على ذلك، وأن الكثيرين منهم لا يتمكنون من الحصول على شهادة إتمام المرحلة الثانوية، أي أنهم لا يحصلون على حقهم الدستوري في المساواة بين أفراد المجتمع في فرص الدراسة والعمل.

وإذا كان التعريف الذي حددته المفوضية الأوروبية للفقير أنه: «من يكون دخله دون نصف متوسط دخل الفرد في هذه الدولة»، فإن هناك حوالي ٣ ملايين فقير في ألمانيا وحدها، علمًا بأن ٠.٥ ٪ من السكان يملكون بمفردهم ٢٥٪ من الثروة، وخمسة في المئة من السكان يملكون ٤٦٪ من الثروة.

وهذا التوزيع غير المتوازن للثروة هو الذي حدا بوزير المالية الألماني السابق أوسكار لافونتين أن يقول: «الثروة مثل روث الحيوان، إذا تجمع في نقطة واحدة أصبح مصدرًا للعفن، ولكن إذا توزع على قطعة أرض زراعية كبيرة، خرجت ثمار وزروع طيبة».

المدارس تحارب الفقر

اقتنعت مجموعة من الباحثين بأنه من غير المجدي أن ينتهي الأمر عند حد الحسرة على هذا الوضع، والتألم لمعاناة هؤلاء الأطفال، دون اتخاذ خطوات فعلية للعلاج، ورأوا أن أطفال الطبقة الدنيا يعانون عدم النقاش معهم، وعدم قراءة قصص لهم، وبالتالي تكون حصيلتهم اللغوية ضعيفة؛ ولذلك يجب أن يبدأ العلاج منذ التحاق الطفل بروضة الأطفال. وما دام هؤلاء الأطفال يفتقدون الجمال في محيط بيئتهم السكنية، فلابد أن تكون المدرسة جذابة للغاية، وفعلاً جرى اختيار ألوان زاهية ومتعددة لمباني الأطفال الصغار، مع توفير الكثير من الألعاب الترفيهية لهم، علاوة على

وهذا التوزيع غير المتوازن للثروة هو الذي حدا بوزير المالية الألماني السابق أوسكار لافونتين أن يقول: «الثروة مثل روث الحيوان، إذا تجمع في نقطة واحدة أصبح مصدرًا للعفن، ولكن إذا توزع على قطعة أرض زراعية كبيرة، خرجت ثمار وزروع طيبة»

توفير وجبة غداء تراعي التعاليم الدينية لكل طائفة.

ومن الطبيعي أن فترة الدوام المدرسي تطول عندئذ، لتستمر من السابعة صباحًا، حتى الخامسة بعد الظهر، بهدف إتاحة الفرصة للطفل للتخلص من معاناته المنزلية. ولكن بعض التلاميذ كانوا يأتون قبل بداية المدرسة، هربًا من البيت، ولا يغادرونها بعد نهاية الدوام، حبًا فيها، وسعادة بما يوفره لهم المعلمون والمعلمات، مما حُرموا منه في بيوتهم. ولذلك تقرر وجود أحد أعضاء هيئة التدريس فترات دوام أطول للإشراف عليهم، ومساعدتهم على حل الواجبات المنزلية في هذه الفترة.

أصبح أعضاء الهيئة التدريسية، لا ينتظرون ظهور أعراض الأضرار الناجمة عن الفقر، بل يستشفون وضع التلميذ، حتى قبل أن تطفو عواقب هذه المعاناة على السطح، فمثلاً عند ملاحظة عدم قدرة الطفل على المشاركة في الحوار، وفروا له ساعات إضافية مع متخصص في ذلك، فإذا كان الطفل من تركيا مثلاً جاؤوا له بمعلم تركي يساعده لفترة مؤقتة في اكتساب اللغة الجديدة، وكذلك في الشعور بالألفة في البيئة الجديدة.

كما أن مراجعة استمارات الأطفال تبين مدى اهتمام الوالدين بالرعاية الصحية لابنهما، فإذا لم يقوما مثلاً بإجراء الفحوصات الطبية الدورية له، تسعى المدرسة للمساهمة في ذلك، بالحصول على الإذن منهما بعرض الطفل على الطبيب المدرسي، حتى تجنبه الإصابة

بالأمراض، ونقل العدوى إلى زملائه في الصف.

وفي بعض الأحيان لا يحتاج المعلم إلى طول ملاحظة لمعرفة تردي حال الطفل، فمثلاً الطفل الذي لا يلتحق بالمدرسة إلا بعد مراسلات عديدة مع الأهل، توضح لهم أن ابنهم قد بلغ السادسة من عمره، ثم ذهاب المسؤولين إلى المنزل للتنبيه المهذب، يتبعه التهديد بالعقوبة في حالة عدم الالتزام، مما يجعل الطفل متأخرًا عن زملائه منذ البداية في المنهاج الدراسي، وفي أغلب الأحيان تكون المدرسة هي المكان الدراسي الأول للطفل، إذ حرمه الأهل من الروضة، حيث كان من الممكن أن يتعلم كيفية التصرف كفرد في مجموعة، فلا يأخذ من طعام زميله، ولا يدفع من أمامه عند الخروج من الصف، ويعرف ضرورة الجلوس في أثناء الدرس، ويكتسب القدرة على التركيز.

وقد جرت محاولات ناجحة في بعض الأحيان للتحقق من وصول الدعم الاجتماعي لمستحقيه من الأطفال؛ وذلك بعدم تسليم الأهل مبالغ مالية، بل منح الوالدين قسائم يصرفون بموجبها أغذية للأطفال من أي محل تجاري، وذلك بعد أن تبين أنهما لا يقومون في أحيان كثيرة بإنفاقها في غير الغرض المخصص لها، فقد اعتاد الكثير من الأجانب ادخار هذه المبالغ لإرسالها إلى وطنهم الأصلي، لبناء بيت للعائلة، أو لشراء سيارة، أو لاعتبارها رأس مال يعينهم على خوض مجال التجارة. وفي المقابل اعتاد غير الأجانب إنفاقها على المواد المخدرة.

وقد أدى التنسيق بين المدرسة وإدارة الحي إلى محاولة الارتقاء بمستوى (جزر الفقر)، وذلك بتخصيص مساحات خضراء إضافية، فيها ألعاب للأطفال، وافتتاح نواد تعيد إليهم طفولتهم، بعيدًا عن جو المنزل الذي لا يوفر لهم الجو الصحي، لا من الناحية البدنية، ولا من الناحية النفسية.

المدرسة لا تُصلح المجتمع

من البديهي أن المدرسة لا تستطيع تغيير كل السلبيات الناجمة عن سيادة الروح الرأسمالية الاستهلاكية، القائمة على حساب المكسب والخسارة المادية فقط، ولا تستطيع أن تقنع القطاع الاقتصادي بالتفكير في مستقبل آلاف الأسر التي تنهار اجتماعيًا، من جراء قرار إغلاق مصنع، أو تسريح آلاف من العمال للحفاظ على قيمة أسهم شركة، وزيادة أرباح المساهمين فيها، ولا المدرسة مسؤولة عن إقناع السياسيين بزيادة حجم استثمارات الدولة لتوفير المزيد من فرص العمل.

ولكن المدرسة التي لا تُصلح المجتمع، يمكن أن تصبح هي مجتمعًا بديلاً، لا يرضى بفشل أفراده، ولا اعتبار فشل ٥ من التلاميذ دليلاً على تفوق الغالبية العظمى. وتكفي الإشارة إلى أن حكومة توني بلير العمالية في لندن مثلاً قررت إغلاق المدارس التي تفشل في علاج مشاكل طلابها، مقابل زيادة المخصصات لكل مدرسة تقوم بجهود متميزة في رعاية أبنائها، كما أن دولاً مثل السويد وفنلندا لا تعترف بإمكانية فشل الطالب، بل تعتبره فشلاً للمدرسة بأسرها.

وعندما يتحقق ذلك الاهتمام بالفقراء ، فلن نجد من يكرر ما قاله الشاعر الألماني هاينريش هاينه في القرن التاسع عشر:

من يملك المال الوفير
يأته فوقه الكثير
ومن لا يملك إلا القليل
فإنه سيفقده لا محالة
وإذا لم تكن تملك شيئًا
فالأفضل لك أن تموت
لأن الحق في هذه الحياة، أيها المسكين
لا يكون إلا لمن يملك شيئًا

المراجع

Annemarie von der Groben: Armut_ schaendet (nicht?)
- Anne-Katrin Baumgarth: "Hier bin ich fremd"
- Peter Joeckel, Dagmar Kaplan: Der Armut nachgehen
- Jutta Warlies, Axel Wiest: Aufwachen in Armut
- Gerd Iben, Anja Menges: Vom Schulschw?nzen zur Strassenkarriere
- Gerd Iben: Armut in der Schule

صناعة الفرح

مشاعل العمر - الرياض

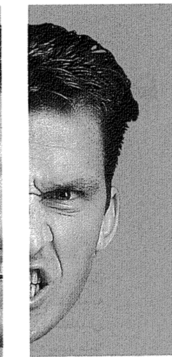
في ظل الظروف الراهنة التي يعيشها العالم بأكمله، وتعايشنا الإجباري مع كل ما يحدث ويدور حولنا، افتقدنا أبسط حقوقنا الإنسانية التي مَنَّ الله - عز وجل - بها علينا ألا وهو حق الشعور بالسعادة. ولو صادفك ذات يوم صديق وفاجأك بقوله إنه إنسان سعيد لقلت في نفسك فورًا إنه لا بد أن يكون مجنونًا!! كيف له أن يشعر بالسعادة؟ ومن أين يأتيه هذا الإحساس بالرغم من أن ظروفه المعيشية صعبة للغاية وبالرغم وبالرغم.. أو ستحدث نفسك وتقول: إنه لابد أن يكون إنسانًا أنانيًا أو لامباليٍّ لا يهتم بظروفه وحياته ولا يهمه مستقبله ولا يتفاعل مع كل ما يدور حوله في المجتمع والعالم.

إن تفكيرك بهذه الطريقة قد يصل بك إلى مرحلة قد تشعر فيها بالخجل من نفسك لو اعترفت مرة من المرات لنفسك أو لشخص ما أنك إنسان سعيد. هل أصبح الإحساس بالسعادة إحساسًا مخجلاً؟ هل تخجل من أن تعترف به لنفسك إن هو صادفك وتخاف أن يتهمك من حولك بأنك إنسان غير واقعي وأناني تعيش سعيدًا في الوقت الذي يتساقط فيه البشر والمسلمون أمواتًا في أنحاء العالم، إن هذا التفكير تفكير مدمر.

هناك فرقًا شاسعًا بين أن تكون إنسانًا حقيقيًا طبيعيًا لديه إحساس ويتفاعل مع كل ما حوله في الحد المعقول وبين أن تحرم نفسك تمامًا حقك في السعادة كي تثبت لنفسك أنك إنسان واقعي، واعلم أن التعاسة التي تعيش فيها لن تغير من الواقع الذي تعيشه شيئًا، وأن الإنسان الحقيقي لايكتفي فقط بالتألم وبأن يغرق في بحر الأحزان والإحباط بل ينهض بنفسه ليفكر في ماذا يستطيع أن يقدم غير إحساسه بالحزن؟ واذا لم يكن هناك ما تستطيع أن تقدمه يكفيك أن تحافظ على حقوقك كإنسان من حقه أن يتمتع بكل الأحاسيس ومنها إحساسه بالسعادة، فلا تحرم نفسك منها على الأقل وإن كنت ترى أن هناك ظلمة يسلبون البشر حقوقها فأنت هنا تسلب حقوقك بنفسك !!

إن هناك فارقًا بسيطًا جدًا قد لا يستشعره الكثيرون بين الاستمتاع بالحياة وبين السعادة (في نظري) والاثنان مرتبطان بعضهما ببعض للغاية، فالأول منهما يحقق الثاني والعكس صحيح أيضًا، بمعنى أنك إذا كنت إنسانًا يستمتع بحياته إذن فسعادتك في متناول يديك، وإذا كنت إنسانًا سعيدًا فمعنى ذلك أنك تجيد الاستمتاع بالحياة، أما إذا كنت تفتقد الاثنين معًا فأرى أنك ستحتاج أولاً أن تبدأ بالسعي إلى شعور الاستمتاع بالحياة، كي تشعر أولاً أنك إنسان حي يشعر ويستمتع بكل الأحاسيس الإنسانية والطبيعية، وبعد أن تصل إلى هذه المرحلة وتستمتع بكل ما يستمتع به البشر الطبيعيون عادة حينها فقط تستطيع أن تصل إلى السعادة. نفهم من هذا أنه يجب علينا أن نتخلص من الأحاسيس التي تقتل فينا الإحساس بالحياة وجمالها وتحولنا إلى أموات من حيث لا نعلم مثل الجمود والخمول واليأس والإحباط فمتى ما تخلصنا منها سنصل - بإذن الله - إلى السعادة.

هناك العديد من المفاهيم الخاطئة الخاصة بالسعادة والتي تحتاج إلى إعادة تصحيح منها اعتقاد بعض منا أن الإحساس بالسعادة والفرح هو مجرد إحساس عابر كغيره من الأحاسيس نشعر به ويمضي بعد ذلك في سبيله لنستأنف حياتنا، هذا الأمر ليس صحيحًا فالإحساس بالسعادة أعمق بكثير من أن يكون مجرد ضيف عابر على حيواتنا، الإحساس بالسعادة علامة من علامات النمو والتطور ومتى ما كنت إنسانًا سعيدًا تستشعر السعادة أينما حلت ومتى ما جاءت فأنت إنسان حي فعلاً وتنمو بشكل جيد وتتطور باستمرار، ولا أقصد بذلك النمو الجسدي بل أقصد النمو العقلي والذهني. وانظر لجسدك بكل ما فيه من حواس وأعضاء لو توقف النبض في أي عضو من أعضائك لاسمح الله، أو لو أصيبت إحدى حواسك بالشلل لشعرت فورًا بأن هناك ما ينقصك وأنك إنسان محروم من (حاسة) ما، وتحاول بكل ما تملك من عزيمة وإرادة أن تعيد تلك الحاسة التي افتقدتها، ولو

قدر لك أن تفقدها إلى الأبد وقال لك الأطباء إنها شلت تمامًا فستشعر أن هذه الحاسة أو هذا العضو قد (مات) وربما ستفقد معه جزءًا من إحساسك بأنك إنسان حي، كذلك السعادة هي حاسة من الحواس التي تظل تشعرك أنك ما زلت إنسانًا حيًا، وإن هي ماتت ستفتقد أحلى وألذ جزء في حياتك. ولكن الجميل أن هذه الحاسة بالرغم من أنها قد تموت إلا أننا نستطيع إعادة إحيائها من جديد بكثير من العزم والإرادة والقوة.

ولتنظر الآن إلى الوحش الذي قضى على حاسة السعادة بداخلك وهو طريقة تفكيرك السلبية ونظرتك البائسة للحياة التي أسقطتك بالتدريج في وحل التعاسة والحزن واليأس، وانظر الآن ماذا ستفعل بك أحزانك إن أنت استسلمت وأصبحت فريسة لها؟ أحزانك تجعلك تتوقف عندها فقط لا تفكر في سواها وتظل حبيسها باستمرار تفكر فيها وتجتر معها كل ذكرياتك الماضية الأليمة. ومعنى هذا أنك متوقف عن النمو وربما لست متوقفًا فقط بل ربما أنت تتراجع للخلف وتصبح (متخلفًا) بإرادتك، بعكس السعادة التي تجعلك تشعربجمال لحظتك وبنفسك الآن وتنظر أمامك باستمرار، تتقدم وتنمو.

ربما الآن ستحدث نفسك قائلاً لا فأنا بالرغم من استسلامي لأحزاني إلا أني ما زلت أدرس أو أنا ما زلت أعمل وأسير في حياتي بشكل طبيعي هنا، أقول لك عذرًا أنت تتحرك كالآلة تفعل ما هو مطلوب منك كما تقوم به الآلة تمامًا، لكن ما زال ذهنك مشغولاً بما حدث في الماضي في (الخلف) ولم تشغل ذهنك بالتفكير في (الأمام) وفي المستقبل.

هل رأيت الآن مدى تأثير السعادة على نموك وتطورك كإنسان وعلى العكس منها الانجراف في الأحزان؟

وهذا أيضًا مفهوم آخرمن المفاهيم الخاطئة المنتشرة، وهو اعتقاد الكثيرين منا أن الفرح والسعادة إحساس مرتبط بشخص ما أو ظرف ما أو مكان ما أو قدر ما، وأننا لن نشعر بالفرح والسعادة إلا في حالة كذا وكذا؛ لأننا بكل أسف جعلنا سعادتنا إحساسًا (شرطيًا) لا يتم إلا بحدوث شيء ما، وأننا لن نحصل على هذا الإحساس إلا بشروط معينة نحن وضعناها لأنفسنا، ألا ترون أن ذلك هو قمة الظلم تجاه أنفسنا؟ كوننا حبسنا تلك المشاعر الرائعة وجعلناها رهينة أشياء محددة. كما أن شروط سعادتنا غالبًا ما تكون شروطًا صعبة المنال أو صعبة التحقق كأن تكون سعادتك فقط في عودة الغائب عنك، أو أن تكون سعادتك في أن تحصل على وظيفة، أو أمور أخرى كثيرة اشترطتها أنت لسعادتك لكنها تظل شروطًا صعبة وليست في متناول اليد أصلاً كي تحظى بالسعادة وقتما شئت!!

ولنبتعد قليلاً عن إحساس السعادة والفرح ولنتأمل بقية الأحاسيس بشكل عام من خوف وحزن وألم وغضب وغيرها من الأحاسيس التي تمر بنا في كثير من اللحظات، ألا تلاحظون أن تلك الأحاسيس نتحدث عنها باستمرار على أننا نحن فقط أصحاب القرار الأول والأخير فيها؟ نقرر ألا نغضب، لانكره، لا نحزن، لا نتألم، لانيأس!! ألا تلاحظون أننا أيضًا قررنا ألا نفرح؟ قد تتساءلون كيف؟ نعم قررنا ألا نفرح عندما جعلنا هذا الإحساس (مشروطًا) بحدوث شيء ما وجعلنا هذا الإحساس محصورًا ومحبوسًا بدواخلنا، وزرعنا قناعة بأننا لن نتذوق طعم الفرح إلا بـ............؟

وتمر علينا في حياتنا أمور أخرى بسيطة (قد) تزرع على شفاهنا ابتسامة وقد تنشر في قلوبنا عطور السعادة، لكننا بكل أسف حرمنا أنفسنا كل هذه اللذة والمتعة والإحساس بأننا بشر يحق له أن يستمتع بالحياة

وأن يشعر بالفرح والسعادة لأنه في الأصل إنسان (يستحق ذلك فعلاً). وستلاحظون معي أن فقدان الشعور بالسعادة قد يجر خلفه فقدان الاستمتاع بالحياة وأحيانًا يحدث العكس. وأسباب ذلك في الغالب هي إما أننا وضعنا شروطًا لإحساسنا بالسعادة، وإما استسلامنا للأحزان والهموم وفي النهاية النتيجة واحدة، فهل رأيتم كيف هو ظلمنا لأنفسنا ومدى قسوتنا عليها؟

ولننظر معًا إلى هذه الصور الحية التي تعيش بيننا وإلى مدى الظلم الذي فعله هؤلاء بحق أنفسهم:

(أحمد) هو إنسان اشترط لسعادته حصوله على وظيفة ما، وتفكيره دومًا محصورفي هذه الوظيفة ومتى وأين وكيف سيحصل عليها وأمور أخرى جميعها محصورة في الوظيفة، لذا تمر عليه مواقف كثيرة لايشعر فيها بالسعادة، يخرج مع أصدقائه للنزهة ولايشعر بالسعادة فتفكيره في الوظيفة يشغله وسعادته (لا إراديًا) حصرها في هذا الشرط، ويشاهد فيلمًا كوميديًا مثيرًا للضحك ولكنه يكتفي بابتسامة صفراء، ويفوز أخوه بجائزة ويكتفي بأن يبتسم له ويقول مبارك، ويجلس بصحبة والدته ووالده في جلسة أسرية رائعة ولكنه لايشعر بأي سعادة ويبدو مهمومًا، ويشتري سيارة جديدة ويشعر بسعادة قصيرة ترحل عنه سريعًا بعد يوم أو يومين، وهكذا تمر المواقف والأحداث تلو الأحداث ولايشعر بالسعادة أو الفرح؛ لأنه وضع للسعادة شرطًا بعيد المنال وهو الحصول على الوظيفة وإن تحقق ذلك فهو فقط الذي سيجعله إنسانًا سعيدًا، مع العلم أنه لو حصل على الوظيفة سيفرح قليلاً وسيعود إلى ما كان عليه بعد أن يضع شرطًا جديدًا للسعادة في حياته ويكون بعيد المنال أيضًا كي لا يستمتع بإحساس يمتلكه.

وهذه أيضًا(سناء) إنسانة ضميرها يقظ حي، لها حياتها الخاصة، وأسرتها تعيش حياة طبيعية كغيرها، ولاتخلو حياتها طبعًا من هموم أو مشاكل مثلها مثل بقية أفراد المجتمع لكنها لاتعيش سعيدة ولاتشعر لابقليل ولابكثير سعادة، تملك في حياتها الكثير مما يحقق لهم الاستمتاع بالحياة والسعادة أيضًا، ولكنها بكل أسف قد وضعت شرطًا صعبًا لتحقيق سعادة (مزيفة) وهذا الشرط مخالف لضميرها الحي وهي في حالة يرثى لها للغاية، فهي تقضي جل وقتها في انتظار تلك السعادة وتحقيقها وإن هي جاءت حارت بين أمرين بين الاستسلام لتلك المتعة والسعادة المزيفة وبين مجاهدتها، وفي كلتا الحالتين هي متعبة، فإن هي حققت هذا الشرط ووصلت إليه سقطت

■ هل أصبح الإحساس بالسعادة إحساسًا مخجلاً ؟ هل تخجل من أن تعترف به لنفسك إن هو صادفك وتخاف أن يتهمك من حولك بأنك إنسان غير واقعي وأناني تعيش سعيدًا في الوقت الذي يتساقط فيه البشر والمسلمون أمواتًا في أنحاء العالم ■

رغمًا عنها في أحد هذين الفخين إما أن تشعر ببعض السعادة لبعض الوقت ثم تعود عليها تلك اللحظات بكثير من الألم والحزن لأن ضميرها أنبها بعد ذلك أضعاف أضعاف الوقت الذي قضته في تلك السعادة (المزيفة)، وإما أن تعاني مجاهدتها لنفسها كي لاتقوم بشيء يخالف ضميرها. هل رأيتم الآن كيف نقيد سعادتنا بشروط تكون في الغالب غير منطقية وصعبة وقد تكون أحيانًا مدمرة وربما تقضي حتى على بقية أوقاتنا وحياتنا!!

هل لك الآن وبعد أن استعرضنا حالتي (أحمد) و(سناء) أن تحدثني عن كل ما تعرفه عن الشعور بالحرية؟ عن إحساس أن تكون حرًا طليقًا تتنفس الهواء باستمرار، وماذا تعرف من جهة أخرى عن شعور المسجون؟ حدثني عن القيود والحبس ونظام السجن والسجان وقائمة الممنوعات أو المحظورات والقيود والمحاذير ومدة السجن وانتظار الإفراج وبقية هذه المعاناة، بماذا ترغب أنت لو تركنا لك الاختيار؟ أن تكون سجينًا أو حرًا طليقًا؟ مؤكدًا أنك ستختار الحرية، ذاك أيضًا هو الفرق بين السعادتين، سعادة يشترط بعضهم لحدوثها أن يحدث له كذا وكذا (سعادة مسجونة دومًا تنتظر الإفراج) وسعادة حرة طليقة تفرح بكل ما يقابلها بطريقها وتتلذذ به في وقته، أطلق إحساس سعادتك من سجنها وفك عنها كل القيود ولاتربطها بأي حدث أو موقف أو شخص لتحدث نفسك مرة وتقنعها تمامًا بأن إحساس السعادة بداخلك حر طليق يستشعر كل ما يمر من حوله من مواقف وأحداث ويتلذذ ويستمتع بالحياة كما يجب، وأن سعادتك لم تعد كما كانت

(مشروطة) أو محبوسة في إطار محدد. أظن أنه حان الوقت لتقول أنا إنسان أستمتع بالحياة وأستشعر السعادة متى ما مرت بي، وأستطيع أن أصنعها أيضًا بنفسي إن لم تمرهي بي، أما إذا مرت بي تلك الشروط القديمة لسعادتي فسوف أكون أكثر سعادة، بعدها انظر كيف سيظهر على نفسك الإحساس بالفرح والسعادة باستمرار، وإن لم تكن إنسانًا يجيد الاستمتاع بالحياة وصناعة الفرح أظن أنه حان الوقت لتفكر في الأمر بصورة جدية.

ولنتأمل إحساس الفرح والسعادة هذا الذي حكم عليه بعضهم أنه إحساس نادرًا ما يمر على القلوب، من أين ينبع هذا الإحساس؟ ألا ينبع من قلوبنا؟ أليست قلوبنا تلك هي جزءًا منا؟ جزءًا من جسدنا وأرواحنا؟ جزءًا من (دواخلنا)؟ إذًا أليس من المنطقي أن يكون هذا الجزء داخلاً في إطار تحكمنا وإرادتنا؟ وأن يكون لنا عليه سلطان قوي لنحرك إحساسنا، نخفيه أو نظهره وقتما نشاء (نحن) فقط، أليس من الأولى أن يكون لدينا مقدرة على صنع الفرح والسعادة بدلاً من انتظارها مع الأقدار التي ربما قد تأتي وربما لا؟

قد يتساءل بعضكم المتلهف والشغوف بمعرفة كيف لنا أن نصنع الفرح؟ وهل الأمر بهذه السهولة، وأنه ليس أمرًا يتحقق وفق شروط معينة كما يفعل الكثيرون، نعم إن صناعة الفرح ممكنة جدًا هي ليست سهلة ولكنها أيضًا ليست مستحيلة. والباحثون عن السعادة حقيقة سيحصلون عليها إن هم فقط قرروا ذلك فعلاً، لأننا لن نبحث عن شيء في جيب شخص آخر أو في قلبه، بل سنبحث عن شيء يكمن في الأصل بداخلنا فقط، الذي علينا هو الاقتناع بوجوده داخلنا وأنه غير مرتبط بأي شيء آخر سوى (نحن)، ثم نبدأ بعد ذلك في استخراج هذا الإحساس كي يخرج بصورة أفضل مما كان عليه في السابق وكي يخرج لنا دون شروط.

■ ولنتأمل إحساس الفرح والسعادة هذا الذي حكم عليه بعضهم أنه إحساس نادرًا ما يمر على القلوب ، من أين ينبع هذا الإحساس ؟ ألا ينبع من قلوبنا ؟ أليست قلوبنا تلك هي جزءًا منا ؟ جزءًا من جسدنا وأرواحنا ؟ جزءًا من (دواخلنا) ؟ إذًا أليس من المنطقي أن يكون هذا الجزء داخلاً في إطار تحكمنا وإرادتنا ؟ ■

إن صنع الفرح والسعادة يستلزم أمورًا عديدة منها أن يكون لديك بالفعل رغبة حقيقية وقوية في تحقيق السعادة، وأن يكون الوصول للسعادة وصنعها أيضًا هدفًا من أهدافك تسعى لتحقيقه، ولتعلم أن أي هدف في الحياة تسعى إليه حتمًا ستواجه فيه صعوبات. ومعنى ذلك أن عليك أن تقبل التحدي من البداية، وبعد أن تتوفر لديك كل الرغبة والاستعداد لخوض التحدي في سبيل تحقيق السعادة سيكون لزامًا عليك أن تقتنع تمامًا أن السعادة تنبع من الداخل، وأنها غير مرتبطة بأي زمن أو مكان أو شخص أو موقف أو غيره. وهذه القناعة لن تولد بين يوم وليلة ولكنها ستزداد بداخلك بمرور الوقت، وفي كل مرة عليك أن تثبت لنفسك أن السعادة نابعة من الداخل فحسب، وفي المقابل عليك أن تغير الكثير بداخلك أنت، منها نظرتك التشاؤمية والسلبية لجميع أمور حياتك وأن تبدلها بنظرة أخرى أكثر تفاؤلاً وحيوية وإيجابية، وأن تعيد النظر في كل أمر يمر عليك سواء كان موقفًا أو فكرة أو حتى ذكريات أليمة، وأن تنظر للأمور بأكثر من زاوية، وأن تضع دومًا في بالك أنك لاتقوم بهذا الموقف أو ذاك هربًا من الملل، بل أنت تصنع المواقف والأحداث بهدف (أن تشعر بالسعادة) لأنك متى ما قررت أن تشعر بالسعادة ستشعر بها فعلاً على عكس الذي يخلق المواقف هروبًا من الملل فقط دون التفكير في السعادة، إنه في الغالب قد يذهب الملل عنه لكنه لن يصل بأي حال من الأحوال إلى الشعور بالسعادة إلا (مصادفة).

لذا أعيد عليك: ضع دومًا هدف السعادة في عقلك، واعلم أنك قادر على الحصول على هذا الإحساس حتى وإن كنت بمفردك، وثق بنفسك وبإرادتك القوية، وبأنك قادر على الوصول إلى هذا الإحساس ولو لمرة واحدة بإرادتك وباختيارك أنت، لأنك بعد أول مرة تصل فيها إلى الإحساس بالسعادة (بإرادتك) ستجتاز أكبر تحد وما بعد ذلك سيكون أسهل بكثير، إن مقالة واحدة تتحدث لك عن السعادة لن تكفيك لتصل إلى منالك، لذا عليك أن تستعين بكتب أو بمواقع إنترنت تحدثك أكثر عن السعادة. ■

الفيروسات

«بلاستر» يعود مرة أخرى

منى الخضيري . الرياض

ظهرت هذه الأيام منافسات حادة بين مبرمجي الفيروسات: من ينشر الأكثر منها.
وتعيش أيضًا شركات مكافحة الفيروسات منافسات مشابهة: من يصدر المضاد الأفضل والعلاج الأمثل.

ولا شك أن كثيرًا من مستخدمي الإنترنت عانوا مشكلة إعادة التشغيل للجهاز بعد دخول الشبكة بقليل، وهذا هو الفيروس المعروف ببلاستر أو W32.Blaster، وهو يصيب ويندوز XP وويندوز ٢٠٠٠.

وهو ليس الوحيد في هذا المجال ولكن هو الأول الذي استغل الثغرة الموجودة في ويندوز إكس بي وويندوز ٢٠٠٠.

وقد ظهرت مثيلات لهذا الفيروس، أو بمعنى آخر تم تطويره وهو ما يعني أن المشكلة ربما تعود مرة أخرى، لأن الفكرة أصبحت موجودة.. ولكن ينقصها التنفيذ عند مبرمجي الفيروسات!

وأيضًا ظهر فيروس آخر جديد وقد تم رصده في أكثر من ١٠ ملايين جهاز، وهو يقوم بتدمير النظام واسمه Win32/Sobig.F@mm، ولكن هذا الفيروس الأخير يتبع الطريقة القديمة، وهي أنه لا بد من تحميل ملف حتى يصاب جهازك بهذا الفيروس.

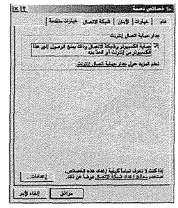
والحلول العامة للفيروسات.. هي أنه لا بد من تحديث برنامج مكافحة الفيروسات بشكل مستمر، خصوصًا هذه الأيام.. وعدم استقبال أي ملف مرفق في البريد إلا من شخص تثق به، وباتفاق مسبق معه لأن بعض الفيروسات تقوم بإرسال نفسها إلى الآخرين باستخدام بريد المصاب، ومن ثم قد تثق بشخص ولكن هو لم يقم بالإرسال فيصاب جهازك!

كما أن الحلول لفيروس بلاستر قد كثرت وتضاربت وبعضها قد يعطل بعض خصائص الجهاز، مثل: النسخ واللصق أو فتح في إطار جديد عند التصفح، وهذه الطريقة مجدية من ناحية منع قطع الاتصال ولكن لن تستفيد إذا عطلت بعض الخصائص المهمة، ومن قام بمثل هذه الحلول غير المجدية يرجع فيصلح ما عطله، وذلك عن طريق ابدأ، ثم التوجه إلى لوحة التحكم أو إلى إعدادات، ثم لوحة التحكم، ثم أدوات إدارية، ثم خدمات، ثم يتوجه من القائمة إلى Remote Procedure Call RPC ويضغط على الزر الأيمن ثم خصائص.. ثم يختار استرداد ويعيد اختيار في الخانات الثلاث إلى «إعادة تشغيل الخدمة» وبهذا ستعمل جميع الخصائص السابقة التي منعت.

إذا كان جهازك ما زال مصابًا بالفيروس فالحلّ السريع والأولي هو أن تقوم بتشغيل «جدار الحماية» الموجود في ويندوز إكس بي أو تركيب برنامج فايروول إذا كان ويندوز ٢٠٠٠.

كيفية تشغيل جدار الحماية في ويندوز إكس بي سهل جدًا، ويقوم بإغلاق المنفذ الذي يدخل عن طريقه فيروس بلاستر وهو المنفذ «١٣٥».

توجه إلى قائمة ابدأ، ثم لوحة التحكم أو إعدادت، ثم لوحة التحكم ومن ثم اتصالات شبكة الاتصال ومن ثم قم باختيار الاتصال الذي تستخدمه للدخول إلى الإنترنت، وقم بالضغط عليه بالزر الأيمن ثم خصائص ثم خيارات متقدمة، ثم وضع علامة صح في المربع «حماية الكمبيوتر وشبكة الاتصال».



بعد هذا الإجراء الأولي ستكون نجحت في إيقاف هذا الفيروس من الاتصال بالإنترنت، ولا بد أيضًا أن تقوم بالبحث عن الفيروس في جهازك، وذلك عن طريق الضغط على F3 أو الضغط على جهاز الكمبيوتر بالزر الأيمن ثم ابحث، وتضع في المربع الخاص بالبحث هذا الاسم msblast.exe، وإذا وجدته قم بحذفه ولكن لا بد أن توقف عمل الفيروس وذلك عن طريق اتباع التالي:

- اضغط CTRL+ALT+DEL في لوحة المفاتيح معًا.
- اضغط على Processes أو «العمليات».
- ابحث عن ملف اسمه msblast.exe.
- إذا وجدته ظلله ثم اضغط على End Process أو «إنهاء المهمة».

بعد هذه الإجراءات قم بتحديث برنامج الحماية الموجود في جهازك أو قم بإنزال برنامج حماية إذا لم يكن لديك. وقد قامت شركة ميكروسوفت بإيجاد حلّ لهذه المشكلة لكل من ويندوز إكس بي وويندوز ٢٠٠٠.

وتستطيع تحميل الملفات الخاصة بهذه المشكلة عن طريق موقع الشركة http://www.microsoft.com/downloads

للوصول مباشرة إلى الملف ويندوز إكس بي:

http://download.microsoft.com/download/9/8/b/98bcfad8-afbc-458f-aaee-b7a52a983f01/WindowsXP-KB823980-x86-ENU.exe

الويندوز ٢٠٠٠:

http://download.microsoft.com/download/0/1/f/01fdd40f-efc5-433d-8ad2-b4b9d42049d5/Windows2000-KB823980-x86-ENU.exe أو قم بتنزيل ملف من شركة نورتون أنتي فيروس الخاص بهذا الفيروس إذا لم يكن لديك برنامج لمكافحة الفيروسات وتجده على العنوان التالي:

http://securityresponse.symantec.com/.avcenter/FixBlast.exe

وننصح باستخدام برامج مكافحة الفيروسات ومنها برنامج pc cillin2003 أو McFee أو Norton AntiVirus2003، والمهم هو التحديث المستمر.

ما هو برنامج PC cillin 2003؟

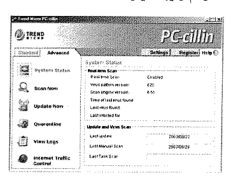
هو برنامج متميز ونال شهرة واسعة في الآونة الأخيرة بسبب كثرة التحديثات والمتابعة من قبل الشركة المنتجة له، كما أنه يقوم بعمل مزدوج كجدار حماية، وأيضًا مكافح للفيروسات.

يتميز أيضًا بأنه خفيف على الجهاز ولا يشكل عبئًا مثل بعض برامج المكافحة، حيث لا يشغل حيزًا كبيرًا من الذاكرة، كما أنه يقوم بمتابعة ما يدخل وما يخرج من الجهاز من بيانات أو ملفات.

تستطيع الحصول على نسخة تجريبية لمدة ٣٠ يومًا من موقع الشركة المنتجة، أو شراء نسخة كاملة من البرنامج من أماكن بيع البرامج المعتمدة، وسعر البرنامج جيد مقارنة بغيره.

موقع الشركة: http://www.antivirus.com

ولإعطاء نبذة أشمل تجد كما في الصورة عدة قوائم وفيها خيارات متعددة.



من قائمة Advanced وهي الظاهرة في الصورة وتحتها عدة خيارات وهي كالتالي:

- System status- وهذه هي معلومات عن التحديث وعن البرنامج.
- Scan now- وهي للبحث وفحص الجهاز إن كان يحتوي على فيروسات أو ملفات تجسس.
- Update Now- وهي لتحديث البرنامج إذا كان إصدارًا كاملاً.
- Quarantine- وهو عبارة عن صندوق لوضع ملفات الفيروسات أو التجسس والإغلاق عليها ومنعها من العمل إذا تم اكتشافها.
- View Logs- عبارة عن عرض مفصل لما تم من تحديث أو محاولات اختراق أو فيروسات تم اكتشافها.
- Internet Traffic control- وهو لإعطاء تحكم في المرور وكميات المرور عبر الإنترنت.

هذه جزء من عمل البرنامج الرائع.. وبه الكثير من الميزات التي تجعلنا ننصح باقتنائه.

برنامج عربي

www.nooor.com

قالون



برنامج البحث في آيات القرآن الكريم

وظيفة البرنامج: يهدف البرنامج إلى إيجاد الآية المراد إدراجها في أي نص مكتوب بسرعة وبسهولة ويسر مع إمكانية النسخ واللصق في أي مستند أخر.

طريقة البحث: فقط اكتب الكلمة المراد البحث عنها داخل آيات القرآن الكريم في الفراغ المخصص له، ثم الضغط على زر بحث وسيقوم البرنامج بالمهمة بسرعة لا تتصورها.

المنتج: مجموعة سيمافور.

مواقع مميزة



www.moon15.com

موقع عربي متميز بطرحه الرائع، يحتوي على أقسام متعددة منها منتديات للحوار وقسم خاص ببطاقات الإهداء، والأهم هو مركز البرامج الذي يضم عددًا هائلاً من البرامج وشروحاتها.



www.download.com

أشهر موقع يوفر لك البرامج التي تحتاجها بكل أنواعها، كل ما عليك هو أن تبحث عن البرنامج المطلوب وسيقوم الموقع بتوفيره لك.



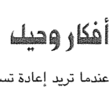
www.moveed.com

موقع عربي متخصص في توفير أنواع عدة من الصور بجميع الأشكال والأحجام، يستفيد الكثير من هذه المكتبة وما توفره من صور ثابتة ومتحركة.

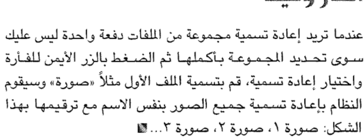


www.alargam.com

موقع عربي متخصص في الأرقام والإعجاز الرقمي في القرآن الكريم، يضم الموقع مواضيع متعددة أخرى تتحدث عن الأرقام.



أفكار وحيل



عندما تريد إعادة تسمية مجموعة من الملفات دفعة واحدة ليس عليك سوى تحديد المجموعة بأكملها ثم الضغط بالزر الأيمن للفأرة واختيار إعادة تسمية، قم بتسمية الملف الأول مثلاً «صورة» وسيقوم النظام بإعادة تسمية جميع الصور بنفس الاسم مع ترقيمها بهذا الشكل: صورة ١، صورة ٢، صورة ٣...

برنامج مهم

Mighty Fax

عندما تحتاج الى إرسال رسالة بالفاكس ولا يوجد لديك جهاز فاكس فلا تبحث عن جهاز فاكس في أي مكان، فقد جلبنا لك فاكسًا تستطيع استخدامه في كمبيوترك الشخصي ولن يأخذ مساحة على طاولة مكتبك! مميزات البرنامج:

- حجم البرنامج حاليًا ١ ميجا تقريبًا يعتبر صغيرًا جدًا بالنسبة للفاكسات.
- يستقبل ويرسل الفاكسات حسب الطلب.
- يعمل طباعة تلقائية للفاكس فور وصوله عند وجود طابعة.
- يوفر عدة نماذج لشكل الفاكس الذي تريد إرسالة.
- يتيح لك التحكم في عدد الرنات ثم استقبال الفاكس.
- ميزة اكتشاف المنافذ للمودم بشكل أوتوماتيكي.

الموقع الأصلي للبرنامج:

http://www.rkssoftware.com/mightyfax/download.html

النسخة المعربة منه توجد في مركز برامج القمر

www.moon15.com/pro

الجافا



لحل مشكلة الدخول الى المواقع التي تتضمن أزرار جافا أو المواقع التي توفر دردشة حية على الإنترنت عن طريق ويندوز XP، الحل هو تركيب البرنامج الداعم للجافا ثم الاستمتاع بالتصفح بسهولة ويسر.

موقع التحميل: مركز برامج القمر /www.moon15.com pro قسم برامج الكمبيوتر والجافا.

مواقع للأطفال

في هذه الزاوية سنقوم بالبحث عن مواقع تهتم بالطفل وتوفر التسلية والمتعة له على الشبكة.

ألعاب مجانية

www.freewebgames.com

موقع أجنبي يوفر عدة ألعاب مجانية لقضاء وقت جميل على الشبكة برفقة الطفل.



ركن الأطفال

http://kids.al-islam.com

موقع عربي إسلامي يهتم بالطفل، ويتميز بمؤثراته الصوتية والمرئية التي تشجع الطفل على التجوال بين أركانه، يحتوي على عدة أقسام رئيسية منها القرآن، الأنبياء، أخلاق، آداب، أناشيد، طرائف وألعاب.



فراس تون

www.ferastoon.com

مجلة إلكترونية عربية تهتم بالطفل وتوفر له المتعة والتسلية على الشبكة وتنمي مداركه، تحتوي على قصص مسلية وأبواب متعددة.

■ المعرفة «خِراطٌ»

■ تفاصيل صغيرة للغبار

■ الكتاب المدرسي
يوزّع و«يمزّق» مجانًا

سبورة



المعرفة.. «خِراطٌ»

عبدالعزيز الثبيتي - الرياض

عجبت لواحد من التربويين يسألني حينما رأى مجلة المعرفة بين يدي: ما هذه المجلة؟ وهل هي مفيدة؟ ومن أين تصدر؟ وماذا تتناول؟ وهل فيها صور وعارضات أزياء؟ وسيل جارف من الأسئلة المحبطة.

فقلت في نفسي: صدقنا وهو كذوب ذلك اليهودي الذي وصم العرب بأنهم أمة أميَة لا تقرأ!

وسؤالي الذي أتوجه به إلى الكل: المجلة التي لا تشيخ، ما سبب هذا العزوف عن مطبوعة تهم المعلمين يقرؤها غير المعلمين إلا ما رحم ربك؟

أحدهم ينظر إليها نظرة شك وارتياب ويظنها السبب فيما يتكبده من مشاق.وآخر يقاطع المحل الذي يبيعها وكأنها سلعة أمريكية!وثالث بتأدب يقول: ما تفعل الشعفة في الوادي الرُّغب.ورابع بينه وبين الجهالة تآخ وأصرة نسب ينسف كل هذه الجهود المبذولة وعلى الملأ بعبارة: هذه «خِراطٌ» ولا يكلف نفسه عناء تقليب صفحاتها والنظر إلى صورها، فضلاً عن فهم نفائسها. ولن أسترسل فجلسة واحدة مع مثقف ستطلعك على الواقع المر.

لست في مقام كيل مديح أو دعاية لأن المعنيّ لا يقرأ، وإن قرأ فربما صدق حدسه من أنها مطبوعة تثقل كاهلها الاستفهامات التي عششت في مخيخه. وحسبي أني أتلمس الداء لوصف الدواء وما كنت يومًا طبيبًا ولكني أتطبب وأجرب كما يجرب غيري فلن يعييني - بإذن الله - وصف بعض المسكنات والمنبهات والمنومات!

- فمن مكنون مسكناتي - ولا تعجب إن لم تفهم فهي كخربشات بعض الأطباء على ورقة وصف الدواء، وكن صيدليًا يتوقع فيصيب - أن توزع المجلة مجانًا على كل معلم على وجه هذه البسيطة، مرفقًا معها مبلغ رمزي يعادل قيمة الاشتراك في المجلة!

- أن تقام الدورات المكثفة لإزالة الغشاوة والران الذي عشش في العقول حول هذه المكيدة، أقصد المطبوعة، يبين من خلالها أنها بنت حلال تبحث عن الخطيب الكفؤ.

- من المسكنات الشاطحة: أن تربط العلاوة وتقدير الأداء الوظيفي بمن يقتنيها ويأتي بأكبر قدر ممكن من أعدادها الأصلية لا المزورة.

- ومن المهيجات: أن توكل رئاسة التحرير، مضافًا إليها راتب خمس سنوات قادمة لكل مثقف يثبت بالدليل القاطع أنه ممن يتابعها متابعة دقيقة لا يخفى عليه شيء من دقائقها الغامضة، بحيث يجرى له اختبار تحصيلي يتناول كل شيء حتى الألوان وطول الصفحات وعرضها، والصور وعدد الأحرف والكلمات في بعض الأسطر، وذلك من أول عدد حتى آخر إصدار!

- ومن البلايا والرزايا أن تقام حصص للقراءة ومهاراتهما لكل معلم بواقع ثلاث حصص يومية وعلى مدار عشر سنوات حتى يثبت أن المثقف أصبح قادرًا على تناول مطبوعة بالتقليب.

- أخيرًا خذ هذه الوصفة فلعل فيها ما يسيل اللعاب: أن تخفض الحصص عن المثقف المريد بواقع عشرين حصة، على أن تكون هناك ساعات مكتبية تصل إلى أربع حصص تخصص لقراءة (المعرفة) قسرًا، ولن أزيد!!

«شارون» القمر الوحيد في كوكب «بلوتو»!!

هادي الظفيري . حفر الباطن

لأن الاسم عند النحاة ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة ولأن دوافع التسمية وغاياتها، بالإضافة إلى دلالتها على الزمان والمكان هي التبرك والتفوق والاستبشار والحداثة وحلاوة اللفظ والإيقاع، وحفظ شجرة النسب في الأسرة بتواتر الأسماء أبًا عن جد. ولأنه اسم متداول ذهبت أبحث عن معنى اسم «إريل شارون» من باب الفضول لعل في اسمه ما يدل على سلوكه الإرهابي، ولعل القارئ يكتسب معلومة جديدة، فوجدته في التاريخ أسطورة يونانية: عجوزًا أشعث في العالم السفلي صاحب القوارب والمراكب ابن أربوس (الظلام) ونكس (الليل). وتزعم الأسطورة أن شارون ينقل أرواح الموتى عبر أنهار في العالم السفلي وكان اليونانيون القدماء يدفنون أمواتهم مع عملة معدنية في أفواههم أجرًا لشارون على هذه الرحلة.

والغريب في الأمر أن هرقل بطل طروادة واينياس يطلبان منه عن طيب خاطر السماح بعبور تلك الأنهار كما تزعم الأسطورة. وفي الفضاء وجدته أحد أقمار كوكب أورانوس «أريل» والقمر الوحيد في كوكب بلوتو «شارون» وهو بذلك يعبع في الفضاء، ورغم أنني أرفض خزعبلات الأساطير إلا أن هذا العجوز بالفعل ذو علاقة مباشرة مع الموتى، فمجازر صبرا وشاتيلا ومذابح قانا وجنين ورام الله، وسياسة الإبعاد الجماعي ما هي إلا قواسم مشتركة بين شارون الأسطورة القديمة وشارون رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي، وإذا كان هرقل واينياس أشجع أبطال طروادة على الإطلاق يأخذان من هذا العجوز الإذن لعبور الأنهار في العالم السفلي فإن الشعب الفلسطيني وزعامته في حصار دائم لا يستطيع في أغلب الأحيان العبور من شارع إلى آخر بإذن أو دون إذن هذا القمر.

وكم هو غريب أمر هذا التطابق بين خرافات اليونانيين القدماء وبين ما يحدث الآن على الساحة الفلسطينية، وسامح الله حابس المجالي العسكري في الجيش الأردني سنة ١٩٤٨م عندما قبض على الضابط الإسرائيلي أريل شارون أسره ولم يقتله وليته فعل ووضع حدًا لجرائم لاحقة لهذا التاريخ، وأزال هذا الكابوس عن أطفال فلسطين. ■



المتكئ على الخبرة!

الخبرة ورقة رابحة في أيدي بعض العاملين أيا كانت مواقعهم يرفعونها في وجوه الطامحين، وعن طريقها يبررون تقصيرهم وتوانيهم في أعمالهم وهم في موضع القدوات.



محسن السهيمي - العرضية الشمالية

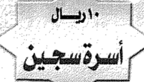
يحدث الناس عن أيامه الأول ... وكيف قضى ربيع العمر في النقل
وأنه صارع الأمواج عاتية ... واستمرأ المر واستبكى على الطلل
وأنه سار في البيداء يذرعها ... لم تكفه الأرض حتى حط في زحل
وأنه كان في أترابه علمًا ... إليه تهفو نفوس الجيل في وجل
وأنه خرّج الأجيال... آخرهم ... قد حصل «الدال» دأبًا دونما عطل
وأنه كان مغوارًا إذا حميت ... حمي الوطيس يرى في الحادث الجلل
واليوم قد قارب الخمسين ممتطيًا ... سلاح خبرته في كل مرتحل
يستنهض الزمن العافي ويسأله ... ألم أكن علمًا بل مضرب المثل؟
ألم أكن مشعلاً للعلم يرشدهم ... درب النجاة ويكسو الكل بالحلل؟
بلى ولكن شموس الأمس قد أفلت ... ولم يعد ضوؤها في الخافقين جلي
وما تفيد سنون لست تذكرها ... إلا توارى بها ما حل من خلل
ولست تذكرها إلا لتجعلها ... سيفًا على الجيل كي يبقيك في المقل
يا صاح من كان في الماضي على وجل ... من الإله ويسعى دونما كلل
فسوف يبقى مدى الأيام محتسبًا ... وموئلاً لمعاني الصبر والمثل
وسوف يفرح بالأجيال يمنحها ... علمًا وصبرًا ويهمي الحب كالوشل
ولا يلوذ بأعوام له انصرمت ... معاتبًا دهره يشكو من الملل
يحقر الجيل لا يبقي لهم أملاً ... إلى العلا ويمني الكل بالفشل
لم البقاء وأنت اليوم في وهن ... وكل همك جمع التبر في القلل؟
أنخ مطاياك وافسح في الطريق لمن ... له القياد وقل في أطيب الظلل
إن لم تكن راعيًا للعهد تحفظه ... فدع ذرا المجد وارحل عنه في عجل
فالدهر دهران: دهر كنت غرتَهُ ... ودهر غيرك فاقنع منع بالبلل

المملكة العربية السعودية
وزارة العمل والشئون الاجتماعية
جمعية البر بالرياض فرع غرب الرياض



مشروع

الشفقة والإحسان



١٠ ريال

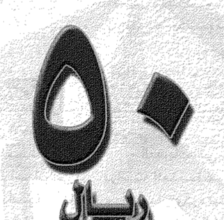
أسرة سجين

صرخة أقولها في ظلمة الليل البهيم
الزوج مسجون والزوجة لطيم
والأبناء لا أيتام ولا والي حميم
الكل قد تخلى فأصبحت على وجهي أهيم

١٠ ريال

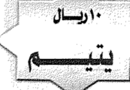
معاق ومريض

معاق وآلام المرض تسري
فلا عمل ولا مال يُعينني
فغاب الأهل والأصحاب عني
فجاء البرد معه الجوع يسري
ألا هل من مجيب للنداني
وينقذني من همي وغمي



٥٠ ريال





١٠ ريال

يتيم

أبي قد كان لي قلباً حنوناً
فمن لي بعده يرعى شئوني

١٠ ريال

صدقة جارية

من ذا الذي يسعى إلى العليا
بصدقة جارية على الدوامي
تجني رصيد ليس يفني
تجده يوم هول وعنائي



١٠ ريال

أرملة

فقدت الزوج والأولاد أومله
فمن لي بعد الله يا قوم غيركم

بخمسين ريال فقط تستقطع من راتبك شهرياً تشارك في مشروع الشفقة والإحسان فلا تتردد ولا تشاور فإنه باب إلى الجنة وفرصة قد لا تتكرر وقد لا تدركها فاغتنم يا رعاك الله غناك قبل فقرك يبارك الله في مالك وولدك وصحتك وتكون سبباً في سعادتك في الدنيا والآخرة.

الرياض - ظهرة البديعة - طريق المدينة - هاتف : (٤٢٥٦٠٧٩ - ٤٣٣١٥٥٠) - فاكس : (٤٣٢٥٥٨٤)
رقم الحساب لدى شركة الراجحي المصرفية فرع البديعة (٩/١٥٦٨٠) ص.ب ١٥٤٤٥٨ الرياض ١١٧٣٦
بنك الرياض / فرع البديعة ٢٢٤١٤٣٢٠٧٩٩٥٠

الكتاب المدرسي يوزّع و«يمزّق» مجانًا

محمد الملحم - الدمام

كثير منا يتساءل: ما الأسباب التي تدعو بعض الطلاب إلى عدم الاعتناء بكتبهم الدراسية والتخلص منها مجرد الانتهاء من الاختبارات؟

ولعل توزيع الكتب الدراسية مجانًا ليس هو السبب الوحيد في ذلك، بل هناك أسباب أخرى تتعلق بنقص الوعي والتوعية بأهمية الكتاب المدرسي، وعدم الجدية في مطالبة الطالب بإعادة الكتاب بعد الانتهاء من الاختبارات، وهناك أسباب أخرى لا تقل شأنًا عما سبق ذكره هي كامنة في علاقة الطالب بالكتاب المدرسي، حيث إن الكتاب المدرسي كتاب مفروض على الطالب طيلة سني دراسته في التعليم العام، لذا فإن الكتاب المدرسي يصبح المصدر الأول في بناء العلاقة الطيبة بين الطالب والكتاب (بمفهومه الشامل)، وترسيخ هذه العلاقة وتعميقها على مر الأيام والسنين، ولكن الذي يحدث هو عكس المأمول والمبتغى، لأن ما يتركه الكتاب المدرسي من آثار سيئة في نفسية الطالب تنعكس تلقائيًا على سلوكه، وتكون النتيجة الحتمية في تخلص الطالب من كتبه المدرسية مجرد الانتهاء من الاختبارات بعد أن عجز الكتاب المدرسي عن توفير علاقة طيبة مع الطالب لأسباب منها:

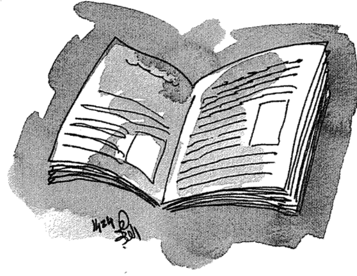
- اعتبار الكتاب المدرسي هو المصدر الوحيد للطالب في تلقي المعلومات والملل الذي يصيبه جراء ذلك، وتمسك المعلمين وممن لهم علاقة بالتربية والتعليم بهذا المفهوم، وبذلك لا تتاح الفرصة للاطلاع على الكتب الأخرى التي تساعد على التزود بالمعلومات، وتنمية العلاقات الطيبة بين الطالب والكتاب لتنعكس هذه العلاقة على الكتاب المدرسي.

- العقوبات التي تلحق بالطالب لتقصير يظهره في دراسته المعتمدة على الكتاب المدرسي، مما يؤدي إلى حدوث عداوة وكره لهذا الكتاب من قبل الطالب، فيكون الحل العملي لدى الطالب هو التخلص من الكتاب الذي سبب له العقوبة.

- يعامل الكتاب المدرسي طلاب الصف الواحد على أساس جماعي وكأنهم متساوون في قدراتهم القرائية والعقلية، دون اعتبار الفروق الفردية والميول والرغبات، وهي تختلف من طالب إلى آخر، لذا لابد من استخدام الكتب الأخرى لملاءمة هذه القدرات المختلفة وملاءمة الميول والرغبات المتباينة، ولأن الكتاب المدرسي يعجز عن تحقيق هذه الأهداف ويولد لدى الطلاب كراهية لهذا الكتاب المدرسي فيتخلص منه.

- إن المفهوم التربوي للمدرسة أنها مكان للتعليم والتعلم، والملاحظ عندنا أن المدرسة مكان للتعليم فقط، ويعتمد هذا التعليم على الكتاب المدرسي المقرر وعلى المعلم، بينما عملية التعلم المعتمدة على الطالب في تعليم نفسه بالمشاركة في العملية التربوية، شبه مهملة، وهو ما يقود إلى عدم توثيق الصلة بين الطالب والكتب الأخرى، بينما صلته بالكتاب المدرسي صلة قسرية تتمخض في النهاية بالتخلص منه بعد الاختبار.

- وجود قصور من المدرسة والبيت والمجتمع في بناء العلاقة الطيبة بين الطالب والكتاب، وفي العادة فإن الطالب يربط الكتاب بالمدرسة، والمدرسة بالكتاب، إذ إن



علاقته بالكتاب معتمدة على علاقته بالمدرسة، فإذا أنهى الطالب دراسته في الفصل الدراسي الأول أو الثاني اعتقد أن علاقته بالكتاب قد انتهت، ويصبح التخلص من الكتاب في هذه الحالة أمرًا طبيعيًا حسب مفهومه، لذا فإن توفير الكتب المناسبة للطالب في مدرسته وفي بيته، وتهيئة المكتبة وتزويدها بالكتب المناسبة للاطلاع والمطالعة وتعويد الطالب القراءة الموجهة سيساعد على تنمية العلاقة الطيبة بينه وبين الكتاب المدرسي.

-عناصر التشويق في الكتاب المدرسي قليلة، فالصور التوضيحية والملونة والطباعة الفاخرة، ستساعد الطالب على القراءة، وتثير فيه حوافز الإقبال على استخدام الكتاب المدرسي برغبة ورضا، ومن ثم المحافظة عليه.

- الورق الذي يستخدم في الكتب المدرسية من الوزن الخفيف نوعًا ما، وكذلك الأغلفة، وهذه لا تساعد على الاحتفاظ بالكتاب بصورة جيدة، فتفصل الأغلفة عن الكتب، ويسهل تمزيق أوراق الكتاب وتساقطها.

ضحالة!!

سيد أحمد إبراهيم - مصر

تواجه مدارسنا الآن بدءًا من مراحلها الأولى ضعفًا وضحالة، وبهما يدرج الناشئ حتى يصل إلى الجامعة وهو غير مؤهل لدراسة جامعية، ولا تستطيع جامعاتنا وهي تواجه هذا العدد الهائل من الطلاب الضعاف أن ترسبهم جميعًا، بل هي مضطرة - وهم في مستوى متقارب - إلى أن تعتبرهم جميعًا ناجحين، ويمرون من عام إلى عام حتى يفرغوا من دراستهم الجامعية وعقلياتهم ليست أكبر من عقليات التلاميذ في المدارس الابتدائية والمتوسطة في المدارس الأخرى، فجامعاتنا إذًا تمنح شهادات ولا تخرج متعلمين. إن الحقيقة المرة تقول: إن تعليمنا في ظل الاستعمار كان تعليمًا، أما تعليمنا في ظل الاستقلال فليس أكثر من محو أمية.

ليس ضروريًا أن يؤدي الطالب الثانوي اختبارًا ناجحًا في جميع مواده في عام واحد، ولكن الضروري أن يهضم كل مادة يدرسها ويستوعب كلياتها وفروعها.. الطالب في كل البلاد الأوروبية قد يؤدي اختبار الثانوية في عامين أو ثلاثة أو أكثر، فالطالب الذي يحرز نجاحًا في مادة من المواد لا يؤدي فيها اختبارًا بعد، ولكنه لا يحرز النجاح إلا بعد درس مادته درسًا كافيًا، والذي يهم المدرسة هو درس هذه المواد درسًا يهيئه لتعليم جامعي عميق، ولا يضر أن يكون الاختبار فيها مفرقًا على سنوات.. وهو بهذا يصل إلى الجامعة وهو في مستوى جامعي يؤهله للتجديد والابتكار.

ليس هذا مجرد نقد لأنظمتنا التعليمية، وإنما إهابة بالمسؤولين عن التعليم في كل بلد عربي أن يتداركوا موقفنا الخطير.. لقد نمنا وأدلج أعداؤنا، وتكاسلنا وجدوا. وقناعتنا بالثقافة الشكلية هي سر تخلفنا في كل جوانب الحياة.. وأي تقدم يأتي بغير تعليم؟!



تفاصيل صغيرة للغبار

نورة ضحيات العتيبي

(١)

في القرى الصغيرة، حيث البيوت المتناثرة ذات الطابق الواحد، يهبط الصباح مبكرًا ويتسلل عبر النوافذ وفتحات الأبواب.

كان مستيقظًا حين طرقت عليه أمه الباب، تأمره بأن يصلي الفجر وأن يأخذ كيس القمامة معه إذا خرج. ليلة رطبة تلك التي تقلب فيها على سريره بعد ما قطع التيار الكهربائي ثلاث مرات.

جاء فيها نومه متقطعًا، حتى في الدقائق التي تعود فيها الكهرباء لم تفلح المروحة الآيلة للسقوط في تهيئة جو مناسب للنوم، وعلى الرغم من حرارة الغرفة فلم يهرب إلى السطح كما يفعل دائمًا، بعدما استوى جالسًا على طرف سريره احتضن تفاصيل غرفته المملة: سرير حديدي عال.. دولاب عتيق بدفتين.. نافذة بطلاء أخضر باهت.. وسقف من خشب..... نهض وصداع شديد يكاد يشق رأسه إلى نصفين، توضأ من الحنفية ثم عاد وارتدى ثوبه الذي بات قديمًا وقصيرًا أكثر من المعقول، ثوب أشبه ما يكون بالقمصان الإغريقية القديمة.

كالمعتاد حمل القمامة وخرج، أحدث صوت الباب صريرًا مزعجًا في هدأة الفجر، مضى دون أن يقفل الباب، ففي هذه القرية لا أحد يقفل بابه، وفي الشوارع الخلفية حيث تتكدس البراميل الصدئة وأوراق الصحف والعلب الفارغة وصناديق الفاكهة.. هناك رمى القمامة ومضى.

(٢)

بخطوات نائمة قطع الطريق الترابي إلى المسجد الوحيد في القرية.. أضواء مصابيح الشارع الواهنة تكشف عشرات الحفر التي تجعله يسير بحذر شديد.. في فجر يمتلئ ببقايا الليل.. ورائحة الكلاب والماشية. حيث لا صوت مباح في هذا الوقت سوى صياح الديكة المتقطع وهدير الشاحنات على الطرق البعيدة.

حين عاد كانت رائحة القهوة تصافحه مع نسمات الصباح الباردة.. دخل فوجد أمه تقف خلف (التنور)، تتوسط المطبخ القديم الذي اسودت جدرانه.. بدت فيه كقطعة حطب محترقة، خمسون عامًا وهي تقف خلف (التنور) دونما كلل بعدما غابت عنها روح المرح وأصبحت كثيرة الصمت وإن تكلمت كان كلامها شكوى من غسالة الثياب أو من الثلاجة التي باتت تسرِّب الماء.

لم يعد هناك ما يثبت وجودها في البيت سوى سعال متكرر لا تجد ما يسكنه في قرية تكاد تنعدم فيها الرعاية الصحية. ودون أن تلتفت إليه وضعت القهوة أمامه ومضت تكمل عملها في المطبخ ثم عادت، كان ساهمًا.. ولم تكن هي ترغب في الكلام عن أي شيء.

(٣)

رشف القهوة بسرعة وبنهم لا حد له وهو ما

أحدث صوتًا مزعجًا.. رمقته بنظرة سريعة، بينما ابتسم معتذرًا.

قامت تنظف زوايا الحوش المتربة التي لا تفلح معها كل المحاولات، بينما بقي هو وحيدًا.

أطلق بصره في الغرفة: جدران محبطة تحول دهانها إلى لون ترابي، قطع الأثاث بألوان متنافرة لا رابط بينها.. نوافذ حديدية مغلقة دائمًا فليس هناك ما تطل عليه سوى الرمال الشاسعة..

سجاد قديم بخيوط زرقاء وخضراء وحمراء. تنويعات هندسية متكررة تصيبه بالغثيان، كم ألحت عليه والدته بتغيير هذا الأثاث الذي لم يعد صالحًا، ولكن الدنيا التي تضيق عليه لا تمنحه حتى فرصة الحلم بتغيير الأثاث.

(٤)

كانت الساعة العاشرة صباحًا حين خرج من البيت يتسكع في الشوارع، لم يكن يحمل ساعة في يده ولكن عرف ذلك من ارتفاع الشمس ومن الرمال الصفراء التي أصبحت ساخنة.

خرج اليوم دون أن يحمل ملفه الأخضر (العلاق) الذي احتضن شهادة الثانوية العامة على مدار ست سنوات. ست سنوات ظل فيها يلبس ويأكل ويشرب من راتب والده المتقاعد، وباتت الوظيفة ضربًا من التفاؤل الأبله، ليس أمامه سوى أن يمضي بقية اليوم متسكعًا في شوارع القرية، بينما تبقى أمه خلف (ماكينة الخياطة) حتى يحين موعد تجهيز الطعام.

أول ما يطالعه كل يوم طابور طويل من العصافير الواقفة بملل على أسلاك الكهرباء وأرض مجاورة للمسجد تصطخب بأولاد يلعبون كرة القدم.. ما زال المكان منذ عشرات السنين ملعب القرية، كبر الأولاد وجاء بعدهم أولاد آخرون.. يومًا ما كان هنا يلعب.. ويضحك.. ويصرخ.. ويرتدي فردة حذاء واحدة في قدمه اليمنى، بينما قدمه الأخرى تبقى بلا حذاء، وحده المرمى بقي كما هو يتجالد في الرمال.

هنا حيث الغبار الذي يخنق الشوارع والبيوت والأثاث والناس.. الغبار الذي يكفل لهم مراسم الدفن



وطقوس الموت ويذر البؤس في عيونهم.

في قرية كل فرد فيها يرتدي معطفًا من الغبار ويمشي حافي القدمين وسط حظيرة الأغنام.. ويقلق حين يتأخر (صهريج الماء العذب) الكل يحمل ذات الألم.. وذات القلق.. وذات الحلم.

ما من شيء جديد سوى رمال تمتد إلى ما لا نهاية وتظل تزحف على جوانب القرية يومًا بعد يوم حتى طمست معالم الطريق المسفلت.

(٥)

على الشارع المؤدي للسوق آثار أقدام كثيرة.. أقدام ضخمة لرجال.. أقدام صغيرة لأطفال.. وأقدام تمس التراب بنعومة لنساء مرت من هنا باتجاه السوق.

وبعد ما عبر الشوارع الفرعية لاح له على رأس الشارع (المقهى القديم)، (مطبخ المندي)، (محل تعبئة أنابيب الغاز)، عالم من الروائح المزعجة.. تلثم بغترته وتجاوز المكان بسرعة. ■

تدخل الوالدين في رغبات الأبناء يربكهم دراسيًا

فهد الربيعة ـ الرياض

قد يدرس معظم الطلاب مواد ومقررات دراسية لا تتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم وميولهم واستعدادتهم. وقد يكون السبب في ذلك اقتداءهم بزملائهم، أو ربما يكون السبب في ذلك راجعًا إلى تأثير والديهم عليهم، حيث يختار الآباء التخصص الذي يرونه مناسبًا لأولادهم ويفرضونه عليهم. وكذلك فإن الاتجاهات الاجتماعية والمكانة الاجتماعية لبعض المهن تؤدي دورًا بارزًا في اختيار التخصصات التي تؤهل لها. وفي كثير من الأحيان يكون اختيار التخصص جزافيًا ولا يتناسب مع استعدادات وميول وقدرات الطالب!

لذلك أصبحت الحاجة في الوقت الحاضر ماسة للغاية إلى خدمات الإرشاد الطلابي أو المدرسي الذي يسعى لتحقيق الأهداف التالية:

- تعريف الطالب بإمكاناته وقدراته وميوله وسماته الشخصية من خلال تطبيق اختبار القدرات والميول عليه ومن خلال المقابلات الإرشادية.
- تعريف الطالب بالكليات والمعاهد ومراكز التدريب المتوفرة، أي تبصيره بالفرص التعليمية والمهنية وتزويده بالمعلومات وشروط القبول الخاصة بها.
- تقديم الخدمات الإرشادية للمتأخرين دراسيًا سواء كانت خدمات وقائية أو خدمات علاجية.
- تقديم الخدمات الإرشادية للمتفوقين دراسيًا، حيث يتم التعرف عليهم ثم تنمية إمكاناتهم وتوجيههم إلى التخصصات المناسبة لهم ورعايتهم ومتابعتهم.
- تقديم خدمات تهدف إلى التكيف مع الجو المدرسي. ويشمل ذلك توجيه الطلاب الجدد وتعريفهم بأهمية التعليم كوسيلة للتقدم، وبطرق المذاكرة الصحيحة، وتنمية مهارات التعامل مع الآخرين.

وفي حالة غياب خدمات الإرشاد الطلابي فإن الطالب ربما يتجه إلى مجال من مجالات الدراسة قد لا يتناسب مع قدراته واستعداداته وميوله. وفي مثل هذه الحالة قد يواجه مشكلات مدرسية ونفسية وتربوية كثيرة، منها:

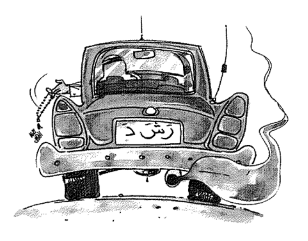
- صعوبة في فهم المواد الدراسية.
- عدم التوافق المدرسي.
- صعوبة التركيز والانتباه في الفصل.
- عدم الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس وربما تحقير الذات.
- الاستسلام والخضوع.
- الشعور بالإحباط والتوتر والقلق.
- سوء التوافق الشخصي والمدرسي والمهني والاجتماعي.
- الاعتماد السلبي على الآخرين.
- عدم القدرة على تحمل المسؤولية.
- التردد في اتخاذ القرارات.
- السلوك العدواني.

ومن أبرز المشكلات التربوية التي قد تنشأ بسبب تدخل الوالدين في توجيه رغبات الأبناء ما يلي:

- التأخر الدراسي: ويتضمن ضعف التحصيل الدراسي وانخفاض نسبته دون المستوى العادي، وقد يكون التأخر عامًا في كل المواد الدراسية أو خاصًا في مواد محددة.
- مشكلات النظام: وتشمل ما يصدر عن الطالب من سلوكيات مخالفة لنظام المدرسة، مثل: الغياب والتأخر عن الدراسة والغش في الاختبارات ومخالفة تعليمات المدرسة، وهو ما قد يؤدي بالتالي إلى فصل الطالب وحرمانه من التعليم، وهذا بدوره قد يقود إلى انحراف الطالب سلوكيًا.
- سوء التوافق التربوي: ويشمل ذلك سوء العلاقة بين الطالب وزملائه وبينه وبين أساتذته، وكذلك تكرار الرسوب وكثرة الغياب والهروب والفشل.
- مشكلة نقص المعلومات عن الدراسة المستقبلية: وتبرز هذه المشكلة في عدم قدرة الطالب على اختيار التخصص الذي ينوي مواصلة دراسته فيه؛ لأنه لا يعرف شيئًا عن قدراته وميوله ومهاراته الدراسية والمهنية.



محمد سيد طنطاوي:
اتهموني جهلاً
بـ . .«شيخ الحكومة»



رحلة رسم كاريكاتورية!



جازان في الذاكرة
«أمحشوش» في «أمجغرة»!

2

حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته. حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!
وضيف هذا العدد هو:
شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي.



محمد سيد طنطاوي :

اتهموني جهلاً بـ.. «شيخ الحكومة»

ترددت حياة الدكتور محمد سيد طنطاوي الشيخ رقم ٤٢ في تاريخ الأزهر الشريف بين النجاح والفشل، وهذا أمر طبيعي في حياة أي فرد، إلا أن الفشل لم يكن - ولله الحمد - رفيقًا دائمًا له ومحطاته قليلة في حياته، ففضّل هنا أن يذكرها مقرونة ببعض النجاحات التي مر بها فحفظه القرآن الكريم كاملاً، وزواجه الناجح، ومطالبته المستمرة التي لا هوادة فيها بمقاطعة البضائع الغربية وغيرها يعتبرها الشيخ طنطاوي علامات إيجابية في سنواته السبعين، وبين هذه العلامات المفرحة مرت بشيخنا محطات إحباط مسَّت حالته النفسية دون أن تزعزع مواقفه.

أولى محطات حياتي شهدتها قرية سليم الشرقية مركز طما في محافظة سوهاج بصعيد مصر في ٢٨ أكتوبر عام ١٩٢٨ وظلت هذه المحطة ممتدة حتى أنهيت تعليمي الإلزامي حافظًا القرآن الكريم كله.

المحطة الثانية التي لا تقل مكانة في نفسي كانت في مدينة الإسكندرية، حيث التحقت بمعهد الإسكندرية الديني الثانوي عام ١٩٤٤ ومازالت لهذه



- أحداث ١١ سبتمبر حرمتنا من أمريكا .
- أحرص على ملتقيات دار الأوبرا المصرية في شهر رمضان .
- زجوا بـ«أمة الرعاع» في غير مكانها .
- نعم للعمليات الاستشهادية لا للعمليات الانتحارية .

المدينة الجميلة مكانة في نفسي. .

عام ١٩٦٣ شهد محطة مهمة جدًا في حياتي الخاصة، حيث تزوجت رفيقة عمري التي عاصرت أحداث ٤٠ عامًا معي وكانت نعم الزوجة، ونعم الرفيقة، ونعم السند طيلة الرحلة الممتدة.

عام ١٩٤٣ كان أول محطات الصوم بالنسبة لي كان صومًا حقيقيًا ليس فقط امتناعًا عن الطعام والشراب وإنما كان امتناعًا عن كل العادات السيئة والموبقات الصغيرة، كان إحساسي وقتها غضًا وشعرت بمذاق التجربة الروحانية شعورًا مختلفًا عمن في مثل سني، كنت أشعر وقتها بقربي الشديد من الله حسب مفهومي وسني وقتها:

محطة شهر رمضان من كل عام هي محطة سعادة فائقة بالنسبة لي؛ لأنه شهر يشهد العديد من اللقاءات الفكرية والثقافية في مناطق متعددة ولاسيما التي تنظمها دار الأوبرا المصرية، إلى جانب اللقاءات التي تتم بيني وبين جمهور قراء هذا الشهر الفضيل على صفحات المطبوعات الصحفية متمثلة في الصحف اليومية والإصدارات المختلفة.

في أحد اللقاءات الفكرية طرح أحد الحضور فكرة الانتخاب بالنسبة لمن يتولون منصب شيخ الأزهر، وأعتبر هذا محطة مهمة لطرح مثل هذا الأمر للنقاش وأنا لا أعارضه بالعكس لكني لا أملك المطالبة به، فأنا الشيخ رقم ٤٢ للأزهر الشريف والقرار يصدر من رئيس الدولة بعد دراسة طويلة لكل الأسماء المطروحة.

محطة إحباط كبرى بالنسبة لنا كانت قرارنا بمنع سفر الدعاة إلى أمريكا عام ٢٠٠٢م للمحافظة على كرامتهم وخوفًا على حياتهم، ولاسيما بعد خضوع كل الذين يدخلون أمريكا من العرب للتفتيش الدقيق الذي يستلزم التخلي عن كل المتعلقات - الملابس والأحذية والعمامات - الشخصية وكان صعبًا علينا أن تمتهن كرامة شيوخنا بعد حالة العداء السافرة التي تلت أحداث ١١ سبتمبر الشهيرة فتم توجيههم إلى مناطق أخرى في أوروبا وإفريقيا، ولا شك أن محطة الإحباط هذه كان سببها الأكثر عمقًا أننا حرمنا هذه المنطقة التي تحتاج جهود هؤلاء العلماء منهم.

محطة إحباط أخرى كانت في بداية عام ٢٠٠٠ عندما أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قرارًا بأغلبية الأصوات بجواز إيداع الأموال في البنوك مع تحديد سعر الفائدة مسبقًا شرط أن يكون استثمار هذه الأموال في الأمور المشروعة وليست محرمة، فما كان من بعض الأقلام إلا أن شنت عليَّ حربًا شعواء متهمة إياي بأنني شيخ الحكومة أعلن ما تفرضه عليَّ.

شراء منتجات صهيونية حرام ومقاطعة هذه المنتجات أمر واجب على كل مسلم. فكل ما يضر بالمجتمع ويقره الخبراء يكون شراؤه حرامًا. هذا ما قلته وهذا ما أنا مؤمن به، وهذا ما لقي ارتياحًا لدى جمهور العامة والخاصة في العالم العربي بعد المذابح المستمرة في فلسطين وهذا يشكل محطة ارتياح كبرى بالنسبة لي.

محطة التبرع بالأعضاء محطة أثارت استياء الكثيرين مني لأني قلت بجواز التبرع شرط أن يكون تبرعًا بلا مقابل، لم لا؟ فبعد موتي لم لا أتبرع بعيني لمن يستطيع أن يرى بها وأنا وقتها لن أشعر بشيء! على حين أنني قلت إن استنساخ البشر حرام لأنه يأتي بخلاف الطريق الذي وضعه الله، فالشرع يوافق مثلاً على كل جنين جاء من ذكر وأنثى. فالخلية التي تحتوي على ٤٦ كروموزومًا ٢٣ منها من الحيوان المنوي و٢٣ من البويضة هي أمر حلال حتى ولو كان عن طريق تدخل الطب للمساعدة في إتمام هذه العملية إذا كان أحد الزوجين يعاني مشكلة ما تعوق إتمامها، شريطة أن يكون الحيوان المنوي والبويضة

■ اسألوا رئيس الدولة عن «انتخاب» شيخ الأزهر .

■ لم أدنس الأزهر باستقبالي اليهود فيه .

■ وقفوا عند فتوى «التبرع» وتناسوا فتوى «الاستنساخ» .



للزوجين نفسيهما. أما أن تأتي بخلية بها ٤٦ كروموزومًا من شخص واحد ونضعها في بويضة مفرغة ثم تكمل عملية نموها بأي طريقة فهذا أمر مخالف للطبيعة البشرية ومخالف للشرع، ويعد عبثًا لا يقبله أحد حتى في أمريكا نفسها هناك من يعارض عمليات الاستنساخ هذه.

أكثر المحطات راحة لنفسي هي الوقت بعد صلاة الفجر والذي أقضيه في المشي مدة نصف ساعة من المسجد، حيث أسكن في مدينة نصر ومثلها نصف ساعة أخرى بعد صلاة العشاء. مخلوقات الله سائرًا على قدمين لهي عادة تشيع في النفس روحانية عالية.

محطة إحباط كبرى سببها لي هجوم بعض الناس عليَّ متهمًا إياي بتدنيس الأزهر الشريف واستقبالي لدبلوماسيين وحاخامات يهود وسماحي بالحوار المسيحي اليهودي. أنا أتعامل مع الأمر كما أمرنا به الله بعيدًا عن السياسة! فالرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، كان ينظف أمام بيته من القاذورات التي يلقيها عليه جاره اليهودي وعندما مرض هذا الجار كان الرسول أول من زاره أنا أفعل ما يمليه عليَّ ديني.

محطة إحباط أخرى شهدتها بعد سقوط بغداد واحتلال أمريكا للعراق. الإحباط لسقوطها أولاً ثم لاتهامي بأني وصفت الأمة العربية في أحد المؤتمرات بأنها أمة من الرعاع وقد نفيت هذا الاتهام وقلت إنني لم أصف أمة كرمها الله بهذا الوصف، والحوار أذيع على الهواء وسمعه الملايين وقد زج بهذه الجملة في غير مكانها التي قيلت فيه وهذا ما آلمني وأحبطني كثيرًا!

هاجت الدنيا وماجت وتعالت الصيحات تتهمني بأني أذكي نار الفتن وأشعل فتيل الحرب وأعادي السلام عندما قلت إن من يفجّر نفسه في معتد على أرضه فهو شهيد وليس منتحرًا، فالدفاع عن الأرض يتم أولاً بالسلاح وإن لم يكن مستطاعًا يتم بأي طريقة تؤدي - في القريب أو البعيد - إلى جلاء المعتدي. وعلى ذلك فكل ما يقوم به إخوتنا في فلسطين جائز وحلال وله طبيعة خاصة تختلف عن أي اعتداء على أي بلد آخر.

محطة السبعين عامًا محطة جديرة بالتوقف، فهي حصاد لرحلة طويلة مررت فيها بمراحل عديدة منها: التدريس في الجامعة في الستينيات، ثم عمادة كلية أصول الدين عام ١٩٦٨م، ثم عمادة كلية الدراسات الإسلامية والعربية عام ١٩٨٥م، ثم مفتيًا لجمهورية مصر العربية ١٩٨٦م، ثم شيخًا للأزهر منذ ١٩٩٦م. واختتمت هذه الرحلة بالحياة وسط أولادي - بنت وولدين - في نفس المنزل الذي أقطن به الآن.. فما أجمل من أن تعيش وسط أولادك وأحفادك حياة هادئة تستمتع برحلة طويلة آتت ثماره. ■

محمد سيد طنطاوي



الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.



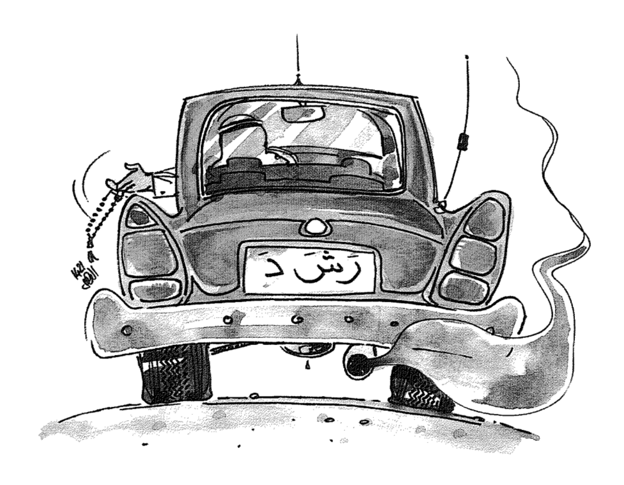
رحلة رسم كاريكاتورية!

فاطمة السهيمي - القنفذة

..مشكلة تنشب بينك وبين زوجك..
..تتراشقان بالكلمات النابية..
..يجن الليل..
كلاكما غاضب..!!
..كلاكما سيشعر بالألم.. والجرح..
«لقد قال لي كلمات لا تقال..
البارحة لم أذق للنوم طعمًا..
وشعرت بأن حياتي معه على وشك النهاية..
أرهقني التفكير في هذا الأمر..
وقضيت ليلة.. طويلة.. سوداء.. كئيبة..
وفي الصباح..
ذهبت إلى المدرسة..!!»
هكذا روت قصتها..
وهكذا هي قصص الكثير من المعلمات..

* * *

«استلمت المرتب..
زارني شقيقي في المنزل..
وطلب مني أن أعطيه ٢٠٠٠ ريال على سبيل السلف..
لم يكن بإمكاني أن أعتذر.. وهو يعلم أن هذا المبلغ متوفر
معي هذه اللحظة..
أخذها وانصرف..
جاء زوجي..
أدركت أن مشكلة كبيرة سوف تأتي..
حاولت أن أهون الأمر.. وأقنعه بأن أخي في ورطة..
لكنه أصر على تسمية الأمر «استغلالاً»..
وبدأ في تقطيع لحم أخي أمامي..
جن جنوني..
رجوته أن يصمت.. ويحترم مشاعري على الأقل..
لم يزد إلا انفعالاً وغضبًا..
لم تمر ساعتان إلا وقد نفد الصبر.. فذهبت غاضبة إلى أخي..
استقبلني بالطبع استقبال الفاتحين.. ولم يأبه



بكوني بلا أطفال..

فذلك أحسن له بكثير..!!

وتعهد برعايتي وحمايتي..

وفي اليوم التالي.. أوصلني إلى المدرسة..

إحداهن لاحظت اختلاف السيارة..

اخترعت سببًا خرافيًا.. كانت نتيجته نظرات استهجان وتكذيب..

ويا لفجيعتي حينما شاهدت مقعد ابنتي خاليًا..

فعلها والدها ولم يهتم بإحضارها للمدرسة..

واخترعت سببًا جديدًا للمعلمات..

لكنني لم أفعل الشيء ذاته مع الطالبات..

سألتني طالبة وأخرى..

تظاهرت بعدم السماع..

لكن تلك الطالبة لم تيأس..

ظلت تسأل بإلحاح..

صمت مرارًا.. صبرت.. قاومت..

لا فائدة..!!

هي لا تريد الصمت.. وتريد معرفة سبب غياب صديقتها..

كنت متوترة للغاية..

وخائفة على ابنتي..

كنت أريد معرفة السبب أكثر منها.. ربما لم يكن السبب أن والدها لم يوقظها..

ربما كانت مريضة.. أو

ربما هي الآن في المستشفى..

ربما..

جن جنوني..

رحلت بي الأفكار بعيدًا عن عالم الصف والدرس.

عندما عدت بأفكاري لأرض الواقع.. أقصد أرض الفصل..

كانت تلك لا تزال تلح في السؤال..

صرخت في وجهها:

لا أدري.. لا أدري!!

أفٍّ لك ولإلحاحك..!!

خافت.. ارتعدت.. رجعت للوراء..

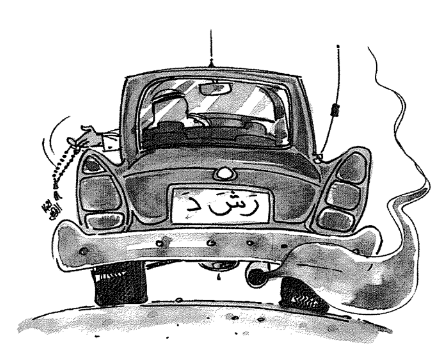
لم تتوقع أن يكون هذا جزء من تسأل عن ابنتي..

لكني فرغت كل آلامي وصراعاتي فيها..
طلبت منهـــا الكف عن الكلام.. وعن السؤال..
أمرتها بالصمت للأبد..
أجهشت بالبكاء..
الطالبات ينظرن لها بشفقة وحيرة..
فيما علا نحيبها..
ألقيت بنفسي على الكرسي..
ولم أشعر بنفسي.. إلا ودموعي تتقاطر على الطاولة..
كان الأمر أكبر من أن أخفيه..
لم أنظر لأحد..
حملتني قدماي للخارج..
لم أكن أعلم أين أذهب.. خرجت للفناء.. وجلست هناك..
مر بعض الوقت..
علا صوت الطالبات..
جاءت المديرة..
كان الفصل خاليًا من المعلمة.. وصوت الطالبات صاخبًا..
وهناك طالبة تنتحب بشدة وحرقة شديدة..
بحثت عني فلم تجدني..
لكنها في آخر النهار وجهت لي إنذارًا شديد اللهجة..
وإلى الآن.. تسألني ابنتي:
لماذا يعد يحبني أحد في المدرسة أو يسأل عني حينما أمرض أو أغيب؟!»

*　　*　　*

■ لا شك أن الطلاب أكثر تفهمًا لإنسانية المعلم أكثر من الطالبات، فالطالب لا يهتم كثيرًا بحياة المعلم الخاصة.. كما تفعل الطالبة، كما أن معرفته لا تقلل من هيبة المعلم ومكانته لديه ■

«تزوجته..
لم أحبه يومًا.. أو أتخيل أنني سأعيش معه لحظة واحدة..
كان قريبي.. وكنت أشعر بالنفور منه..
وعدتني أمي بعدم إجباري على الزواج منه.. لكنها رحلت..
وتركتني وحيدة أصارع رغبة والدي وإخوتي والعائلة كلها..
تزوجته..
نعم تزوجته..
ولكم أشعر بالتعاسة معه..
تمر حياتي برتابة شديدة.. شديدة جدًا..
من يراني للوهلة الأولى..
يشعر بكآبتي وغربتي وألمي..
يختلف عني في كل شيء..
ولذلك انقطعت بيننا كل سبل الاتصال أو التعايش أو التفاهم..
لا شيء يربطني به..
أقضي يومي كاملاً في صمت بغيض مقيت.. وأنا التي لم أكن لأسكت لحظة..
وفي المدرسة.. أنقل كآبتي وتعاستي وغربتي معي.. ما إن أهم بالضحك أو الفرح.. حتى أتذكر حياتي الباردة التعيسة معه.. فأحزن.. وأتألم..
لم أبح لأحد بمأساتي..
لأنها قصة مركبة ومعقدة لا يباح بها ولا يمكن وصفها أو حلها.. ومع ذلك..
فأنا متأكدة من أن جميع الطالبات، يعلمن بمدى تعاستي ويشعرن بالشفقة عليَّ ويعلمن أن زوجي سر تعاستي..
ولم يؤلمني ذلك.. ولكن ماذا أفعل..؟!»
قالت قصتها بمرارة.. لكن الأخرى لديها ما تقوله:
بخيل أبي.. لدرجة لا يمكن تصورها.. والحياة عنده جمع مال.. ولا شيء غير ذلك..
حريص تمامًا.. على راتبي..
يأخذه كاملاً..
لا يبقي لي ريالاً واحدًا..
وكم يحرجني مع زميلاتي وطالباتي أيضًا..
فليس لديّ سوى لباس واحد.. ألبسه كل يوم..
والجميع يلاحظ ذلك..



وأصبحت أتهرب من نظرات الطالبات، وانعكس ذلك على شخصيتي، فأصبحت أشعر بأن كل كلمة، أو غمزة، أو لمزة.. موجهة لي..

اهتزت شخصيتي في أعين الجميع..

وأصبحت حصصي في غاية الصعوبة والمعاناة مع طالبات لم يعد يقمن لي وزنًا..

ولكن لحظة:

هل ملابسك هي السبب الوحيد في هذه المعاناة؟

تقول:

لا يمكن أن تنكروا ما تخلفه أناقة المعلمة واهتمامها بمظهرها من أثر حسن في نفوس الطالبات..

أما أنا فبسبب الحرمان العاطفي والمادي الذي ألاقيه من والدي..

أصبحت شخصيتي مهزوزة، وعندما أقارن بيني وبين زميلاتي من حيث كل شيء.. فإنني أفقد حتى ثقتي بنفسي، والطالبات لا يرحمن المعلمة التي لا تتمتع بشخصية متميزة.

إذًا ما حال حصصك؟

أنا لا أبالغ لو قلت إن الطالبات يعتبرن حصتي وقت فراغ، يمارسن فيه كل ما يحرم عليهن فعله في حصص المعلمات الأخريات..

ترد إحدى الطالبات على تساؤلنا:

المعلمة التي لا تنجح في ملء عيوننا، بشكلها الجذاب، وأسلوبها الرشيق، وشخصيتها المتميزة، فإننا لا نقيم لها وزنًا..

وتتداخل أخرى:

نعلم أن المعلمة إنسان، وتمر بها ظروف مختلفة، لكن كل ذلك لا يعنينا، ولا يشغل حيزًا كبيرًا من اهتمامنا، فليس لنا سوى الظاهر.

وتضيف:

يجب أن نعترف أن معرفتنا بأسرار المعلمة الخاصة أو حياتها الشخصية، يهز صورتها في أعيننا..

وتقترح أخرى:

من الأفضل لأي معلمة، العمل بعيدًا عن الأحياء التي تسكنها أو التي يوجد بها معارف لها..

تقول تلك المعلمة..

كثيرًا ما أقرأ الكتب، وأطلع على آخر مجلات الفكر والتربية، وأحسب أني أسدي لطالباتي الكثير من النصح والإرشاد وكنت أشعر أنهن يتجاوبن معي كثيرًا.. ويستفدن مما أقوله..

وفجأة..!!

شعرت أن اهتمام طالبات أحد الصفوف قلَّ بي كثيرًا، وعندما أسرد لهن موقفًا أو قصة مرت بي للاستفادة، فإني ألاحظ برودًا واضحًا يغطي محياهن..

وعشت في حيرة لم تدم طويلاً..

فقد علمت أن الحي الذي انتقلنا إليه مؤخرًا يضم قريبات إحدى الطالبات التي تزورنا باستمرار وتلاحظ ما يدور في بيتي..

فأنا عصبية المزاج، وعلاقتي سيئة بأطفالي، وزوجي أيضًا كثيرًا ما ينغص عليَّ حتى في حضرة الضيوف..

وترد عليها إحدى الطالبات:

نحن نحترم المعلمة التي تحرص على توجيهنا، وتطرح علينا أفكارًا منيرة، وتشركنا، وتأخذ برأينا، لكن سرعان ما يقل وهج هذه المعلمة عندما نعلم أي شيء عن حياتها الخاصة، كأن نسمع أن علاقتها سيئة بزوجها، أو أن شخصيتها ضعيفة في بيتها، أو أنها

غير لبقة مع الضيوف، أو الجيران... إلخ هذه الأمور.

تدافع إحداهن عن نفسها:

أنا أيضًا لست ملاكًا بشريًا، كامل الصفات، معلمة ناجحة، وقدوة، ومحاضرة، ممتازة، وداعية مفوهة وفي الوقت نفسه أم ناجحة وزوجة متفاهمة، وربة بيت ممتازة، وجارة محسنة، وكنة حنونه.. فمشاكلي مع أهل زوجي، وأولادي، وزوجي، وجيراني طبيعية..

الطالبات يرون مثالاً صارخًا في الجمال والنقاء والنبل.. ويرفضن أن تعيش المعلمة حياتها الطبيعية، ويعتبرن ذلك خدشًا يشوه جمال المثال..

وهل هذه الظاهرة خاصة بالطالبات فقط؟

لا شك أن الطلاب أكثر تفهمًا لإنسانية المعلم أكثر من الطالبات، فالطالب لا يهتم كثيرًا بحياة المعلم الخاصة.. كما تفعل الطالبة، كما أن معرفته لا تقلل من هيبة المعلم ومكانته لديه..

تقول تلك الطالبة معللة ذلك:

الطالبة عاطفية بطبعها، وتميل للخيال وتجنح له أكثر من الواقع، ولذلك تحب أن تكون معلمتها على أرقى مستوى على جميع



الأصعدة، كشرط أساسي لتكون قدوة بحق..

حقيقة لا يمكننا سماع صوت الطلاب لتعذر ذلك، لكننا ظللنا نستمع للأصوات نفسها تبوح بالممكن والمستحيل..

المعلمة مادة دسمة للتفكه والتندر وتمضية الوقت، لدينا الكثير من الأشياء التي يمكننا التفكه بها في المعلمة: لباسها وصبغة شعرها ومكياجها وهندامها العام، نتفحص المعلمة من هامة رأسها إلى أخمص قدميها، فتغرينا عشرات الأشياء بالضحك..

الأخلاق الإسلامية الرفيعة، الحرام، الذنب، الغيبة، هذه الأشياء لا أعرف لماذا لا تظهر عندما يتعلق الأمر بالمعلمة..!!

ننسى كل ذلك تمامًا.. وكأنما نحن في رحلة رسم كاريكاتورية يجب ألا تنتهي حتى نحصي ما في هذا الإنسان من عيوب..!!

هكذا حالي وحال الكثيرات مثلي في الثانوية فعسى الله أن يرحمنا..!!

* * *

تلك - إذًا - هي العلاقة بين الطالب والمعلم في مدارسنا..!!

لا نعلم، حقيقة، هل نلقي بالتعميم على هذه النماذج التي صادفناها أم يجب أن نتريث قليلاً لأن الصورة أكثر إشراقة مما رأينا؟

لكن كل هذا يجب أن لا نهمله، ونرى أنه حديث مجلس أو تمضية وقت..

فللقضية - كما لمستُ بنفسي - أبعادها النفسية والتربوية.. والغريب في الأمر.. أن آثارها النفسية لا تحيط بالطالب أو الطالبة هذه المرة..

بل تحيط بالمعلم والمعلمة أيضًا..!!

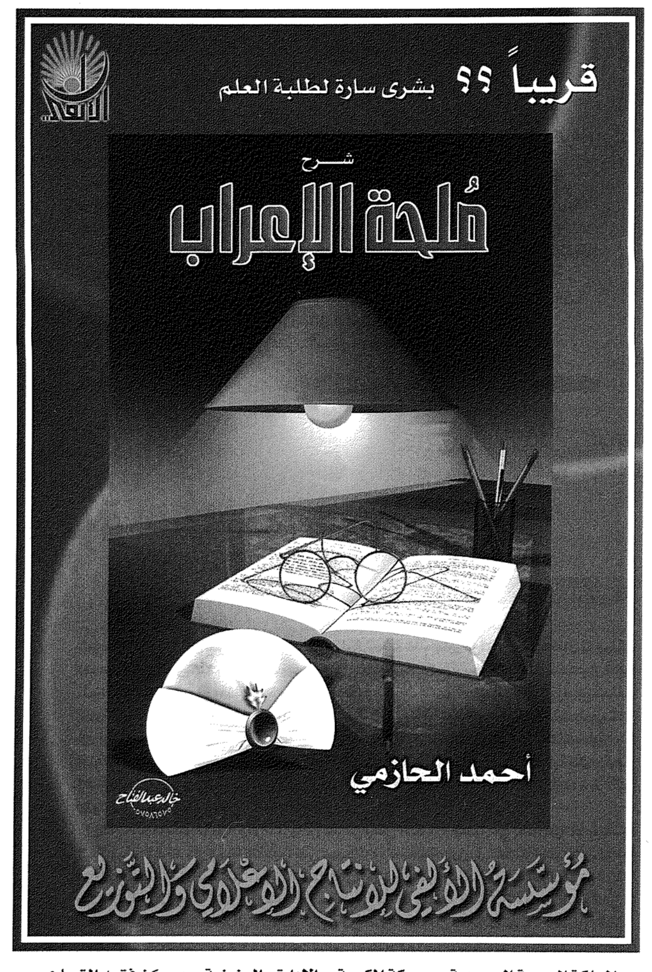
ولعل المعلمة هي الأشد معاناة كما يشير استطلاعنا..

ولكننا ننتظر رد المعلمين أيضًا.. من يدري..!!

ربما كان للقضية أبعاد أخرى وزوايا مظلمة تستحق أن نسلط الضوء عليها، ونبسطها للمناقشة والطرح.

أمل:

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.


قريباً ؟؟
بشرى سارة لطلبة العلم
شرح
مُلحة الإعراب
أحمد الحازمي
مؤسسة الألفي للإنتاج الإعلامي والتوزيع

يقال أن الإنسان يمر في حياته أيضًا بالفصول الأربعة، تلك التي تغشى الكرة الأرضية كل عام «ربيع ـ صيف ـ خريف ـ شتاء».

وكما أن هذه الفصول غير منتظمة في إطلالتها على أرجاء الأرض، فهنا يطول الصيف على حساب الشتاء، وهناك العكس. بل إن بعض مواقع الأرض لا تتجلى فيها كل الفصول الأربعة بشكل واضح مميز.

فكذلك الإنسان الذي قد يطول في حياته الخريف على حساب الربيع أو العكس، بل قد لا تتجلى كل الفصول في حياته كاملة واضحة!

لكن تبقى الفرصة الأساسية في أن حياة كل منا هي فصول أربعة.. فلنحاول أن نتلمس أين يكمن صيف حياة ضيفنا.. وخريفها.. وشتاؤها.. وربيعها!

ضيفنا لهذا العدد هو: المستشار الألماني ـ السابق ـ هيلموت كول.

هيلموت كول . . .

شجرة البلوط وأبو الوحدتين

إعداد: عبدالهادي هوفمان

هيلموت كول كان سياسيًا مجهولاً على الساحة العالمية، فالمحيطون به كانوا يعتبرونه «قرويًا محليًا»، فقد جاء من ولاية رينانيا بلاتينات البعيدة عن آفاق السياسة، ارتبط اسمه «هيلموت» بمستشار ألمانيا المحنك «هيلموت شميدت» وهذا ما زاد من الشكوك في نجاحه السياسي، ولكنه استطاع أن يصبح صاحب أطول فترة حكم في تاريخ ألمانيا على الإطلاق، واستطاع أن يرسخ اسمه في تاريخ ألمانيا السياسي حتى أن البعض يعتبره «أبا الوحدة الأوروبية»، ويعتبر نفسه هو أيضًا أبا الوحدة، فقد أصدر كتابًا بعنوان «أنا الذي أردت الوحدة الألمانية»، رغم أن الغالبية العظمى من المحللين يرون أن الأحداث الدولية مثل: انهيار الأتحاد السوفيتي، وحاجة موسكو الشديدة للمساعدات الألمانية، ودعم واشنطن المطلق للوحدة هي التي أنتجتها لا هيلموت كول.

كان عملاقًا ضخمًا طولاً وعرضًا، وكان فظًا في بعض الأحيان، اشتهر في بعض مواقف سياسته الخارجية بزلات اللسان وخطأ التعبير، ففي حديث له مع صحيفة نيوزويك الأمريكية شبه كول الزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف بوزير الدعاية النازي يوزف جوبلز، وعاد كول فيما بعد ليعترف أنه قال «كلامًا غبيًا». وفي زيارته لإسرائيل عام ١٩٨٤م دخل في مشكلة عويصة عندما قال إنه «من الجيل الذي لم يشارك في الحرب العالمية الثانية، ولم يكن نازيًا» في اعتراف منه بأن ألمانيا مسؤولة عن محارق اليهود (الهولوكوست)، ولم يكن إصلاح العلاقة بين البلدين إلا بفتح الخزائن الألمانية للتعويضات حتى بلغت أكثر من ١٥٠ مليار مارك تقريبًا.. قال عنه وزير خارجية المجر جولا هورن، أحد أشد المعجبين بشخصية كول: «إنه يشبه شجرة البلوط، التي هي مارد الغابة، لا يحركها المطر ولا ينال منها البرق والرعد».



الشخص الذي يتناوله هذا العدد هو: هيلموت كول، الذي حكم الألمان لمدة ١٦ عامًا، من موقعه كمستشار لجمهورية ألمانيا الاتحادية. ولكن حين يكتب مؤلف أوروبي لقراء وقارئات مجلة (المعرفة) السعودية، فيجب عليه أن يتأكد من أن مفاهيمه عن الفصول الأربعة تتفق مع مفاهيم قرائه، ولهذا السبب أستأذن القارئ بأن أوضح له ما يرتبط بذهن الأوروبي الغربي عند ذكر كل واحد من هذه الفصول.

فالشتاء هو فصل السنة القارس البرودة، لا يستطيع المرء أن يغادر داره إلا مرتديًا الملابس الثقيلة، ولا يبقى في البيت إلا بعد توفير وسائل التدفئة اللازمة. أما الربيع فيعني عودة الحياة للطبيعة، فتخرج البراعم، وتعود الخضرة تدريجيًا، ويصبح النسيم عليلاً، وتطول ساعات النهار نسبيًا. أما الصيف فهو أجمل فصول السنة في وسط أوروبا، فالأيام طويلة، وسماء الليل صافية، ويحث الطقس الدافئ على الحياة في الفضاء الرحب، الملابس خفيفة، وتناول السوائل لا يتوقف، ويستمتع المرء عندها بالحياة، ومن وقت لآخر تهب عاصفة ممطرة عاتية، لكنها تؤدي إلى نقاء الجو، وتزيل حبات المطرالأتربة العالقة بأوراق الشجر. أما الخريف الذي يتصالح فيه ضوء الشمس الذهبي مع ساعات النهار التي لم تعد تبقى طويلاً، فإن الناس يسعدون بالفواكه الكثيرة الرائعة اللذيذة، وكأن الفرصة متاحة أمامهم للاستمتاع بالحياة من جديد، قبل أن يحل الشتاء مرة أخرى ويتسلل إلى بيوتهم، وأحيانًا ما تقبل بشائر الشتاء قبل موعدها بموجة صقيع، تصيب الناس على غرة، وعندها يصطدم الناس بانتهاء الفترات الجميلة دون مقدمات.

الشتاء في حياة هيلموت كول:

بدأت الحياة السياسية لهيلموت كول في الشتاء، بالمعنى الحرفي للكلمة، فهو من مواليد عام ١٩٣٠م، وكان يبلغ من العمر ١٥ عامًا، حين انتهت الحرب العالمية الثانية. كانت ألمانيا خرابًا، وما كان هناك ما يوفر الدفء للألمان، وكان الطعام شحيحًا، ولا وجود لنظام سياسي أو اجتماعي. كان هيلموت كول - حين وضعت الحرب أوزارها - في ولاية بافاريا الألمانية

الجنوبية، وتوجه منها بدراجة إلى ولاية رينانيا بلاتينات الواقعة في أقصى الغرب، قاصدًا دار أهله هناك.

كانت حقبة الرايخ الثالث، في عهد الديكتاتورية الهتلرية قد خلفت في صدر كول الشاب جروحًا غائرة، ويبدو أنه أدرك منذ صباه المبكر، أنه سيعمل على ألا يتكرر مثل ذلك مرة أخرى أبدًا في ألمانيا.

الربيع في حياة هيلموت كول:

لقد كان الربيع في حياة مستشار ألمانيا فيما بعد، منقسمًا إلى حقبتين متباينتين للغاية. ففي المرحلة الأولى كانت الأمور تسير على ما يرام، بسلاسة وبسرعة نسبيًا، فقد أصبح شخصية سياسية لها وزنها في موطنه بمدينة لودفيجسهافن، وعمره لم يتجاوز بعد الثامنة عشرة، وانضم إلى مجلس رئاسة الحزب المسيحي الديموقراطي في ولاية رينانيا بلاتينات وهو ابن الخامسة والعشرين. وفي عام ١٩٥٩م جرى اختياره ليصبح أول نائب في برلمان الولاية، وبعد مرور عشر سنوات فقط، عندما بلغ التاسعة والثلاثين استطاع أن يصبح أصغر رئيس وزراء لولاية من ناحية السن، واستمر في حكم ولايته ١٧ عامًا، وكان يريد أن يغير ويجدد، وضم إليه مجموعة رائعة من المواهب الشابة النابغة، وكانت كل الأمور تمشي على ما يرام.

أما المرحلة الثانية فتتزامن مع توليه رئاسة الحزب المسيحي الديموقراطي، وبدأ في الإعداد لدخول حلبة المنافسة الحامية الوطيس، على منصب المستشار الاتحادي الألماني، وحصل في عام ١٩٧٦م على ٤٨٪ من أصوات الناخبين، وهو ما جعله قاب قوسين أو أدنى من هدفه، ولكن الحزب الاشتراكي الديموقراطي المنافس له، وجد في الحزب الديموقراطي الحر شريكًا صغيرًا في ائتلاف الحكم، والذي استمر متماسكًا لمدة ست سنوات أخرى.

واستمر ربيع هيلموت كول طويلاً، وبقي الحظ محالفًا له في الاستمتاع بهذه الحقبة البديعة، وتفتحت الورود له في كل مجال، ولكن العواصف الرعدية، والأمطار الهاطلة المتمثلة في الصراعات السياسية مع الآخرين، ومحاولات إقصائه عن منصبه كمرشح لمنصب المستشار، على يد فرانتس يوزف شتراوس - رئيس الوزراء القوي في ولاية بافاريا، ورئيس الحزب المسيحي الثاني في الاتحاد المسيحي المعارض - والذي لم يعرف الهوادة في هذه المحاولات المتكررة التي حرمت كول من النوم، فقائمة المكائد التي واجهها في تلك الفترة لم يكن لها آخر. إلا أن ما كتبته إحدى الصحف على لسان سياسي أوروبي في وصف كول ينطبق عليه بأنه مثل شجرة البلوط، جذورها ثابتة في الأرض، فقد كانت مكانته راسخة في حزبه، وكان قادرًا على الصمود أمام كل المكائد والعواصف طول حياته.

الصيف في حياة هيلموت كول:

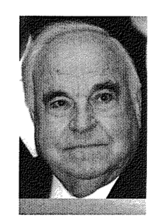
وفي خريف عام ١٩٨٢م جاء الموعد المرتقب، وانهار ائتلاف الاشتراكيين الديموقراطيين مع الليبراليين الديموقراطيين، وجرى اختيار هيلموت كول مستشارًا اتحاديًا لألمانيا بأصوات النواب المسيحيين الديموقراطيين، والمسيحيين الاجتماعيين، والليبراليين الديموقراطيين، وبعد إعادة انتخاب البرلمان في مارس ١٩٨٣م، والتي أعطى فيها ٤٨,٨٪ من الناخبين أصواتهم لحزب كول، المسيحي الديموقراطي، حصلت الحكومة الجديدة على الأغلبية الحاسمة، القادرة على اتخاذ قرارات مهمة في السياسات الاقتصادية والاجتماعية والخارجية.

ونظرًا لصعوبة الخوض في قضايا السياسة الداخلية بالنسبة للقارىء غير الألماني، والتي لن تكون مهمة بالنسبة له، فإن التركيز سيكون على أهم النجاحات التي تحققت في عهد كول في مجال السياسة الخارجية، ألا وهي:

وحدة أوروبا وإعادة الوحدة الألمانية

تؤدي الأحزاب السياسية دورًا كبيرًا في ألمانيا، حيث تعتبر ملتقى لكل جماعة من الناس، يرتبطون بتوجه فلسفي معين، ويرون مشكلات معينة، ويسعون للوصول إلى حلول لهذه المشكلات، حتى يمكن صياغتها فيما بعد على شكل قوانين من خلال البرلمان.

ومن الجدير بالتنبيه أن الحزب المسيحي الديموقراطي ليس حزبًا للمسيحيين وحدهم، بل يسعى لمخاطبة جميع الناس، الذين يؤمنون بأن الإنسان ليس خالق نفسه، بل إن هناك قوة خالقة عليا، ألا وهي الإله الخالق. وانطلاقًا من هذا فإن الحزب المسيحي الديموقراطي دافع دومًا عن الحرية، وسعى لتوطيد أواصر الصداقة بين الدول الغربية، وعمل على مكافحة الاشتراكية والشيوعية، وكان أعضاء الحزب المسيحي الديموقراطي على قناعة دائمًا بالوحدة الألمانية، ولكن



وحل الخريف بين عشية وضحاها، ومثلما يقوم الإنسان من نومه في الصيف، فيرى في نور الصباح غيومًا، ويشم في نسمات الصبح قدوم الخريف، فقد حل الخريف بهيلموت كول في ليلة الانتخابات في عام ١٩٩٨م، حين قررت غالبية الناس في ألمانيا ألا يمنحوه أصواتهم

علمهم بأن العالم كله لا يتقبل وجود ألمانيا كبيرة وقوية من جديد مطلقًا، كانوا يعملون منذ البداية على محورين متوازيين: السعي لتحقيق الوحدة الألمانية، والسعي إلى أن تصبح ألمانيا عنصرًا متأصلاً داخل أوروبا الموحدة.

وفي أروع أوقات حياة هيلموت كول استطاع أن يحقق كليهما، فقد استطاع إنشاء أوروبا متحدة، يستطيع الناس أن يتحركوا فيها بحرية، وأن يسكنوا ويعملوا أينما شاؤوا، وأن يتبادلوا السلع والأموال دون قيود، ودون وجود لمصلحة مراقبة جوازات السفر على الحدود، وهي إنجازات خيالية مثيرة، مقارنة مع تاريخ أوروبا، الذي يكاد يقتصر على الحروب المتتالية بين الشعوب الأوروبية، فهل من الغريب أن يتطلع الكثير من الناس في العالم العربي والإسلامي إلى أوروبا الموحدة بإعجاب كبير، والأمل يحدوهم أن يعيش المسلمون في يوم من الأيام متحدين في أمة واحدة؟

وإن كان من الممكن الحديث عن اللحظة الفريدة في حياة هيلموت كول، التي أشرقت شمسه فيها كما لم تشرق له ولا لأحد من مستشاري ألمانيا من قبل، فإنها جاءت في عام ١٩٩٠م الذي لا يمكن نسيانه، عندما انتخب المواطنون الأحرار في الولايات الألمانية الخمسة الجديدة - ألمانيا الشرقية سابقًا -، برلمانات محلية لولاياتهم، حصل الحزب المسيحي الديموقراطي في أربع ولايات منها على الأغلبية، وتوصلت الحكومات المنبثقة عن هذه الانتخابات بالتفاوض مع حكومة المستشار هيلموت كول إلى إقرار اتفاقية الوحدة الألمانية، وأصبحت إعادة الوحدة حقيقة واقعية من جديد في الثالث من أكتوبر ١٩٩٠م.

ولم ير كول ولا غالبية الشعب الألماني في حياتهم سعادة من قبل مثل سعادة هذه الأيام، وبالنسبة لكاتب هذه السطور أيضًا، الذي ولد في برلين، فإنه شعر بحلم يتحقق.

وإذا كان كل ما نتمناه من الصيف هو: الشمس الدافئة، والقدرة على الاستمتاع مع الآخرين بالطقس البديع، والثمار الناضجة اللذيذة، فإن كل ذلك تحقق في حقل السياسة الخارجية الألمانية، واستطعنا معًا أن نجني جهود سياسة النفس الطويل هذه.

ولا يفوتني في هذا المقال أن أعرض لهيلموت كول الإنسان، إنه هذا الإنسان الذي يطلق عليه في أوروبا اسم (باروك)، الذي يعني: الضخامة والقوة والتحكم، بل وفي بعض الأحيان يكون فظًا، يستمتع بالحياة بكل وجوهها، ويكلم الغريب دون كلفة بكلمة (أنت) - وليس بكلمة حضرتك كما هو معتاد في اللغة الألمانية مع غير الأصدقاء المقربين -، وهو يحب الطعام والشراب، وخصوصًا المأكولات التقليدية في موطنه الأصلي، أي الخمور والطعام، أعتقد أن المسلمين يأنفون من مجرد قراءة اسمه، وهو (معدة إناث الخنازير)، ولذلك لا بد أن يتمتع الإنسان الذي يعمل مع كول بأعصاب متينة، وأن يكون له معدة فولاذية إذا أراد أن يقضي معه وقت الفراغ، وأن يتناول الطعام والشراب بصحبته.

ولكن كما هو الحال في الطقس، هبت في السياسة الألمانية أيضًا عواصف وتقلبات، فقد وعد هيلموت كول إبان الوحدة الألمانية، أنه ما من أحد سيسوء حاله بعد الوحدة، ولن يحدث ارتفاع في الضرائب، حتى تتحول الولايات الجديدة إلى «واحات مزهرة بديعة»، ولكن الاتحاد السوفيتي انهار، وانهارت معه المنطقة الاقتصادية التي كانت ترتبط بعلاقات تجارية وثيقة مع ألمانيا الشرقية السابقة، ومعها تحطمت القوة الاقتصادية للولايات

الألمانية الخمسة الجديدة، وأدار الناس ظهورهم للمستشار الذي ما زال يعيش في غمرة نجاحه، ولكن المناخ العام في ألمانيا أصبح لا يطاق على الإطلاق.

وهنا يطرح تساؤل نفسه: هل يا ترى كان كول نفسه يشعر بالإهانة، وخيبة الأمل، أم أنه بدأ يفقد تدريجيًا الرغبة والقدرة على اتخاذ القرارت الضرورية القاسية؟ حين لم تؤت الوحدة الألمانية الثمار الاقتصادية والسياسية المأمولة بالسرعة التي كانت متوقعة، تحول الصيف البديع إلى منطقة ضغط عال مستمر لا يتوقف، وفجأة عادت البرودة إلى ألمانيا، وإذا بالمستشار يختبئ في وكره، ولم يعد يستمع لنصح الناصحين من الأصدقاء، وأصبح وحيدًا.



الخريف في حياة هيلموت كول

وحل الخريف بين عشية وضحاها، ومثلما يقوم الإنسان من نومه في الصيف، فيرى في نور الصباح غيومًا، ويشم في نسمات الصبح قدوم الخريف، فقد حل الخريف بهيلموت كول في ليلة الانتخابات في عام ١٩٩٨م، حين قررت غالبية الناس في ألمانيا ألا يمنحوه أصواتهم، وبدلاً من ذلك منحوا ثقتهم للحزبين: الاشتراكي الديموقراطي وحزب الخضر ليكوّنوا حكومة ائتلافية.

ولكن هذا الخريف كان ذهبيًا بالنسبة لهيلموت كول، فقد جنى الكثير من التكريم، والرحلات والمحاضرات، وتجمع الكثيرون حوله في جميع أنحاء العالم، ليعربوا له عن إعجابهم به وتبجيلهم له، وذلك بعد أن كان قد أعلن مسؤوليته عن هزيمة حزبه، وتخلى عن رئاسة الحزب، وبدا وكأنه سيستطيع أخيرًا أن يستمتع بالحياة.

ولكن حتى عندما يكون الخريف مشرقًا، فإنه ليس من المستبعد أن تأتي موجة عاتية من الثلوج على غرة لتدهم الناس، وهكذا الحال لكول أيضًا، الذي أحاطت به الثلوج فجأة.

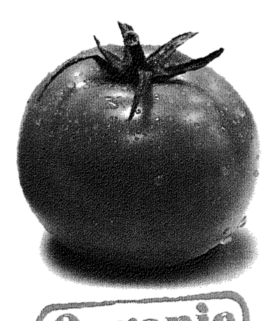
ولكن حتى نفهم الأمر لا بد من تعريف القارئ ببعض الشيء عن القوانين الألمانية، فإن الأحزاب الألمانية تحتاج بالطبع إلى المال لتمويل أعمالها، ولذلك تحصل على مبالغ من ميزانية الدولة، علاوة على إمكانية الحصول على هبات مالية، بشرط التقيد بقوانين صارمة تنظم هذا الأمر، ومن بين هذه القوانين: إنه يجب توضيح اسم الجهة التي قدمت الهبة المالية للحزب، إذا زادت الهبة على مبلغ معين، ولكن تحريات النيابة العامة توصلت إلى أن المستشار السابق هيلموت كول تلقى بنفسه بعض المعونات، دون أن يلتزم بالتعليمات القانونية المتعلقة بهذا الشأن، وأصر كول بعناد لا مثيل له على عدم البوح بأسماء من قدموا هذه الهبات للحزب، ووقع الحزب في أزمة عاصفة، حتى إن خليفة كول في رئاسة الحزب (فولفجانج شويبله) اضطر هو الآخر إلى الاستقالة من منصبه، ولم يعد كول حتى الرئيس الشرفي للحزب، واضطر إلى المثول أمام المحكمة بسبب تصرفاته.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ازدادت برودة طقس كول، وظلمة ليله؛ حيث قررت زوجته التي كانت تحتل مكانة كبيرة في قلوب الكثيرين جدًا من الشعب الألماني، أن تضع نهاية لحياتها، بعد أن أصبحت غير قادرة على تحمل الآلام القاسية التي تتعرض لها، بسبب إصابتها بمرض لا شفاء منه فانتحرت. عندئذ نال الألم من كول، وقرر أن يعيش مع أحزانه في كنف أقرب الأقربين من أصدقائه.

ولكن اليوم عاد الصلح بين الحزب ورئيسه الأسبق هيلموت كول، وعادوا لتبادل الآراء، وكما هو معتاد في الخريف، حين يقصر النهار ويطول الليل، يحن الناس للجلوس معًا، وتعود الذكريات، ويطوي النسيان صفحات العواصف التي حلت في الصيف، بعد مرور الربيع الذي ينشغل الناس فيه بالبراعم ونموها الذي يطول وقته، وتقتصر الذكريات على الساعات الجميلة والإنجازات الطيبة.

وأيًا كان ما حدث في هذه الفصول، فإن الزمن لن يمحي من ذاكرة الألمان أن الفضل في حياتهم اليوم من وحدة وحرية وسلام، إنما يعود لهيلموت كول، هذا الإنسان صاحب السياسة العنيدة المستقيمة.

منتجات طبيعية



Organic

منتجاتنا طبيعية خالية من أية مواد كيماوية
والخضار والفواكه مسمدة عضوياً.
الوطنية
حاصلة على شهادة الإنتاج الزراعي
العضوي (الإيكوسيرت) والمعترف بها في الإتحاد
الأوربي، وعلى شهادة الآيزو ٩٠٠١

Watania | الوطنية

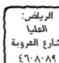
... Food You Can Trust ... الغـذاء الذي تثـق به

Toll Free 800 124 0104 ٨٠٠ ١٢٤ ٠١٠٤ مركز خدمة العملاء









الرياض:
العليا
شارع العروبة
٤٦٠٨٠٨٩

الرياض:
شارع الحسن
بن علي
٤٩٣٤٧٩٣

الرياض:
سوق الربوة
للخضار
٤٩٦١٧٤٣

الرياض:
الروضة
شارع عبد الرحمن
الغافقي
٢٠٨٥٠٤٤

الرياض:
المحمدية
شارع
التخصصي

الرياض:
جامعة الملك
سعود، سكن
هيئة التدريس
٤٦٨٢٨٣٣

الرياض:
طمرة البديعة
ش: المدينة
المنورة
٤٣٣٣٠٥٩

جديد
الرياض:
الشفا
طريق ديراب
٤٢٢٩٥١٢

جدة:
حلقة الخضار
حي الصفاة
٦٩٣٠٢٨٩

جدة:
شارع
حي السلامة
٦٩١٥٠٨٢

مكة المكرمة:
العزيزية
٥٥٠٤١٠٦

بريدة:
شارع الشاحنات
٣٨٢٣٧٧٧

الرس:
سوق الخضار
٣٣٣٩١٨١

جديد
الزلفي:
٤٢٢٧٣٠١



جديد
عنيزة:
٣٦٥٣٤٩٩



جازان في الذاكرة

«أمحشوش» في «أمجغرة»!

مصطفى محمد ياسين - الأردن

أثارت «المعرفة»، بما كتبته عن (لقاء جازان التربوي) قبل بضعة أعداد، في نفسي، مشاعر الحنين إلى تلك المنطقة، من جنوب المملكة العربية السعودية.

عملت، فيها معلمًا، ما يقارب عشر سنوات، في الفترة من ١٣٨٣ - ١٣٩٢هـ. وجازان كانت في ذلك الوقت تشهد معدل دوران عاليًا للمعلمين في كل عام، أكثر من غيرها من مناطق المملكة؛ لأن حرارة الصيف بها عالية، وغبارها الريفي كثيف ونشط. ومع كل ذلك فإني عشقتها!

والمملكة العربية السعودية بلاد واسعة.. بها الواحات، والصحاري، والأودية والسواحل البحرية.. والجبال ذات الغطاء النباتي الأخضر الجميل الذي يشبه جبال لبنان.. فالمناطق التي تمتد من جنوب الطائف إلى أبها ونجران من أجمل مناطق العالم، ويمكنك أن ترى الغيوم تسبح في الفضاء أسفل مستوى النظر.. وأن تستمتع بأمطار الصيف.. وأن تخيم تحت الأشجار السامقة.. وتستمتع بصيف هادئ جميل.

انتقلت من جازان كمعلم مرتين.. الأولى إلى منطقة بيشة التعليمية ومكثت هناك عامًا دراسيًا.. ثم عدت إلى جازان.. وإلى (قريتي) التي عملت بها. ثم برغبتي انتقلت إلى منطقة الطائف التعليمية.. وقد مكثت بها شهرًا قبل أن أعرف مكان عملي.. وشاهدت في أسواقها: الرمان والعنب والتين والصبر (التين الشوكي)، وكلها من الثمار التي أعرفها. وشاهدت أمطار الصيف.. ونعمنا بالجو الذي لا تحتاج فيه إلى مروحة أو مكيف!

وعينت في الطائف، في مكان يبعد عن المدينة ٢٠٠ كلم جنوبًا، كانت قرية نائية وبعيدة في ذلك الوقت. وعندما سألت معلمًا سابقًا في تلك المدرسة، قال لي: خذ أغراضك من هنا كلها، حتى (كاز) التدفئة.. وعليك أن تعجن.. وتخبز طعامك.. فطار عقلي!!

وعزمت على أن أعود إلى جازان، وقد كان يستغرب أمري كل من أحدثه في ذلك.. ويرى فيه عجبًا عجابًا وحالة فردية إذ لم يصادفوا معلمًا واحدًا غيري يريد العودة إلى جازان، بعد أن يخرج منها!...

وسرعان ما ركبت السيارة إلى الرياض.. إلى وزارة المعارف.. وهي التي تملك الأمر في ذلك. وقد أغراني بذلك.. أني قبضت (بدل السكن) وكان حينذاك تسع مائة وسبعة وستين ريالاً وبضعة قروش!

كانت رحلة مرهقة، زادت على ألف كيلومتر.. لم أعهد السفر بالبر.. بمثل هذه المسافة التي خلت، في لحظات، أنها لن تنقضي! في الصباح الباكر.. ذهبت أنا وزميل لي يرافقني إلى وزارة المعارف ولم نجد أحدًا قد داوم في مكتبه.. لأن الوقت كان مبكرًا..

نكص صاحبي.. فقد رجع عن رغبته في العودة.. لكني صممت.. وكتبت معروضي. وقابلت مدير التعليم الابتدائي، وكان هو الأستاذ محمد صالح العميل.. أحسن الله إليه على أي حال هو الآن.

كتبت في معروضي، منذ ما يزيد على ٣٥ عامًا: وأنا معلم، نقلت من جازان إلى الطائف، وقد عشت حياتي السابقة في منطقة أريحا من غور الأردن. وهي مدينة جوها حار، ولم أعرف فيها البرد أبدًا وتلك حقيقة.. فمدينة أريحا تجاور البحر الميت.. وهي أخفض بقعة في العالم.

رفع عينيه عن المعروض، وعلى شفتيه ابتسامة، وقال: أنت معلم وتجهل أن الطائف باردة، لا، الحقيقة هي أنك لم تجد المكان الذي يلائمك فآثرت العودة إلى جازان. قلت له: نعم، صدقت، هو ذاك! فما كان منه إلا أن أشر لي بالموافقة!

ذهبت إلى مدير مكتبه، فحرر النقل إلى جازان، وكتبت على نفسي تعهدًا، بأن لا أطلب نقلاً إلا بعد انقضاء المدة القانونية!

عدت إلى جازان، ورفضت تعييني في مدرسة في المدينة نفسها، حاضرة المنطقة.. وعدت إلى البلدة (ضمد) التي نقلت منها، مدرسًا لمادتي التي أحببتها: الرياضيات.



كنا نركب الحمير في رحلاتنا الطويلة.. ونتم باقي الطريق بالسيارة.. لكن السنوات الأخيرة شهدت وصول (الجيب) التويوتا إلى القرية.. وسعدنا بركوبه.. وكنت وزميل لي (يرحمه الله) عاشق الكرة، المسموح لنا باصطحاب التلاميذ في الرحلات، عند نهاية الأسبوع إلى واد جار بالماء العذب يدعى (قِصِي)، نمارس السباحة، ونتعرف على البيئة الصخرية، والغطاء النباتي.. الذي لا نجده حولنا.. ونتناول طعامًا نعده بأنفسنا ونمارس لعبة كرة القدم، وقد كنت لا أجيدها.. فتتعالى ضحكات التلاميذ عندما أردها بيدي.. وأصر على أن ذلك ليس بخطأ (هاندبول)!

كان في القرية نظام خدمة يكفينا صنع خبزنا وغسل ملابسنا.. وكنا نجد في البلدة لحمًا وخضارًا.. وسوقًا نشتري منه حاجاتنا.. ثم صار بها ثلاجة تعمل بالكيروسين، فشربنا البيبسي الذي كان يعتبر حينها ترفًا كبيرًا.. فقد كان ثمنها حينذاك (ثلاثة أرباع الريال).. وهو مبلغ كبير على زجاجة بيبسي صغيرة!

أحببت في الناس بساطتهم ورضاهم، وقناعتهم، وتقديرهم الشديد للعلم والمعلمين.. واستتباب الأمن إلى درجة مدهشة.. بيئة لا تعرف الجريمة.

أعجبتني اللهجة المحلية.. فأتقنتها إتقانًا شديدًا.. ولم أنس منها إلا القليل.. ومن ذلك القاموس.. الكلمات التالية:

أمريس: الحلاق.

أمجرّار: صانع جرار الفخار.

أمميغة: تنور أرضي لصنع الخبز.

أمجغرة: إناء فخاري لحفظ (المحشوش).

أمحشوش: قطع اللحم الصغيرة والدهن إذا طبخت معًا.

أمَبرّاج: الرجل يُخرج الماء من البئر ويملأ به الجرار.

أمزفة: زوج من الجرار ذات الفم الصغير.

أموظاين: زوج من النعال تصنع من ورق سعف النخيل.

أمقرعينه: خشبة توضع أعلى العشة لتمسك الحبال الضامة لجسمها الأعلى.

لقد كان لإتقاني اللهجة المحلية، ومعرفة خبايا المعاني في الألفاظ، أن أحد المعلمين، قد وصفني بكلمة.. كان يناديني بها.. وكنت أحيانًا أجيبه، إلى أن نبهني أحدهم إلى معنى تلك الكلمة.. فعرفت عندئذ أنه كان يسخر مني.. فعقدت العزم على أن أتقنها وأتحدث بها لآمن كما يقول الأثر...!

لقيني مرة في السوق رجل تبدو عليه الوسامة، ونظافة الثوب.. وكان أيضًا مكويًا.. والغترة البيضاء أيضًا.. ولم أعهد ذلك في القرية، وقال لي: أأنت (....)، فقلت له باندفاع: (يوه). وهي تعني (نعم) فضحك ضحكة واسعة.. وقال يا أخي: أنت معلم حدثني بالعربية! فقلت له: ألست من أهل القرية فتعرف لهجتهم؟ قال: بلى.. فقد حدثوني عنك.. وعندما قذفت في سمعي إجابتك (يوه) أيقنت صدق ما قيل؟

كان الرجل يعمل في وزارة الصحة في الرياض.. وكان قارئًا ومثقفًا.. اصطحبني إلى منزله وأكرمني.. وأعارني عددًا من كتبه.. واتصل الود بيننا.

عندما نزلنا أول مرة في مطار جازان.. كان ترابيًا.. معدًا لطائرة مروحية هي طائرة الكونفير.. ولكنني عندما غادرت جازان صار يستقبل طائرات البوينغ النفاثة التي تستطيع أن تذهب من هناك إلى أي مكان في العالم.. وصارت (مدرستي) حديثة من الأسمنت المسلح، وكانت الطرق المعبدة تصل إلى ٤٠٠ كلم.. وبعد ذلك بسنوات قليلة حدث التغير الذي طال مناحي الحياة كلها.. فأصبحت المملكة كلها.. ورشة عمل وتغير وجه الحياة.

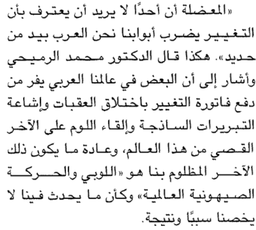
ما زال في نفسي حنين إلى تلك المرابع.. وأُمنيتي أن أزور جازان لأرى كيف تغيرت.. وكيف صارت القرى التي عملت فيها.. أو زرت زملائي بها.. وأكتب عنها..!

فهل تتحقق الأمنية؟

في مسألة إصلاح الأوضاع والنهضة العربية

محمد الرميحي: ليكن.. فلتساعدنا الأيدي الخارجية!


محمد الرميحي



«المعضلة أن أحدًا لا يريد أن يعترف بأن التغيير يضرب أبوابنا نحن العرب بيد من حديد». هكذا قال الدكتور محمد الرميحي وأشار إلى أن البعض في عالمنا العربي يفر من دفع فاتورة التغيير باختلاق العقبات وإشاعة التبريرات الساذجة وإلقاء اللوم على الآخر القصي من هذا العالم، وعادة ما يكون ذلك الآخر المظلوم بنا هو «اللوبي والحركة الصيهونية العالمية» وكأن ما يحدث فينا لا يخصنا سببًا ونتيجة.

ورحب الدكتور الرميحي «جريدة الحياة العدد ١٤٧٥٨»، بالأيدي الخارجية الممتدة إلينا، نحن العرب، لتغير واقعنا المعسر ثقافيًا وسياسيًا واجتماعيًا(!)، وتساعدنا على ترجيح كفة ورغبة التغيير المكبوتة في النفس والتي أهلكتها دوامة الحيرة والخوف، تلك الدوامة المدوخة التي أنتجت ثقافة موازية تقوم على «التكفير والتخوين»، وصنعت لنا مثقفًا وسياسيًا عربيًا يحمل في نفسه ثنائية متناقضة وقد آن الأوان لمقارعة هذه الثنائية بالبوح عن المسكوت عنه..

وعاد الدكتور الرميحي في هذه المقالة إلى مقالة سابقة كان كتبها قبل سنين في إحدى المجلات الأكاديمية وقارن فيها بين الاستعمار الخارجي والاستعمار الداخلي في العالم العربي، وتوصل في نهايته إلى نتيجة كانت محل استغراب واستهجان ولوم الآخرين آنذاك، وهي أن الاستعمار الداخلي أسوأ بكثير من الخارجي؛ لأن هناك مبررًا أخلاقيًا وسياسيًا لمقاومة الخارجي، وضرب في ذلك مثال الحكم البعثي للعراق الذي قام وتغذى بقاؤه على عدد من الضحايا والقتلى أكثر بكثير مما ارتكبه حكم البريطانيين العلني أو المستتر في العراق.

.هل يمكن في النظر السياسي التاريخي أن يقدم العدو (من هو العدو؟) على الأخذ بيدك ليدلك على الطريق السالك للحرية والكرامة؟!

بعد «الحادث» من سبتمبر

أمريكا تفقد وجهها «العربي» الجميل

جربت أمريكا المدججة بالتقنية الحربية والتمدن بعد «الحادث» من سبتمبر ذرف الدموع الساخنة وعلا نحيبها آفاق العالم فأبكت هذا العالم معها، حتى كانت محل الشفقة والعطف والتعاطف وقيّضت الماكينة الإعلامية لنقل مأساتها التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً (!!).

وما إن جفت دموعها حتى رطبت حنجرتها بشتم الآخرين المتسببين وغير المتسببين في خدش حضارتها، ثم مدت يدها بضرب هذا ولثم فم ذاك، وصارت تبحث عن كبش فداء لكرامتها المهدرة، ونعرف أن ضرب الباكي أشد قوة وأكبر عشوائية من غيره، فانقلب تعاطف العالم

ضغوط أمريكية انتهت أخيرًا إلى إغلاق «مركز زايد للدراسات الاستراتيجية»

محمد صلاح الدين:

هل نغلق الأزهر ودور الإفتاء؟

ضم الأستاذ محمد صلاح الدين صوته عاليًا مع الأصوات التي ارتفعت من جميع أنحاء العالم العربي من العلماء والباحثين والكتاب وأهل الفكر والرأي بأن يستمر مركز زايد للدراسات (أغلق لاحقًا) وناشد في « جريدة المدينة المنورة العدد ١٤٧٢٨» سمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ونجله الشيخ سلطان بن زايد رئيس المركز بعدم الاستسلام لتلك الضغوطات الأمريكية والصهيونية لتوقيف أنشطة المركز وإقفاله بحجة باتت واهنة وهي (معاداة السامية)، بل الاستمرار في زيادة مخصصاته المالية وتنويع مجالاته والبقاء به مركزًا رائدًا ومتميزًا في إثراء البحث العلمي والدراسات العربية العميقة.. واستهجن الكاتب هذه الهجمة الهوجاء والعمياء على هذا المنبر العلمي ومحاولة عرقلة نشاطاته التي يشنها الغرب بلا حياء ذلك أنه مليء - أي الغرب - بمراكز الدراسات والبحوث التي تنشر وتؤسس للأكاذيب ضد العرب، وتبث أبشع صور الكراهية ضدهم، وتقيم الضلالات ضد الإسلام وتشوه صورته أمام العالم، كما أن مناهج الدراسة في أغلب بلدان الغرب مؤسسة على تحقير الإسلام والمسلمين.

وتدعم هذه المراكز المنحرفة وهذه المناهج المتطرفة بمعونات حكومية رسمية إن لم تكن للبنتاجون والسي آي إيه أو للحكومة الإسرائيلية والموساد وغيرها من فروع الحركة الصيهونية، فلماذا لا نطالب بإغلاق بؤر الحقد ومطابخ التآمر والكذب والهدم هذه ؟ وقال صلاح الدين بلهجة مؤلمة وصوت مندهش:«إذا كان نبأ إغلاق مركز الشيخ زايد صحيحًا،فهذا يعني أنه ينبغي للعرب إغلاق صحفهم وإذاعاتهم وقنواتهم الفضائية ومراكز الدراسات والجامعات وغيرها، بل عليهم أن يغلقوا الأزهر الشريف، ودور الإفتاء والعلم أيضًا»، مشيرًا بذلك إلى فهم الغرب الضحل للإسلام ومقاصده السمحة وتناقض هذا «الطغيان» مع احترام النفس وحفظ كرامة الآخرين التي ما فتئ هؤلاء ينادون بها ليل نهار. ■

وشفقته - وخصوصًا في العالم العربي - إلى كره وبغض شديدين. فآخر الدراسات الأمريكية التي أعدها المكتب العام للمحاسبة (جنرال أكاونتينغ أوفيس) التابع للكونجرس الأمريكي، تؤكد أن أمريكا تتمتع اليوم بشعبية أقل بكثير من تلك التي كانت تحظى بها قبل هجمات ١١سبتمبر في معظم الدول التي يشكل فيها المسلمون الغالبية. وأوضحت الدراسة أن شعبية الولايات المتحدة تراجعت من ٢٥٪ في منتصف ٢٠٠٢ إلى ١٪ في مطلع العام الجاري في الأردن، ومن ٣٥٪ إلى ٢٧٪ في لبنان، ومن عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٣، تراجعت نسبة المعجبين بالولايات المتحدة في المغرب من ٧٧٪ إلى ٢٤٪، وفي إندونيسيا من ٧٥٪ إلى ١٥٪، وفي باكستان من ٢٣٪ إلى ١٣٪، وفي تركيا من ٥٢٪ إلى ١٥٪، رغم الحملات الدعائية والإعلامية التي أطلقتها وزارة الخارجية الأمريكية في هذه البلدان لتحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية وتجميل وجهها لدى الشارع العربي والإسلامي. ■

الثنيان مشيدًا بالحوار مع «الشطي» :
المطلوب مزيدًا من الشفافية والنقد



تساءل الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثنيان رجل التربية المعروف، وأحد رجالات «المعارف» سابقًا عن الجديد الذي يمكن أن تطرحه «المعرفة». جاء ذلك في خطاب بعثه للزميل رئيس التحرير ردًا على مقالته في العدد المئة الماضي التي وقعت تحت عنوان «فرحة مؤجلة» والتي أعلن فيها رئيس التحرير تأجيل فرحتنا بالمئوية، نحن المعرفيين، إلى العدد الحالي (١٠١)، ذلك أنه يعتبر البداية الحقيقية للمئوية الثانية، كما يعتبر الانطلاقة المناسبة للفرحة والتطوير والوثب، غير أبهين بإغراءات الرقم (١٠٠). وتمنى الدكتور الثنيان في خطابه المزيد من الطرح الجيد والشفافية والموضوعية في النقد، مشيدًا في هذا المقال بالحوار مع د.إسماعيل الشطي في العدد المئة الذي جاء - على حد رأيه - جريئًا في السؤال والجواب، وفائق النكهة والطعم، ومشددًا على الإكثار من هذه الحوارات التي تزكي الثقة بالنفس وتذكي نقد الذات وتنشر روح التسامح بلا غلو ولا تطرف ولا جمود.

المعرفة تحاول أن تكون «متجددة» دومًا و«جريئة» أحيانًا! وهذا العدد الذي بين أيدي القراء هو إحدى محطات التجدد التي لن تتوقف بإذن الله، مادام تواصل محبيها «متجددًا» معها و«جريئًا» في مشاركته لها.. كما يفعل أستاذنا د.الثنيان. ■

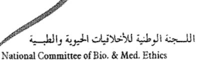
السيف قاده «كرسي» الإعاقة إلى الدكتوراه



بروح وثابة تعشق التحدي والنصر، حولت «كرسي» الإعاقة إلى طائرة تسبق الصوت بالعمل، استطاع أحمد بن صالح السيف مدير مكاتب السديد للاستشارات القانونية والمحاماة أن يصنع إنجازًا في صالح الإنسان وضد الإعاقة، فها هو يشارك المجتمع تفاعلاته وحركته وحراكه من خلال تخصصه القانوني، حيث يحمل درجة الماجستير في القانون من جامعة كيس وسترون الأمريكية بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى. وبامتياز آخر ها هو يعارك صمت المجتمع إلى الخروج من نظرة ضيقة للمعوق لا تتجاوز حالات الشفقة إلى المواجهة المباشرة في مجالات الحقوق المدنية وتوكيد حقوق المعوق، ومتابعة تنفيذها في المجتمع السعودي وذلك من خلال رسالته للدكتوراه التي اختار لها موضوع (حقوق المعوق والتمييز في القانون السعودي) من إحدى الجامعات البريطانية العريقة في هذا التخصص، مضيفًا إلى تاريخه الشخصي إنجازًا مميزًا... الدكتور «القادم» السيف، لم تثنه إصابة حادث مروري عام ١٤٠٩هـ من أن يستمر في بلوغ أهدافه بدعم المحيطين والمجاورين، وقبل ذلك بنفسه العاقلة الراضية بالقضاء والقدر، غير الراضية بالقعود والانزواء، وهو أنموذج واضح وبيّن للفرق بين الإعاقة الجسدية والإعاقة العقلية «الاختيارية» التي تضع صاحبها وباختياره في خانة العبء والبطالة والهامش. ■

تعقدها اللجنة الوطنية للأخلاقيات الحيوية والطبية:

حلقة نقاش حول (من يملك الجينات؟)



اللجنة الوطنية للأخلاقيات الحيوية والطبية
National Committee of Bio. & Med. Ethics

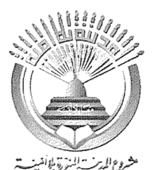
تقيم اللجنة الوطنية للأخلاقيات الحيوية والطبية في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية يوم الأربعاء القادم الموافق ١٤٢٤/٨/٥هـ حلقة نقاش مهمة تحت عنوان (من يملك الجينات؟) بمشاركة عدد من الجهات الحكومية والخاصة ذات الاهتمام بهذا الموضوع الذي سيناقش مطالبة بعض الشركات العالمية بامتلاك حقوق الجينات وتأثير ذلك سلبًا على مفهوم حرية وتبادل المنفعة في العلم، كما قد يكون له أثره العكسي على الدول النامية التي ستعاني الرسوم المبنية على البراءات وإيقاف نقل التقنيات الحديثة إلى الدول النامية، إضافة إلى أن هذا «الاحتكار» قد يجعل الفقراء تحت عطف الأغنياء وسطوتهم واقتصار العلاج على الفئة القادرة ماليًا من الناس فقط.

وتحاول اللجنة من خلال هذه الحلقة النقاشية سواء من الناحية الشرعية والقانونية والأخلاقية والتجارية لموضوع تملك الجين المشروع الخروج بموقف وطني في المملكة العربية السعودية حيال هذه الطفرة التقنية الحيوية التي قد تذهب في الزمن القريب إلى حوزة «المتاجرة» وحجب الطب كمهنة إنسانية عن فئات صغيرة وفقيرة في المجتمع.

ودعت اللجنة المهتمين وذوي الاختصاص لزيارة موقعها الإلكتروني www.kacst.edu.sa/bioethic لمزيد من المعلومات عن أهداف اللجنة وأعمالها ووقائع حلقة النقاش. ■

مشروع (المدينة المنورة بلا أمية) يستهدف (١٣) ألف أمي

انطلق مع بداية العام الدراسي الحالي مشروع (المدينة المنورة بلا أمية) تحت شعار (معًا بلا أمية) الذي تنفذه الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة المدينة المنورة (بنين/بنات)، ويهدف المشروع إلى محو أمية المواطنين والمقيمين داخل النطاق العمراني للمدينة ذكورًا وإناثًا ويستمر على مدى عامين دراسيين. ومن المتوقع أن يمحو المشروع أمية ١٣ ألف مواطن ومقيم بمشاركة ٨٣٧ معلمًا ومعلمة خضعوا لبرنامج تدريبي في هذا المجال.



وخصصت إدارة تربية وتعليم المدينة المنورة أماكن دراسية للمشروع صالحة ومناسبة لأغراض تعليم الكبار تشمل المدارس الحكومية والأهلية ومقرات العمل والمساجد والجمعيات الخيرية والنوادي ومراكز التدريب والمكتبات العامة. كما يطبق المشروع مقررات خاصة بعنوان (برامج التوعية ومحو الأمية)، وتتألف من ثلاثة مقررات هي: القرآن الكريم والتوحيد والفقه، والقراءة والكتابة، والرياضيات، بالإضافة إلى برامج مساندة تهدف إلى توعية الطلاب في كل نواحي حياتهم المختلفة وتخدم الهدف الرئيس للمشروع.

المشروع تسهم فيه الجهات الرسمية والقطاعات الخاصة الداخلية وعلى رأسها إمارة منطقة المدينة المنورة، وبمشاركة فنية من المنظمات الإقليمية والدولية ذات العلاقة التي دعمت برامج المشروع بالخبرات النظرية والعملية. ■


مفاجأة
الرواد
في تحطيم الأسعار
بمناسبة العودة للمدارس
١٦ صنفاً
بـ ١٧٥ ريالاً فقط
١ - العليا - الرواد للعود والعسل ت: ٤٥٠٧٠٥٨
حي الملك فهد ش الأمير أحمد مقابل محطة التسهيلات
٢ - الربوة - حي الريان الشجرة الطيبة للعود ت: ٤٩٦٧٧٨٢
٣ - سوق الموسى - عسهود للعود ت: ٤٦٢٠٠٨٧ جوال: ٠٥٣٢٨٦٩٧٠
٤ - حوطة سدير - تسجيلات الرابية ت: ٤٤٣١٩٤١ جوال: ٠٥٥٤٧٩٨٩٤
٥ - الروضة ٢ الكندري للعود ت: ٤٩٣٥٤١٤
٦ - تبوك - تسجيلات الجاليات ت: ٤٢٢٠٥٤٨ جوال: ٠٥٥٣٧٥٠٧٣
٧ - الشفا - حي بدر عطارة السوادي ت: ٤٢٢٤٥٩٦
٨ - العزيزية - أبو راشد للعود ت: ٤٩٥٤٣٣٥
٩ - الأفلاج - مبرة الأفلاج الخيرية ت: ٦٨٢٢٣٣٥ ج: ٠٥٣٤١٣١٤٢
١٠ - حي السلام - مكتبة دار كندة ت: ٤٩٣٢٦٥١
١١ - الربوة - مقابل سوق المجد مكتبة الناسخ ت: ٤٩٦١٢١٢ الروضة ت: ٤٩٣٤٥٥٥
١٢ - الروضة ٣ مخرج ١١ مكتبة الأوائل ت: ٢٤٩٦٣٣٩
١٣ - العريجاء - عطارة الدبيرة ت: ٤٣١٢٩٣١
١٤ - طريق الملك فهد تسجيلات أحد ت: ٤١٣٠٠٠٠ - طريق خريص ت: ٢٠٨٠٠٠٠
١٥ - الروضة مملكة العطارة ت: ٢٤٩٣٢٩٥ النسيم عطار الكويت ت: ٢٣١٧٤٩٤
١٦ - زهرة البديعة البورمي للعود ت: ٤٣١٣٧٥٢ الشفا أسواق العودة ت: ٢٧١٣٣٨٨
١٧ - شارع التخصصي مكتبة الصفحات الذهبية ت: ٤٦٥٦٦٣٦
١٨ - الدرعية صيدلية الشريم ت: ٤٨٦٢٧٢٣ ج: ٠٥٨٦٨٧٣٠٣
١٩ - أسواق المجد شهد للعود - بوابة (١) ت: ٤٩٦٧٩٤١
٢٠ - القرية الشعبية - الشيخ للعود ت: ٤٣٣٣٨٢٣
٢١ - مكتبة المؤيد الجوازات/ ت: ٤٠٢٠٣٩٦ البديعة ت: ٤٢٦٣٨٦٨ - الروضة ت: ٤٩٣٢٥٨١
٢٢ - الربوة تسجيلات الشجرة الطيبة ت: ٤٩١٠٥٢٦ صدى الامجاد ت: ٤٧٩٣١١٤
٢٣ - الخرج - السوق العام عطارة ابن النفيس ت: ٥٤٥١٤٩٨ - ٥٤٨٤١٦٧
٢٤ - أبها - المناصيف للعود ت: ٢٢٥٠٢١٢ ج: ٠٥٦٧٣٦٤٣٦
٢٥ - شرورة - تسجيلات مكتب الدعوة ت: ٥٣٢٣٨٨٤ جوال: ٠٥٧٣٢٨٨٦٩
٢٦ - وادي الدواسر - النويعمة تسجيلات الميامن ت: ٧٨٦٠٢٢٦ جوال: ٠٥٥١١٥٩٤٨
٢٧ - بيشة - المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات ت: ٦٢٢٢٤٧٤ جوال: ٠٥٢٥٣٥٩٦٥
٢٨ - شقراء - تسجيلات بدر الاسلامية ت: ٦٢٢٣٠٥٠ جوال: ٠٥٥٢٢١٥٢٦
٢٩ - مكة المكرمة / مطاحن العوالي ت: ٥٢٧٢١١٦ - الشرائع ت: ٥٢٣٧١٨١ ج: ٠٥٤٥٣٠١٠٨
٣٠ - أم الحمام مكتبة دار الحكمة ت: ٤٨٢٥٤٢
٣١ - الطائف / محامص العزيزية ت: ٧٣٨١٠٨٣ جوال: ٠٥٥٧١٣٣٢٨
٣٢ - الخرج - مندوبنا جوال: ٠٥٤٤٣٢٧٦٠
٣٣ - بريدة / الدخيل للعود ت: ٣٢٥٠١٩٠ / ٣٦٩٧٠٨٥
٣٤ - مكة المكرمة - النخل الجوال ت: ٥٥٨٤٩١٢ المدينة ت: ٨٢٦٧٨٣٧ جدة ت: ٦٧٠٥١١٣
٣٥ - الباحة م. أحمد الغامدي ت: ٧٢١١٠١٨ جوال: ٠٥٥٧٧٥٧٨٥
٣٦ - الجبيل تسجيلات النور - مجمع الفناتير ت: ٣٤٦٠١٠٠
٣٧ - المزاحمية عطارة الرحاب / أسواق / البلدية ت: ٥٢٣٢٠٧٦
٣٨ - القويعية مركز العقارية للمواد الغذائية ت: ٦٥٢٠٤٠٢
٣٩ - سكاكا الجوف مؤسسة البادي ت: ٦٢٤٢٤٥٦ ج: ٠٥٥٣٨٨٠٤٨
٤٠ - الدمام - حي المزروعية تسجيلات القادسية ت: ٨٣٢١١١٠
٤١ - جيزان / الدائر / صيدلية المالكي جوال: ٠٥٥٧٦٩٥٤٩
٤٢ - خميس مشيط / الشريف ت: ٢٢٢٣٣٤٦ جوال: ٠٥٥٧٤٣٣٥٧
٤٣ - المجمعة الشيانة للعود ت: ٤٣٢٤٦٠٠ جوال: ٠٥٥٢٦١٣٣٠
٤٤ - النسيم سوق حجاب / عطار البحرين ت: ٢٣٠٢٩٧١٥
٤٥ - جدة - المجموعة الذهبية ت: ٦٩٨٨٨٨٦ جوال: ٠٥٤٣٨٣١٨١
٤٦ - طبرجل - تسجيلات اليرموك ٦٢٨٠٩٠٤ جوال: ٠٥٣٠٣٦٧٨٦
٤٧ - جدة / تسجيلات أحمد ت: ٦٨٠٨٢٤٠ - نجد / بريدة ت: ٣٨٢١٣٣٣
٤٨ - سكاكا - صفوة العود ت: ٦٢٦٢٦٦٣ جوال: ٠٥٢٩٥٧٥٠٣
٤٩ - جميع صيدليات المستشفى بالرياض ت: ٢٤١٠٩٣٤
٥٠ - الزلفي - زمزم للتسويق ٤٢٢٤٤٩٤ جوال: ٠٥٥١٢٢٨٧٦
٥١ - الخرمة - عطارة الخير سوق الشقيحي ت: ٨٣٢٠٨٢٢ جوال: ٠٥٥٧١٥٩٥٦
٥٢ - سبت العلايا المكسرات الشارع العام ت: ٦٣٠١٠٤٢ جوال: ٠٥٤٧٤٩٧٣٩
٥٣ - الطائف ش عكاظ تسجيلات زاد المسير ت: ٧٣٣١٥٠٥ جوال: ٠٥٥٧١١١٢٦
٥٤ - طريق القصيم تموينات محطة النايز ت: ٥٣٣٩٤٧٧ جوال: ٠٥٥١٥٦٣٢٣
٥٥ - المدينة المنورة - تسجيلات الفلاح جوال: ٠٥٦٣٣٧٦٧٠
٥٦ - الجبيل - مندوبنا جوال: ٠٥٥٩٠٢٨٦٠
٥٧ - محافظة جلوة تسجيلات المنارات ت: ٧٣١٢١١٧ جوال: ٠٥٥٧٢٦٧٩١
٥٨ - حفر الباطن مندوبنا جوال: ٠٥٥٩٠٨٥٣٨
٥٩ - القصيم مندوبنا ت: ٣٤٢٠٢٩٣ جوال: ٠٥٤٢٨٠٢٩٣
سعر ولا في الخيال
خصم خاص لمبيعات الجملة و الجمعيات الخيرية
الهدية المناسبة لكل مناسبة بأسعار مناسبة
جميع هذه الأصناف داخل كرتونة على شكل هدية
١ - نصف ك عسل سدر جبلي
٢ - نصف ك عسل حبة البركة
٣ - نصف ك عسل زهور برية (عسل أطفال)
٤ - ٤٠ غرام حبوب لقاح
٥ - ٥ غرام زعفران أبو شيبة نخبة أولي
٦ - أوقية لبان
٧ - نصف أوقية عود كمبودي طبيعي
٨ - ربع تولة دهن عود كمبودي فواح
٩ - ربع تولة مسك متسلق
١٠ - ربع تولة مخلط (نسائي)
١١ - أوقية معمول (نسائي)
١٢ - أوقية بخور مبثوث خليجي
١٣ - بودرة للعرق بجميع الروائح (أقمار)
١٤ - نصف تولة عطر الفواحة
١٥ - الفواحة الحديثة
١٦ - بكت شمع الفواحة
خصم خاص لمنسوبي وزارة التربية والتعليم
احذروا التقليد
خدمة التوصيل مجاناً اغتنمو الفرصة
خدمة مميزة
الرواد : ٤٥٠٧٠٥٨ - ٤٥٣٣٨٦٧ - جوال ٠٥٤٢٩٨٧٥٢



زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

من سوسيولوجيا الثقافة .٣.

الإنسان البرمائي

إنه أسلوب من الحياة، يكفل لمتخذه التنفس دومًا، وعدم الاختناق مدى الحياة.

والإنسان البرمائي هو في العموم برجوازي ناجح، قادر على العيش في محيط الثراء وفي صحراء الجفاف في آن واحد. فهو يتزلف الارستقراطيين من أجل أن يصعد «إليهم»، ويتزلف البروليتاريين (المحرومين) من أجل أن يصعد «عليهم».. إلى الارستقراطية بالطبع.

والبرمائي هذا لا يجيد أي شيء.. لكنه يصلح لكل شيء!

لا هو بالمالح ولا بالحلو، ولا بالمثقف ولا الأمي، ولا المغرور ولا المتواضع، ولا الوديع ولا المتوحش.

فهو متدين وفاسق، غني ومحتاج، وطني وثوري، تراثي وعولمي.

يجيد المديح والذم بالدرجة نفسها، والديمقراطية والديكتاتورية، والبيع والشراء، والحضور والغياب. لا هو معك ولا ضدك، فلا هو بالعدو ولا بالصديق.

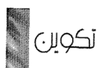
تراه في كل زمان، لكنك لا تراه في كل مكان، لأنه يجيد لعبة المكان والزمان. فهو ظاهر وخفي، ثرثار ومنصت.

ولأنه برمائي فهو جاف ورطب، جاف في قراراته.. رطب في تبريراته، شفاهه دومًا مبللة بالكلام المعسول، ولكن مخّه ناشف!

ولأنه برمائي أيضًا فإنه يجيد صيد البر والبحر معًا، يصطاد في الماء العكر مثلما يصطاد في الصحراء المغبرة. وهو لا يأكل فريسته لكنه لا يرميها للهوام!

والكائنات البرمائية هذه لا يخلو أي مجتمع منها، لكنها تزيد وتنقص من مجتمع لآخر بحسب اتساع مساحة المناطق الرخوة في التنظيم والفكر والثقافة المجتمعية، هذه المساحات الرخوة هي التي تسمح بتكاثر الكائنات البرمائية في المجتمع.

ولأن البرمائي هذا قد عاش في حياته عيشتين، فإن أول عقاب يناله هو أنه يموت ميتتين: برية ومائية، ثم يدفن في مكان لا هو بالبر دومًا فيُزار.. ولا بالبحر دومًا فيكون شهيدًا، إنه مدفون في منطقة المد والجزر، تلك التي كان يتلاعب بها في حياته فغدت تتلاعب به في مماته!


تكوين

التحدي الكبير

أن تصنع هذا ....

وأن تمنع هذا ....

وأن تحافظ على هذا ...



وأن تحفظ هذا وهذا وكل هذا للأجيال القادمة .

أسمنت اليمامة

تواجه التحدي بعزم وإصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة .